nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

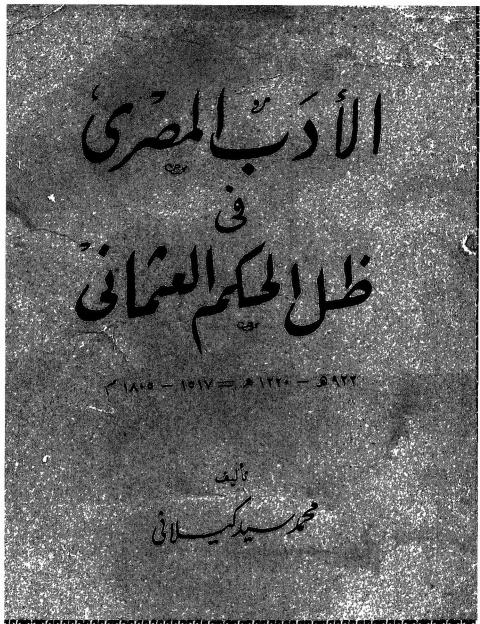








onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



THE PARTY OF THE PROPERTY OF T

دارا لمنسرجاتي القاهرة - طرابلس - لندن

1 1 1 1



# الأدن الميري في ظل لحاكم العثماني

1100 - 1014 = 1170 - 0.417

تألید محمد سیدکسی لانی

دارا لف رجاني القاهرة - طرابلس - لندن



## مقسائته

قال جورجي (١) زيدان عن الآدب في العصر العثاني : ﴿ فسدت ملكة اللسان ، وجمدت القرائح . وأصاب الشعر ما أصاب سائر الآداب العربية في هذا العصر من الضعف والانحطاط لما استولى من الجمود على القرائح ، وتوالى على الأمة من الذل في تلك الفترة المظلمة . وأصبح الكاتب أو الشاعر إنما يهمه تنميق العبارة بالجناس والتورية والسجع ، حتى خرجو ابذلك عن الذوق المألوف ، فأضاعوا أوقاتهم فيما الافائدة فيه من الصنائع اللفظية . فذهبت المعانى ضحية تلك الاساليب الباردة . ويشبه ذلك مبالغة أهل زماننا هذا بتزيين ظواهر المرأة بالآزياء الجديدة حتى خرجوا بها عن الغرض الأصلى من خلقتها ، فأصبحت مثل سأرأدوات الزينة ، إنما يلتفت فيها إلى شكلها الخارجي. وكثيرا ما جر اجتهادها في ذلك إلى الوقوف في سبيل وظيفتها الطبيعية في جسم العمران . وهكذا اللغة في العصر العثماني بعد أن كان المراد بالألفاظ في جسم العمران . وهكذا اللغة في العصر العثماني بعد أن كان المراد بالألفاظ وأضاعوا المعاني و تصوير الأفكار ، اشتغل الكتاب بتنميق الألفاظ وأضاعوا المعاني »

\* \* \*

فن هذا نرى أن جورجى زيدان حكم على الأدب العربى كله من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى ، ومن شمال العراق إلى جنوب اليمين بأنه كان أدبا منحطا متكلفا ، لا أثر للحياة فيه .

وتابع جورجى زيدان فى هذا الحكم كل من جاء بعده من الكتاب الذين تعرضوا لهذا العصر . وقد صورت الكتب المدرسية العصر العثماني في

<sup>(</sup>١) تاريخ آداب اللغة العربية ٤ / ٢٧٣ طبع سنة ٩٩١٣

صورة بشعة. فلا عجب أن سرى اعتقاد راسخ فى الأذهان ؛ مضمونه أن العصر العثمانى لا يستحق الدرس والبحث ، وأنه خلو مما يصح أن يطلق عليه اسم الأدب ، ولم ينجب من الشعراء من يستحق اسم الشاعر ، ولامن الكتاب من تجوز نسبته إلى الكتابة.

وترتب على هذا الحكم الخاطىء ، حكم آخر مضحك وقع الناس فيه حين درسوا الأدب الحديث ، فهم مثلا يقولون إن محمود سامى البارودى أول من أحيا دولة الشعر بعد العدم ، وخلص القصيد بما علق به من قيود الصنعة اللفظية كالجناس والطباق والمقابلة والتورية وغيرها . ويزعمون أنه أعاد إلى الشعر العربي ديباجته التي أخلقت إبان العصر العماني . ويمدحونه لأنه رجع إلى أساليب القرن الرابع ، جاهلين أو متجاهلين أن لكل عصر أساليبه ، ولحكل بيئة ألفاظها وتعابيرها وموضوعاتها وما توحى به .

\* \* \*

وكان من الممكن أن أصدق هذه الأحكام التي صدرت ضد أدب هذا العصر كما صدقها الناس، وآخذهاقضية مسلمابها، لاتقبل الجدل والمناقشة كمافعل غيرى ، وأن أختار موضوعا آخر لا كتب فيه ، فما أكثر الموضوعات التي تحتاج إلى الدرس والاستقصاء . ولكني بدافع من حب الاستطلاع شرعت اقرأ بإمعان ما وقع في يدى من الآثار الأدبية التي تركها أدباء مصر في تلك الحقبة . فراغني ما اتضح لي من فساد الأحكام التي أصدرها جورجي زيدان ومن تابعه .

وازداد اعتقادى يوما بعد يوم بوجوب دراسة أدبنا فى هذه الفترة . وتباورت فى ذهنى الفكرة ، وتجمعت لدى المعلومات ، وقطعت فى القراءة مرحلة طويلة ، لم أتردد بعدها فى أن أجعل من دراسة هذا العصر موضوعا لهذا الكتاب .

أما المنهج الذي سلكته فهو:

تمهيد عن الحالة السياسية منذ أواخر حكم السلطان الغورى إلى دخول المتهانيين مصر ، وما استحدثوه من أنظمة جديدة للحكم . وتتابع الولاة ، وما طرأ على سلطتهم من ضعف ، وظهور المماليك على مسرح الحكم من جديد. وأشرت إلى بعض الفتن التي وقعت وعرضت للحملة الفرنسية وظهور محمد على .

ثم درست الحالة الاجتماعية من حيث علاقتها بالأدب شعره ونثره . . وتناولت الحالة الفكرية ، وما أسدته مصر إلى العالم الإسلامى من خدمات ثقافية فى ذلك الوقت . وبهذا ينتهى الباب الأول .

وفى الباب الثانى تكامت عن الشعر وأساليبه. وبينت بالأدلة القاطعة مبلغ الخطأ الفاحش الذى علق بالأذهان عن أساليب الشعر فى تلك الفترة مثم درست بيئات الشعر ، فخصصت فصلا للمدرسة البكرية ، وآخر للمدرسة العلوية ، وثالثا للمدرسة الأميرية ، وهي تشمل الشعر الذى قيل فى السلاطين والولاة والأمراء من مدح أو هجاء أو رثاء . ووضحت موقف الشعراء المصريين : هل كانوا يجانب الشعب أم كانوا مع الظالمين ؟ وبعد هذا أفردت فصلا للشعر الشعبى ، وهو الذى نبع من صفوف الشعب ، وعبر عن . آماله وآلامه ، وأفراحه وأحزانه ،

وقصرت الباب الثالث على دراسات تكميلية في الشعر. تناولت فيه الأغراض التي أكثر الشعراء من القول فيها كالغزل ، والوصف ، والإخوانيات . وقد حرصت على توضيح آثار البيئة المصرية ، وإظهار معالمها في كل ما تناولته .

أما الباب الرابع فيحتوى على تراجم لبعض مشاهير شعراء ذلك العصر

وفى الباب الخامس دراسة للنثر على اختلاف أنواعه . فهناك النثر الفنى الذي ورثه أدباء العصر العثماني عن القدماء . وهناك المقامات التي كثرت في تلك الحقبة واستخدمت في شتى الأغراض .وهناك الرسائل، ونقد المجتمع،

ولغة التأليف . والأدب الشعبى وأقصد به القصص التى ألفت فى ذلك العصر كسيرة الظاهر بيبرس ، والأميرة ذات الهمة .

و رجمت لعدد من الكتاب ، والعلماء ، والمؤرخين ، وأصحاب السير .

\* \* \*

وغنى عن الإشارة أن الأدب المصرى فى العصر العثماني لم يكن منعطا ولا مينا كما قالوا. ولم يكن هم الشعراء والكتاب الجرى وراء الحسنات اللفظية كما زعموا. بل كان أدباحيا ، له أهداف يسعى إليها ، وأغراض يتجه نحوها.

فالمدرسة البكرية جديدة فى بابها ، فريدة فى نوعها ، لاعهد للمصريين بها من قبل . والتعاليم البكرية التى تقوم عليها تلك للمدرسة تعاليم غريبة لم تعرفها مصر إلا فى خلال العصر العثماني . فقد جعل البكريون من أبى بكر الصديق شخصية تقابل شخصية الإمام على عند الشيعة الإسماعيلية . وقد شجعت الدولة العثمانية تلك الحركة خدمة لسياستها ، ومنحت شيخ السادة البكرية سلطة واسعة ، ونفوذا محترما .

والمدرسة العلوية وإن كانت قديمة إلا أنها اختفت منذ سقوط الدولة الفاطمية . وقد زجعت إلى الجياة من أخرى خلال هذا العصو .

\* \* \*

وإن الشعر الكثير الذى قيل فى وصف الحدائق والبساتين ، والبرك والدواليب، ونهر النيل والخليج ، والأزبكية وبولاق والروضة وبركة الرطلى، والقصور والطيور ؛ لم يكن متكلفا مصنوعا ، بل هو شعر له طابع أصيل فى الفن الشعرى . ينبض بالحيوية ، ويزخر بالعواطف الصادقة ، والأحاسيس. الناطقة ، والمشاعر المتدفقة .

الفد اندمج الشعراء في هذه البيئة الفاتنة ، وارتموا بين أحضان الطبيعة على شواطيء بركة الأزبكية ، والخليج ، وبركة الرطلي ، وفي جزيرة الروضة، وعلى شاطيء النيل العظيم ببولاق . وارتبطوا بهذه الأماكن ارتباطاً وثيقاً حتى أضحوا لايطيقون لها فراقاً، ولا يرون العيش إلا في ظلالها وبين أشجارها وطيورها . وإذا اضطر أحدهم إلى الابتعاد عن القاهرة نظم القصائد في الشوق إلى تلك الأماكن وإنك لتجد في شعره ألم الفراق ، ولوعة الاغتراب . وفي سيرة الظاهر بيبرس ترى المجتمع المصرى ممثلا أوضح تمثيل .

#### \* \* 4

وإنى أحمد الله الذى وفقنى إلى الكشف عن الأدب المصرى فى تلك الفترة الطويلة ، وإزاحة الستار عما أحاط به من إهمال وجهل وغموض ، وتصحيح الأحكام الخاطئة التى صدرت ضده . وهذا هو الأصل فى تأليف الكتب ، أى أن يكون هدفها كشف شىء جديد ، وإضافة معلومات كان الناس يجهلونها إلى معلوماتهم التى يعرفونها .

وفى نهاية هذا الكتاب يجد القارىء جملة من قصائد بعض شعراء مصر فى ذلك الحين . وبمطالعتها نتبين مكانة الشعر إذ ذاك ، ومقدار مالحقه من الغبن والجحود، نتيجة للأحكام الخاطئة التي صدرت ضده من قوم لم يكلفوا أنفسهم مئونة الدرس والبحث .

وإنى لا أدعى أنى وصلت فى بحثى إلى درجة الكال ، ولكنى أستطيع أن أقول \_ بلا فخر \_ إنى فتحت الباب على مصراعيه ليدخل منه كل من أراد الدخول ، والله المعين والموفق إلى الصواب ؟

القاهرة في أول يناير سنة ١٩٦٥ محمد سيد كيلاني

# الياب إلأول الفصيل الأول الحالة السياسية

كان السلطان قانصوة الغورى يحكم مصر قبل الفتح العثماني . وفي عهده كشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح ، فتحولت تجارة أوربا إلى هذا الطريق بعد أن كانت عمر عصر ، فحسرت البلاد من جراء ذلك أموالا باهظة كانت بحبيها على تلك التجارة . فلا عجبأن ساءت الأحوال الاقتصادية إلى حد كبير . فاضطر الغوري إلى إثقال كاهل الشعب بالضرائب ، وبالغ في مصادرة أموال الأعيان والتجارحتي لم يسلم منه أحد، ومات تحت عقوبته بسبب المال كثيرون . وشرع يغتصب أموال اليتامي ، ويولي الكشاف ومشايخ العربان على البلاد ويقرر عليهم الأموال الباهظة ، فيأخذ هؤلاء من الفلاحين أضعاف ما يدفعونه للسلطان . حدث هذا في مصر والشام ، فتمني الناس الرحيل عن بلاده من شدة الظلم .

وانعدم وجود البضائع التي كانت ترد من أوربا . ثم إن الغورى فرض ضرائب باهظة على كل ما يباع ويشترى ، فارتفعت أسعار الحـــاجات ارتفاعاً فاحشا .

وكان يبيـع الوظائف للناس نظير مبالغ طائلة حتى وظائف القضاء.

وينفق ما يجمعه من الأموال فى بناء القصور الفخمة · قال ابن (١) إياس « ولو شرحنا مساوية كلها لطال الشرح فى ذلك » .

وخربت الثغور وأقفرت من أهلها ، قال ابن (٢) إياس يصف مدينــة الإسكندرية سنة ٩٢٠هـ « فتلاشت المدينة وآل أمرها إلى الخراب حتى قيل إن الخبر طلب بها فلم يوجد ولا الأكل » .

وكانت سياسته الخارجية فاسدة كذلك . فيها نشب النزاع بين شاه إيران إسهاعيل الصفوى وبين السلطان سليم ؛ انضم الغورى إلى الشاه وكاتبه وتبادل معه الهدايا .

ومن أخطائه الكبرى خروجه لمحاربة العمانيين فى أطراف الشام. فتكبد جيشه المتاعب، فضلا عن أن أهل الشام كانوا يضمرون له العداء. فانحاز قائداه خيرى بك نائب حلب، وجان بردى الغزالى نائب حماة إلى السلطان سليم الذى وعد الأول بولاية مصر، والثانى بولاية الشام، فدارت الدائرة على الجيش المصرى بسبب هذه الخيانة، وبسبب تخاذل المهاليك، فانهزم المصريون في « مرج دابق» قرب حلب وقتل الغورى. وقد نظم شعراء مصر في تلك الوقعة شعرا كثيرا، ومنهم من عرض للمظالم التي ارتكبها الغورى وجعلها عاملا عاسما في هزيمته. قال ابن إياس (٢):

اعجبوا للأشرف الغورى الذى مذ تزايد ظلمه في القاهره زال عنه ملكه في ساعة خسر الدنيا إذن والآخره

وقال :

لازالت الأيام يبدو فعلها بعجائب وغرائب بين الورى والأشرف الغوري كان مليكنا لكنه قد جار فينا وافترى

<sup>(</sup> ۱ ، ۲ ) بدائع الزهور طبع استانبول ٥/٠٩٠٤ /٢٢٤

<sup>(</sup>٣) ٥ / ٢٠ وما بعدها .

والموت أوجب هزمه مع جيشه قد كان ذلك في الكتاب مسطرا أعماله ردت عليه بماجني والدهر جازاه بأمر قُدرًا وقال بدر الدين الزيتوني من قصيدة زجلية طويلة:

غربت شمس دولة الغورى وابر عثمان نجمو طالع ساير وبهذا رب السما قد حسم والفلك دار ولم يزل داير ثم انطلق السلطان سليم قاصداً مصر في آخر سنة ٩٢١ (١٥١٧) وكان. الماليك قد اختاروا الأمير طومانباي سلطاناً على البلاد. وبعد مقاومة لم تدم طويلا انهسزم السلطان الجديد وشنق على باب زويلة . وفي ذلك يقول ابن إياس :

نوحوا على مصر لأمر قد جرى ومصيبة عمت بليتها الورى ومنها وفيه إشارة إلى شنق طومانباى:

شنقوه ظلماً فوق باب زُويلة ولقد أذاقوه الوبال الأكبرا يارب عفوا عن عظائم جرمه واجعل بجنات النعيم له قِرى وبذلك أصبحت مصر ولاية عثمانية. قال عمد بن قانطوة:

كانت فى مصر ملوك أظهروا فيها العجائب ذهبوا عنها وصارت دورهم فيها خرائب وهى أضحت بعد عز قرية فى حكم نائب

ولما تم للممانيين فتح مصر جمع السلطان سليم عددا كبيراً من أرباب. الصناعات وبعث بهم إلى الأستانة . كما أنه نقل مقادير كبيرة من الرخام والأعمدة . والكتب النفيسة • قال ابن إياس :

له على سوق الصليبة كيف قد خربت حوانيت به مما جرى له له على فك الرخام ونقله من كل بيت كان يغدو أزهرا زالت محاسن مصر من أشياء قد كانت بها تزهو على أم القرى.

فتهدمت أحياء كثيرة كانت عامرة مثل حي الصليبة ، وشـيخون. والحسينية .

\* \* \*

وكان خيرى (١) بك أول ولاة العثمانيين بمصر وقد اشتهر بالعسف. والظلم ومات سنة ٩٢٨ ه ثم تعاقب الولاة على مصر وحاول أحمد باشا الذي تولى سنة ٩٣٠ ه أن يستقل بحكم البلاد و فأمر أن يخطب له، وضرب النقود باسمه ولكنه بالغ في الظلم خقد عليه الناس ، وأخيراً عمكن بعض قواد الجيش العثماني في مصر من القضاء على حركته و ثم شنق على باب زويلة سنة ٩٣١ ه .

وكان بعض الولاة العثمانيين على درجة طيبة من الاستقامة وحسن السيرة.. ومن أشهر هؤلاء الولاة :

داود باشا الخادم الذي حكم من سنة ٩٤٥ — ٩٥٥ وكان كريمامحبا للعلم والعلماء ، مغرما بمطالعة الكتب العربية ختى إنه جمع عددا وافرا منها . وفي أيامه انتشر الأمن وساد الرخاء . وقد بني مدرسة عظيمة . ومات بالقاهرة ودفن بها .

وسنان باشا ( ٩٧٩ – ٩٨١ ) وكان مفرما با قامة المبانى فأنشأ عدة مساجد ومدارس وحمامات وأسواق ·

ومسيح باشا ( ٩٨٢ – ٩٨٨ ) الذي ضرب بيد من حديدعلى اللصوص وقطاع الطرق ، فقتل منهم نحو عشرة آلاف رجل ، وبذلك تطهرت البلاد من شرهم ، واستراح الناس من أذاهم .

<sup>(</sup>١) لطائف أخبار الدول للاسحاقي ص ٧٠ وما بعدها . المطبعة البهية بمصر سنة١٣٠٠ ﻫـ

وقد أبنى السلطان سليم على المهاليك فخربوا البلاد وأقفروها . ولو أنه استأصل شأفتهم لتمتعت مصر بالهدوء والسكينة ، ولأمكنها أن تسترد خريتها واستقلالها بأيدى أبنائها .

\* \* \*

وقد ظل الولاة العثمانيون محتفظين بسلطانهم وهيبتهم إلى سنة ١١١٩ هـ حيث اختفت قوتهم ، وحل محلها نفوذ شيخ البلد . وكان يشغلهذا المنصب أحد بكوات المهاليك الذين انقسموا فى ذلك الوقت إلى حزبين كبيرين :أولهما يعرف بالقاسمية ، نسبة إلى قاسم بك . والثانى الفقارية ، نسبة إلى فاسم بك . والثانى الفقارية ، نسبة إلى في في المناها المناها

واشتهر القاسمية بكثرة المالوالبخل والفقارية بالكرم واتخذ القاسمية اللون الأحمر شعارا لهم والفقارية اللون الأبيض وتعصب كل منهم للون الذي يميل إليه حتى في أواني الأكل والشرب وقد اشتد النزاع بين هذين الحزبين على مشيخة البلد ، وكثرت بينهما المعارك والفتن والدسائس . وكان الولاة يشجعون ذلك ، ويسعون في الإفساد بين الطرفين طمعا في استرداد نفوذهم .

ومن أشهر مشايخ البلد ﴿ إسماعيل (١) بك ﴾ رئيس حزب القاسمية الذي بقى المشيخة إلى سنة ١١٣٦ وذلك بفضل اتحاده مع الفقارية ، ولكن الوالى العثماني اجتهد في إثارة الفتنة بين الحزبيز فانتهى الأمر بقتل إسماعيل بك. ثم أخذت المعارك تلعب دورها حتى انتصرت الفقارية انتصارا تاما وقضت على القاسمية ، وكان ذلك سنة ١١٤٢ هـ

ومن الفقارية ظهر على بك (٢) السكبير سنة ١١٧٧ وقد سعى للاستقلال عصر وتسكوين إمبراطورية تتألف من مصر والشام والحجاز ، وكاد ينجح في مساعيه لولا ماقام به العثمانيون من خلق الدسائس بينه وبين تابعه محمد بك

<sup>(</sup>۱،۲) الجبرتی ۱/۰۱،۱/۲۵۲ طبع بولاق

أبى الذهب. وانتهت هذه الدسائس بقتل على بك. ثم لم يلبث أبو الذهب أن مات بعد قليل ، فاكت مشيخة البلد إلى إبراهيم بك ، وإمارة الحج إلى . مراد بك ، فظهر بينهما تنافس كاد يؤدى إلى الحرب .

وفي ذلك الوقت رأى العثمانيون (١) ضرورة استرجاع نفوذهم في مصر بعد أن تلاشي تماما ، فأرسلوا حملة وصلت إلى الإسكندرية سنة ١٢٠٠ هو وبعد قتال يسير انهزم الماليك في الرحمانية وفروا إلى الصعيد ، إلا أن العثمانيين لم يستفيدوا من هذا النصر لاشتباكهم في حرب ضد روسياوا ضطرارهم إلى سحب جيشهم من مصر ، فعاد مراد وإبراهيم إلى القاهرة واستردا نفوذها وأمعنا في ابتزاز أموال الأهلين وإيقاع المظالم بالجاليات الأجنبية وبخاصة الجالية القرنسية ،

وفى سنة ١٢١٣ هجاءت الحملة الفرنسية إلى مصر • وقداستغلبو نابرت رغبة الدولة العثمانية فى القضاء على المماليك حين أرسلت جيشها سنة ١٢٠٠ لتحقيق هذه الغاية • فأعلن فى منشوره إلى المصريين أنه إنما جاء للقضاء على طائفة الماليك الظامة ، وليعيد مصر إلى نفوذ السلطان . كما أن المهاليك اعتقدوا أن السلطان أراد أن يقضى غليهم هذه المرة بوساطة الفرنسيين . وإذا كان المهاليك قد انهزموا من قبل أمام العثمانيين ، فإنهم انهزموا كذلك هزيمة شنيعة أمام الفرنسيين الذين ظلوا يحكمون مصر إلى سنة ١٢١٦ه حيث تم جلاؤهم عن البلاد .

وقد كثرت القلاقل والاضطرابات عقب جلاء الجيش الفرنسي ، واستمرت الأحوال تسير من سيء إلى أسوأ حتى تولى محمد على حكم مصر سنة ١٢٢٠ه وقد حاول المهاليك أن يستردوا نفوذهم الضائع مستعينين بالإنجليز ، ولكنهم باءوا بالفشل .

\* \* \*

ولما استتب الأمر للعثمانيين شرعوا يدخلون نظها جديدة في القضاء لاعهد.

<sup>(</sup>١) المرجع السابق ٢/٥٠١.

المصريين بها من قبل. فصدر أمر إلى القضاة بأن يحكموا في بيوتهم ثم عينوا (١) أميرا عُمَانيا في وظيفة القضاء ولجعل مقره بالمدرسة الصالحية وأطلق عليه لقب (المحضر) يعاونه على تنفيذ الأحكام جماعة من الإنكشارية. وتقرر ألاتنفذ الأحكام الشرعية قبل عرضها عليه. وكان يحصل على رسوم من المدّعيى والمدّعي عليه ويحقق معهما بوساطة ترجمان وحكمه نهائى لانقض فيه ولا إبرام .

ثم فرضوا رسوماً على المحاكات التي تجرى عند القضاة الآخرين. قال ابن إياس معلقاً على تلك الحوادث ﴿ وقد ضعفت قوة الشرع الشريف في هذه الآيام جداً ﴾ والحق إن قوة الشرع كانت ضعيفة منف عصر المماليك. فقد كان القضاة يدفعون مبالغ طائلة للسلطان نظير تعيينهم ، ولم يفعلوا ذلك إلا لثقتهم في المغانم والأرباح التي تعود عليهم من هذه الوظائف . وقد ذكر ابن إياس هذا في تاريخه ، وأتى بما يندى له الجبين ، وعلى كل حال فإن هذه الأنظمة الجديدة قد سببت ضيقا وتبرما عند المصريين . قال أحد شعراء ذلك العصر :

والفعل منهم ليس يخنى عليك ونجنا منهم وخذهم إليك

يارب زاد الظلم واستحوذوا ومالنا إلاك فانظر لنا وقال ابن إياس:

قد کان فی زمن القضاة موقرا کانوا بهم تقضی الحوائج للوری وقعت بمصر مالها مثل 'یری

لهني على الشرع الشريف وحكمه يالهف قلبي للشهود بمجلس الله أكبر إنها لمصيبة وقال آخر:

والمجالس من الشهود في الجلوس

کانشمار الدینظاهر کالشموس (۱) ابن لمیاس ه/ ۲۰ وما بعدها . شبه أقمار ترتاح إليها النفوس هم جمال الإسلام وقم القسوس اختفت دى الشموس بظلم النهار وقضاة الإسلام محى رسمهم والشهود اختفوا وضاع اسمهم صار على العقد جاليه وسمهم وقضاة القضاة بترسيمهم طول النهار مع الأمين في حصار

، وفرض العثمانيون(١) تمحصيل رسوم على عقود الزواج وقضايا الطلاق · وقرروا أن تجري شئون الزواج والطلاق على يد أحد القضاة في منزله. فتضرر المصريون من ذلك عنم أبطلوا نواب القضاة والشهود فأقفرت منهم المدرسة الصالحية "وقد احتج الفقهاء على نظام الزواج والطلاق الجديد ، ولكن احتجاجهم لم يأت بنتيجة . وفي سنة ٩٢٨ ه عين السلطان سليمان قاضيا يلقب بقاضي العسكر ومنحه سلطة واسعة تشبه سلطة وزير العدل الآن . فكان يتولى تنصيب القضاة وعزلهم . وأمرهم أن يتخذوا المدرسة الصالحية مقرا لهم كما كانت الحال من قبل. ولا تعتبر أحكامهم نافذة إلا بعد مصادقته علمها . وعين كذلك قاضيا للمو اريث سماه ﴿ قاضي الرِّرك ﴾ ومشرفا على أوقاف الجوامع والمدارس ، وقد أصدر هذا القاضي أمرا بمنع النساء · من الخروج إلى الأسواق ماعدا العجائز فقط. ومنعهن من ركوب الحمير . وفرض عقوبة صارمة على كل من تخالف ذلك ﴿ ووقعت منه أمور (٢) شنيعة ماتقع من الجهال والجانين ، وكان كما وصفه ابن إياس ( طاعنا في السن أعور ، ذا لحية بيضاء ، قليل الرأسمال من العلم ، أجهل من حمار ، لايدرى شيئًا في الأحكام الشرعية . وقدمت إليه عدة فتاوى فلم يجب عنها بشيء > لذلك كان موضع دعابة المصريين وسخريتهم . وقد هجاه بعض الشعراء ، فَن ذَلْك قُول أَحَدُهُم :

<sup>(</sup>۲،۱) این ایاس ه/۲۴

رأيت مسيحاً أعورا قبل موتنا أتى من بلاد الروم يمنع رزقنا يقدم قانونا على شرع أحمد فنسأل رب العرش يكشف كربنا وقال ابن إياس:

رأيتك لا ترى إلا بعين وعينك لا ترى إلا قليلا فإن تك قد أصبت بفرد عين فخذ من عينك الأخرى كفيلا فقد أيقنت أنك عن قريب إذن بالكف تلتمس السبيلا

张 蔡 恭

ثم شرعوا فى مسح الأراضى الزراعية بما فى ذلك الأوقاف وفرضوا عليها الضرائب الفادحة ، فرحل الفلاحون عن قراهم. قُال ابن إياس :

كان ابن عثمان مذجا مصر مثل الضيف رحل وولى علينا كل صاحب حيف مباشرين يجوروا في الشتا والصيف أطراف اقلامهم تفعل فعال السيف

وكان المصريون يحرصون على اقتناء الكلاب للحراسة من اللصوص وقطاع الطرق . فصدر سنة ٩٣٤ هـ أمر وصفه ابن إياس بأنه حادث غريب . وهو أن الوالى العثماني أمر بقتل الكلاب ، فوقعت فيها مقتلة عظيمة حتى كادت تفنى . وفي ذلك يقول ابن إياس :

تأملوا ما جرى بمصر من حادث عم بالمذاب فا رعى الترك فى دماء فكيف يرعون دم الكلاب ؟

فلماكثر قتل الكلاب توجه الزينى بركات بن موسى المحتسب إلى الوالى ورجاه أن يصدر أمره بعدم التعرض للكلاب. فأجاب الوالى هذه الرغبة ، ودعا النياس للزينى بركات ، وسكن الاضطراب الذى حدث بسبب هذا الموضوع.

泰 泰 泰

وعلى الرغم من أن مصر كانت ولاية عثمانية فإنها حافظت إلى حدكبير

على مكاتبها بين العالم الإسلامي . فكانت كعبة طلاب العلم ، إليها يفدون من مختلف البقاع الإسلامية حيث يجدون في الأزهر أروقة خاصة ، لكل طائفة رواق له أوقاف ، فيسكنون ويأكلون ويدرسون ، ثم يمودون إلى بلادهم بعد أن ينالوا نصيبا من الثقافة ، وسنرى ذلك مفصلا واضحا عند الكلام على الحالة الفكرية ،

وكان المحمل يخرج من مصر إلى الحجاز ، كما أن مصر كانت ترسل إلى الحجاز مقادير كبيرة من الحبوب ، ومبالغ من المال لتوزع على الفقراء وأبناء السبيل .

وكانت العلاقات التجارية والثقافية وثيقة بين مصر وشمال أفريقية • وقوافل الحجاج والتجار عمر بمصر في طريقها إلى الحجاز • كما أن العلاقات كانت وثيقة جدا بين مصر والشام ، وبينها وبين جزيرة العرب .

وهناك علاقات تجارية بين مصر وجنوب أوربا. فالسفن تصل إلى مصر محملة بالبضائع الأوربية حيث يتم استبدالها بالمحاصيل المصرية وكانت تقيم بالقاهرة والإسكندرية بعض الجاليات الأوربية ، من أفرادها من يعمل فى الصناعة و بخاصة ما يتعلق بشئون المبانى وإصلاح الساعات ، ومنهم من يشتغل بالتجارة ، ولهم أحياء خاصة مهم وكان لبعض الدول قناصل في القاهرة والإسكندرية .

\* \* \*

وقد وقف الشعب المصرى من العثمانيين فى بدء الاحتلال موقف السيخط والتبرم، وذلك لم أحدثوا من أنظمة جديدة فى القضاء وفيما يتعلق بالزواج والطلاق ولكن حدة هذا السخط أخذت تخف بالتدريج، واستطاع الولاة الذين عرفوا بالعدل والاستقامة أن يقضوا على سخط المصريين وكراهيتهم للحكم العثماني .

وكذلك كانمسلك الجنود العثمانيين فى بدء الاحتلال من أكبردواعي نفور (م ٢ الأدب الصرى)

المصريين من الحكم الجديد · فكانوا يقطمون الطريق في البروالبحر وينهبون كل ما وجدوا من البضائع . وظلت حوادث اعتداء الجنود على الناس تقل وتكثر تبعا للظروف ، ولكنها لم تنقطع طوال العصر العناني . ويبدو أن المصريين نظروا إليها على أنها حوادث فردية لا علاقة للدولة بها .

\* \* \*

وقد كان اشتباك الدولة العثمانية في جروب دائمة مع المسيحيين من العوامل الرئيسية التي أكسبتها قلوب المسلمين في مصروفي غيرها من الأقطار الإسلامية الزناعة عن المسلمين. وقد كسب السلطان العثماني منزلة مقدسة لا في قلوب المصريين فقط، بل في قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. فكانوا يرفعون أصواتهم مؤمنين على دعاء الخطباء يوم الجمعة حينا يدعون بالنصر لسلطان المسلمين ولوزرائه وقواده وعساكره في البروالي يوم الدين. فقد كان السلطان هو المجاهد والغازي في سبيل الله عوماي حمى الحرمين الشريفين.

وقد أدرك بو نابرت هذه الحقائق حيمًا جاء لغزو مصر فنوه فى منشوراته بصداقة فرنسا للسلطان ، وذكر أنه حضر إلى مصر للقضاء على طائفة المماليك وإرجاع مصر إلى حكم السلطان . وما فعل ذلك إلا لعلمه بالمكانة المقدسة التى يحتلها السلطان في قلوب المصريين .

ولما اختنى نفوذ العمانيين وحل محله نفوذ المماليك الذين كانوا فى نزاع ندائم حول خيرات البلاد ، كان من الطبيعي أن يقف المصريون من هذا النزاع موقف المتفرج . وقد وجدنا قلة من هؤلاء المماليك فيتحت قصورها أمام الشعراء والأدباء فنظموا في مدحهم القصائد والموشحات والأزجال، ودبجوا المقامات . هذا موجز عن الحالة السياسية في مصر خلال ذلك العصر .

# لفصل لشياني

### الحالة الاجتماعية

ظهر في هذا العصر شراب القهوة (١) وقد قيل إن أول من اهتدى إليه هو أبو بكر بن عبد الله المعروف (١) بالعيدروس وكان أصل اتخاذه له أنه عن في سياحته بشجر البن فاقتات من عمره حين رآه متروكا مع كترته فوجد فيه تجفيفاً للدماغ ، واجتلابا للسهر ، وتنشيط اللعبادة . فاتخذه قوتا وطعاما وشرابا ، وأرشد أتباعه إليه . ثم نشر ذلك في المين والحجاز ومصر . وقد جاء أبو بكر إلى مصر سنة ٥٠٥ ه ، فكا أن الصوفية هم الذين أدخلوا مادة الحشيش المخدرة إلى مصر في أوائل القرن السابع للهجرة ، وأشاعو الستعالما بين المصريين ، كذلك أدخلوا شراب قهوة البن إلى مصر في أوائل القرن

وكما اختلف المصريون فى الحشيش ، وهل هو حلال أم حرام ؛ اختلفوا كذلك فى أمن القهوة ، فذهب قوم إلى تحريمها (٢) لما فيهامن الضرر ، وخالفهم آخرون ومنهم المتصوفة ، وقالوا بإباحتها لأنها ليست مسكرة ولا مغيبة . وإنما فيها تنشيط النفس لا شفالها ومايطلب منها ، وخصوصا فى سهر العبادة أو قراءة القرآن ، أو دراسة علم ، أو تحصيل معاش ، فإن قصد بها الإعانة . على شىء من ذلك كانت قربة عند الله تعالى .

أما الذين حرموها فقد استندوا إلى أنها تحاط عند شربها بطقوس

<sup>(</sup>۱) لم يرد في القاموس المحيط عن كلة « البن » ولا هذه العبارة « البن ، بالضم ، شيء يتخذ كالمرى »

<sup>(</sup>٢) الـكواكب السائرة طبع ببروت سنة ١١٤٥ ١١٣/١

ر ٣ ) رسالة عن القهوة ، تأليف محمد الدنوشرى المصرى المتوفى سنة ١٠٢٥ ه مخطوط رقم ١٥١ مجاميع \_ دار الكتب

كالتى تحاط بها الحمر كتصفيق شاربها ، وإنشاد أشعار الفزل والحب، ووصف الحمر، إذ أن ذلك يفسد النفوس و بخاصة إذا صحبها مخدر مثل الحشيش ، وخبز الغراب ، والأفيون ، ولأن المقاهى تجمع الصغار والسكبار ، والأراذل الذين يروجون الأكاذيب ويغتابون الناس ، ويلعبون الشطرنج وألعاب الميسر . وأنكروا على رجال الدين ذهابهم إلى المقاهى ورأوا أن ذلك يخل بالمروءة ويسقط الشهادة ويدنس العرض .

وقد ألف المتمصبون لها الرسائل في بيان فضائلها ومنافعها وذكروا أن شجرة البن في الجنة غرسها سبعون ألف ملك ، وتسمى شجرة السلوان ، لأنها خرجت مع آدم ليتسلى بها عما فاته من النعيم المقيم . وقالوا إن مداومة أكل البن يقوى النظر والفهم ، ويصفى الذهن ، ويشرح الصدر ، ويزيل الهم ويطيب النكهة ، ويقطع البلغم ، ويدفع الجدرى والحصباء والسحر . وفي أكل سبع حبات منه دعوة مستجابة ، لأن فيها .

وقد زار الرحالة المغربي أبو بكرالعياشي مدينة القاهرة ١٠٣٧ ه فقال (١٠٠٥ ثم دخلنا لزيارة الشيخ إبراهيم الميموني \_ رضى الله عنه \_ ومنزله قرب الجامع \_ يعنى الجامع الأزهر \_ وقدم لنا طعاما حسنا وكنا جماعة . وهذا خلاف المعتاد من أهل مصر ، وإنما يتكارمون بينهم بشراب البن الذي يسمو له القهوة . ونحن لا نعرفها وليست عندنا بطعام ولا دواء ولا شهوة . والسكلام فيها من حيث الحسم بالإباحة وعدمها طويل عريض ، معلوم شهير نظاو نثرا ه فيها من حيث الحسم بالإباحة وعدمها الياحة . وترشيح قوطم بفعل أكثر الصوفية مع تورعهم في المطاعم والمشارب ، زاعمين أنها تعين على السهر في المعادة ، ويستعين بها الطلبة كثيرا في المطالعة الليلية . ولا شك أنها تزيل

<sup>(</sup>١) رحلة أبي بكر العياشي ١/ ١٢٥ طبع الجزائر سنة ١٣١٦ ه

ما يحصل في الرأس من تدويخ بسبب السهر، أو خلو المعدة صباحا . فإذا شربها الإنسان وجد في أعضائه نشاطا ، وأحس بخفة في رأسه ، وهذا في الغالب لمن اعتادها ، وهي مخففة اتفاقا وهاضمة . وصحح بعض العلماء أنها تحرم على من طبعه السوداء ، وتركره لمن طبعه الصفراء . وهي نافعة لصاحب البلغم . وغيرها من أنواع المطعومات كذلك يحرم تناول مايضر منها على من علم أنه يضره . ولا يكون ذلك موجبا للحكم بتحريمها »

﴿ والحاصل أن الشاربين لها فريقان : فريق يشربونها فى أماكن معدة لذلك مزخرفة ، قلما تخلو من لهو وحضور من لا يحل حضوره من الجوارى والمرد . فهؤلاء الحامل لهم على شربها اتباع الأهواء والتلذذ بما قارفها من الأمور المذمومة ، فلا يبعد أن يقال إنها فى حق هؤلاء محرمة ، لا لذاتها بل لما قارفها »

« وفريق يشربونها في سكنهم أو حوانيتهم ، أو يشربونها في السوق . ويشربونها من غير جلوس مع الفريق الأول ، فهؤلاء الحامل لهم عليها إلفهم لها حتى إنهم ربما يتضررون ضرراً خفيفاً بتركها كما يتضررمن ألف الحجامة بتركها ومن ألف شرب العسل المسهل بتركه وغيرذلك من الأمورالتي يعتادها الناس ، ويحملهم عليها أيضاً تحصيل المنافع المتقدمة من الاستعانة على السهر ومن إزالة التدويخ صباحا » .

وغالب ما يستعملونها مع طعام خفيف من كعك أوكسر خبز ، فيكفيهم خلك إلى وقت الغداء. هذا كله مع خفة المئونة ، إذ مجلس واحد يشرب من ذلك ما يكفيه مع تيسرها في أى وقت أرادها . ولا يحتاج فيها إلى أكبر مئونة ، ولا مقارفة إدام أو ملح أو أبزار أو خضر أو غير ذلك مما يحتاج إليه غالب الأطعمة »

﴿ ويزاد على ذلك وهو أكبر منافعها عندهم أنها تقوم مقام الغذاءالمضيف بحيث لايستحى أحد فى تقديمها للباشا فمن دونه · ويقوم ذلك عندهم مقام ما يتكلفه المرء عندنا من أطعمة كثيرة تبلغ قيمتها فى بعض الأحيان دينارا

فأكثر · ودرهم واحد يقوم مقام دينار لا يكرهه أحد · بل لو قدم أي. طعام لم تكن معه فكأ نه لم يقدم شيئاً ، وإن قدمت هي كفت · •

\* \* \*

وقد ساهم الشعراء في هذه المعركة بنصيب؛ فنظموا القصائد والمقطوعات. في مدح القهوة والإشادة بمزاياها • ومن (١) هؤلاء إبراهيم بن. المبلط ٤٠ وكان موجودا سنة ٩٩١ه قال :

ياعائباً لشراب قهوتنا التي تشنى شفاء النفس من أمراضها أو ما تراها وهي في فنجانها تحكي سواد العين وسطبياضها؟ وقال آخر:

للبن سر قد حكته شيوخنا يانعم منه كلهم أقطاب فيهم نقول وقد تكامل وصفه فى أكله نفع وفيه ثواب وقال عد البكرى المتوفى سنة ٩٩٤ هـ

وقهوة بن تورث اللب قوة ومن عجب والقشرأصلوعنبر ومهما أرادت عصبة منع شربها ترىأمرها يعلو ويقوى ويظهر وأعجب منها قول من ضل رأيه بلىعرف الحق الصراح وينكر يكابر فيها الحق والله شاهد فيزعم فيها أنها الحس "تسكر تحقق فيها النفع السيا لمن عن الجد في فعل العبادة يَفتُر

وبقيت مشكلة تحريم القهوة وتحليلها بين علماء مصر مدة من الزمن ولكن لم ينته القرن العاشر حتى انعقد الإجماع على تحليلها . وفتحت المقاهى في أحياء القاهرة ، وأخذ أصحابها يتنافسون في اجتذاب الناس . فكان منهم من يستأجر القصاص ليقصوا الحكايات المشوقة ، والقصص المعجبة وبخاصة سير الأبطال والمغامرين . فظهرت في ذلك الوقت سيرة الظاهر بيبرس وهي .

<sup>(</sup>١) الكواكب السائرة ١٢/١

قصة طويلة امتازت بخيال خصب ووقائع طريفة ، فضلا عن أنها تصور حياة المجتمع المصرى أحسن تصوير ، وتسجل كثيرا من عاداته وأخلاقه .

وظهرت قصة أخرى هي سيرة الأميرة ذات الهمة . وبعض قصص صغيرة مثل « الدرة المكللة في فتح مكة المبجلة » و ﴿ غزوة الإمام على مع اللعين الهضام بن الحجاف » و « فتوح اليمن المعروفة برأس الغول » وغير ذلك مما عسى أن يكون قد ضاع .

وتضخمت قصص كانت معروفة من قبل مثل سيرة أبى زيد الهلالى ، وسيرة عنترة العبسى ، وسيرة سيف بن ذى يزن ، وقصة ألف ليلة وليله . ويتخلل هذه القصص شعر تقرب لغته من اللغة العامية ينشده القاص مع أعوانه تنشيطاً للسامعين ، ولكل قصة كبيرة طائفة مر الناس اختصوا بسردها على الجماهير . فكانت هناك طائفة الظاهرية ، والعنترية ، والهلالية ، واليزنية ، وهكذا .

و إلى جانب القصاص كانت هناك طوائف المنشدين الذين ينشدون الأشعار والأزجال والموشيحات متخذين آلات الطرب كالربابة والعود. فراجت سوق الأدب الشعبي رواجاً عظيما .

وقد كثر فى هذا العصر انتشار المواد المخدرة وبخاصة الحشيش وأنواع السطل ، وانتشرت قصص الحشاشين ونوادرهم وفكاهاتهم . وألف بعضهم فىذلك رسائل وفصولا فيها مايدل على قوة الخيال وخفة الروح التى اشتهربها المصريون حتى فى عصور المحن والشدائد.

\* \* \*

وفى هذا العصر انتشر الدخان الذى ظهر فى مصر لأول مرة (١) سنة ١٠١٣هـ كما ذكر الإستحاق فى تاريخه . وهو مؤرخ معاصر لاشك فى صدقه .

<sup>(</sup>١) لطائف أخمار الدول ص ١٢٥

وقد ذكر لنا رأيه في الدخان فقال : ﴿ إِنَّ الدَّخَانَ مَضَّرَ بَالاَّ بِدَانَ ، وَهُو يأبس الطباع ، لاشيء فيه من الانتفاع ، مبطل لحركة الجماع ، مسو دللا سنان، إ مهرب للائكة الرحمن . وعاقبته وخيمة ، ومداومة شربه ذميمة ، يورث النَّين في الفم والمعدة ، ويظلم البصر ، ويطلع بخاره على الافتدة . ومن زعم أن شربه محرق للبلغم فقد أخطأ فيما زعم ، وقوله في ذلك غيرصحيح . ولولم يكن من دناءته إلا ولوع السودان به والأجلاف لكان في ذلك ما يكف عنه الأشراف » •

ولم يكن شأن الدخان كشأن القهوة ، فقد تمسك كثير من فقهاء المسامين بتحريمه . ومازال المسلمون في اختلاف منأمره ، فالوهابيون مثلا يحرمو نه . وكانت تصدر أحياناً أوامر عنع تعاطيه جهارا • فقد ذكر الجبرتى في حوادث سنة (١) ١١٥٦ه أن الوالى العثماني أصدر أوامر بمنع شرب الدخان في الشوارع وعلى الدكاكين وأبواب البيوت ، ونزل ومعه الأنا ونادى بذلك وشدد في الإنكار والنكال بمن يفعل ذلك ، وأخذ الأُغا يمر ثلاث مرات في اليوم، وكل من رأى في يده آلة الدخان عاقبه، وربما أطعمه الحجر الذي يوضيع فيه الدخان بما فيه من النار •

وقد تعصب المتصوفة للدخان كما تعصبوا للقهوة والحشيش من قبل • ونظم بعض الشعراء شعرا في ذلك ، نذكر منه قول أبي المواهب البكرى المتوفي سنة ١٠٣٧ هـ

> واستجل أنوار شمع من يدى رشأ لعل نار أسى بالبعد قــد وقدت فاملا كئوس رحيق كالحريق فقد ودع ملام طبيب عابها سفها

هات اسقني التبغ إن تبغ الصفاسحرا حتى أُخَدَّر منه وهو إغشاء يوما يكون لهابالقرب إطفاء أغنتك إذ وصفت باللطف صهاء وداوني بالتي كانت هي الداء

<sup>(</sup>۱) ۲/۲۱ طبع بولاق سنة ۲۲/۱ ه

ولم تكن لفائف التبغ قد عرفت فىذلك الوقت ، و إنما كان يوضع الدخان فى الأحجار التى مازالت تتخذ فى النارجيلة . ولذلك ذكر الشاعر النار والكئوس ويعنى بها الأحجار ، كما ذكر الساقى الذى ناوله هذه النارجيلة وتفزل فيه على عادة شعراء الخمر .

\* \* \*

وانتشر مدعو الولاية فى كل مكان يحتالون على أكل أمو البالناس بالباطل. فروى الجبرتى فى حوادث (۱) سنة ۱۱۰۷ه أن رجلا اسمه العليمى حضر من الفيوم وأقام بالقاهرة مدعيا الولاية . فاجتمع عليه كثير من العوام ، واختلط الرجال بالنساء ، وحدث بسبب ذلك فساد عظيم . وأغضب هذا بعض العساكر فقتلوه ، وفى ذلك يقول حسن البدرى الحجازى :

جاء دجال بمصر وادعی ما یدعیه هرع الناس إلیه من وضیم وسفیه وعلیه قد أكبوا یر بجون الخیر فیه وله یدنی صریع لیری ما یعتریه فیری فیه انعکاسا خاب من یسعی إلیه ولساء مع رجال جالسات بالبدیه طول لیل مع رجال جالسات بالبدیه طول لیل مع نهار أجل فسق تبتغیه

وحدث في سنة ١١٧٣ه أن بعض خدام المشهد النفيسي أظهر عنرا صغيرة وزعم لها كثيرا من الخوارق والكرامات ، وأنها تكلم السيدة نفيسة ، وادعى أنه يسمع كلامها . وخدع بذلك العامة من الرجال والنساء ، فحملوا إليها الهدايا الثمينة كأطواق الذهب والفضة ، والمأ كولات الشهية كالجوز والفستق وماء الورد . فأرسل الأمير عبد الرحمن كتخدا إلى صاحب العنز يدعوه لزيارته مع العنز ليتبرك بها . فلما ذهب أدخلت العنز إلى المطبخ وذبحت دون أن يشعر صاحبها ولا يعلم ماجرى على عنزه . وبعد الأكل أراد أن ينصرف فسأل عنها فقيل له إنها كانت على المائدة . ثم وبخه الأمير وعنفه

<sup>. 7 / / ( 1 )</sup> 

وأمر أن يوضع جلدها على رأسه ويذهب في موكبه الذي جاء به . وفي ذلك يقول عبد الله الإدكاوي .

ببنت رسول الله طيبة الثنا نفيسة لذ تظفر عا شئت من عز لطلابها ياصاح أنفع من كنز ورم من جداها كل خير فإنها ومن أعجب الأشياء تيس أرادأن يضل الورى في حبها منه بالعنز فعاجلها من نور الله قلبه بذبح ، والتيس من اجلها مخزى

وكان بعض مدعى الولاية يسيرون في الشوارع حفاة عراة ، ولا يصلون ولا يصومون. وقد(١) سأَنْ عبد الله جاك مينو قائد الحملة الفرنسية في مصر شيوخ الأزهر عن الذين يسيرون في الأسواق ويكشفو نعوراتهم ويصيحون. ويصرخون ويدعون الولاية وتعتقدهم العامة ، ولا يصلون صلاة المسلمين ولا يصومون ، وهل هذا جائز في الدين الإسلامي أم محرم ؟ فأجابوه بأنه حرام ومخالف للدين والشرع والسنة. فأمر جاك مينو بمنع هؤلاء الناس من السير على ما اعتادوا ، وإلقاء القبض على كل من يخالف ووضعه في المارستان إنكان مجنونا ، أو إخراجه من القاهرة إنكان عاقلا .

وكثر ظهور أرباب الطرق الذين اتخذوا التصوف والدروشة وسيلة للكسب الحرام. فكانوا ينتقلون من مدينة إلى أخرى ، ومن قرية إلى قرية · يقيمون الحضراث ، ويعطون العهود والمواثيق للناس . فيضطر هؤلاء إلى إقامة الولائم للمشايخ ، وتقديم الهدايا لهم من سمن وزبد وجبن وحبوب وأغنام وفواكه . فيجمع المشايخ مقادير كبيرة من هذه الأشياء ، وبذلك يعيشون عالة على المجتمع ، ويستحلون أموال الفلاح الفقير المسكين . وقد عرض الشعراني بهؤلاء المحتالين تعريضا شديداً في كثير من كتبه . مثال ذلك ماجاء في ﴿ رسالة في التصوف ﴾ له حيث يقول: ﴿ . فقد دعاني داعي الشفقة على طائفة من الفقراء في هذالزمان ، سموا أنفسهم بالصوفية ، وادعوا

<sup>(</sup>١) الجبرتي ٣ / ١٤١

الولاية الكبرى وهم أضل من الأنعام. فصار كل من أذن له شيخه بأن يستفتح الذكر بجماعة ، وأذن له بأن يلقن الناس أو لم يأذن له ، وسمع فى خلوته هاتفا من جنى أو شيطان ، يظن أنه ولى الله عز وجل . فيجمع له جماعة من العوام من أهل الصنائع وغيرهم . فتارة يجلس فى بلده ، وتارة يطوف البلاد ويكلف العباد فى هذه الآيام الكدرة النكدة على الخاص والعام . وهو مع هذا يدعى أنه قائم فى الخلق مقام نبيهم صلى الله عليه وسلم . وكنى بذلك كفرا وجهلا وسوء أدب . ٣

ومن هنا نرى أن أحوال تلك الطائفة كانت موضوعاللكتاب والشعراء وبخاصة فى أوائل العصر العثماني . وهذا من الأدب الاجتماعي الذي يتناول دراسة المجتمع ، وإظهار مافيه من عيوب ، والإرشاد إلى العلاج .

\* \* \*

وقد أخذت الأضرحة التي وجدت في مصر منذ القرت الثالث الهجرى ترداد يوما بعد يوم حتى صار لكل قرية ضريحها . وظل الناس كماكانوا من قبل عاكفين على إقامة الموالد لأصحاب هذه الأضرحة، مدفوعين إلى ذلك بعوامل مختلفة ، فقد كانت هذه الموالد أسواقا تجارية ومعرضا للسحرة والمشعوذين، يعرضون فيها ألعابهم على الناس ، وأمكنة يجتمع فيها الحواة وأصحاب الألعاب البهلوانية وتقام فيها المطاعم والملاهي والمراقص والمغاني . ومضمارا يتبارى فيه ركاب الخيل ، وكان الأدباء والشعراء يجتمعون ببعض هذه الموالدو بخاصة مولد الحسين وأحمد البدوى ، والسيدة زينب والسيدة نفيسة ، وينشدون ما نظموا من قصائد في مدح أصحاب هذه الأضرحة والتوسل بهم ، وما نظموه في أغراض أخرى كالألغاز والتصوف والدعابات والفكاهات وغير ذلك . وقد كثرت القصائد التي نظمت في مدخ أحمد البدوى ، والحسين ، والسيدة زينب.

وفي هذا العصر استمر الجدل بين الفقهاء والمتصوفة حول الرقص والغناء والمضرب على الآلات الموسيقية في حلقات الذكر . فكان الفقهاء ينكرون هذا ويرونه من المحرمات التي يجب منعها ، وقداً لف ابن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٤ هكتاب «كف (١) الرعاع عن محرمات اللهو والسماع » وهو رد على كتاب لأحد المتصوفة سماه « فرح الأسماع ، برخص السماع » ويقول ابن حجر إن الرعم بأن الغناء يرقق الفلب زعم باطل ، والحق إنه يحرك الشهوات ، وهو شعار الفسقة ، والرقص إذا حدث عن تواجد فلا حرمة فيه . على أن التواجد غير مسلم به لصاحبه لما يتضمنه من التكاف والتصنع والرياء .

ولعبد الرحمن به مصطفى العيدروس المتوفى بالقاهرة سنة ١٩٢ه رسالة المحاها « تشنيف الأشماع ببعض أسرار السماع » أيد فيها وجهة نظر المتصوفة.

وقام بالجامع الآزهر (٢) سنة ١١٤٧ ه رجل تكرورى ادعى النبوة ، وزعم أن جبريل نول عليه وعرج به إلى السماء ليلة سبع وعشرين من رجب ، وأنه صلى بالملائكة ركمتين وأذ ناه جبريل. ولما فرغ من الصلاة أعطاه جبريل ورقة وقال له «أنت نبى مرسل، فانول وبلغ الرسالة، وأظهر المعتجزات فرماه العلماء بالجنون فرد عليهم قائلا إنه ليس بمجنون ، وإنما هو نبى مرسل فضربوه وأخرجوه من الجامع . ثم أرسل إلى المارستان ، فاجتمع عليه الناس رجالا ونساء فأمن الوالى بوضعه في السجن، وطلب من العلماء أن يعرضوا على هذا الرجل التوبة ، فامتنع وأصر على رأيه فأمن الوالى بقتله ، فقتلوه وهو يقول الرجل التوبة ، فامتنع وأصر على رأيه فأمن الوالى بقتله ، فقتلوه وهو يقول في فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » و نظم الشعراء في ذلك شمرا و مواليا فن المواليا قول أحدهم:

<sup>(</sup>١) مطبوع بهامش « الزواجر عن اقنراف السكبائر »

<sup>(</sup>۲) الجبرتی ۱/۱۱۷

وقد انتشرت الآراء الإلحادية بين عدد قليل جدا من المصريين ف أوائل هذا العصر وربماكان الذي نشرها هو داود الأنطاكي فإننا نجد الشهاب الخفاجي الذي درس الطب على داود (١) يقول في ترجمته له ﴿ إنه على مذهب الحكاء ومشرب الندماء . ولذاكثر كلام الناس في اعتقاده ، و نقل عنه رشح قطر من خفي إلحاده . ثم لماكثر اللغط فيه ارتحل للبيت العتيق فطافت به المنية من كل فيج عميق »

وذكر صاحب خلاصة الأثر (۲) في ترجمة يحيى بن عيسى الكركى الملحد الزنديق ، كما وصفه ، أنه سافر إلى مصر في طلب العلم ﴿ وكا أنه عاشر بعض الملاحدة فغلبت عليه اعتقادات فاسدة ، وبث فيها شيئاً من اعتقاداته » والكركى هذا قتل سنة ١٠٠٨ه و داو د الأنطاكى كان بالقاهرة إلى سنة ١٠٠٧ وعلى هذا فربما يكون الكركى قد اتصل وهو بالقاهرة بداو د وتلاميذه ، وأخذ عهم الآراء الإلحادية . ولكن ليس في كتب داو د التي وصلت إلينا ما يدل على إلحاده ، بل على المكس فيها ما يدل على أنه كان عميق الإيمان . فلعله كان يتحدث بأحاديث فلسفية رأى الناس فيها إلحادا . وربما شعر بأنهم أرادوا به سوأ فرحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج قطعاللاً لسنة أما الكركى فإنه تهور وصرح بالكفر فلذلك كان نصيبه أن ضرب في القاهرة ، وقتل عين رجع إلى بلده ،

وقال صاحب (هز القحوف (٣) عمانصه: (٠٠. وسمعت بعض الملحدين من الدراويش المحلقين لحاهم يقول كلاما يخالف الكتاب والسنة، وهو أن البعث والنشور، والجنة والنار لاحقيقة لها. وأن الشخص جنته وناره وحسابه في نفسه وأن الدنيا لاتفنى ولا تزول. وإن الشخص إذا خرجت روحة ومات دخلت في جسد من الأجساد، في آدمي أو حيوان، حتى يدور عليها الدور فترجع إلى صاحبها الأول فيظهر بصورته التي كان عليها أولا. وهكذا سأر الموالم»

<sup>(</sup>١) ريحانة الألبا ص ٢٧١ طبع بولاق سنة ١٢٨٤ هـ (٢) ٤ / ٢٧٨

<sup>(</sup>٣) س ٧٦ طبع بولاق سنة ١٣٠٨ هـ

ورأينا حكام هذا العصر يخشون بأس الأزهريين ولا يستطيعون لهم دفعاً ويحاولون أن يسترضوهم ولا يؤخرون لهم طلباً . وقد حدث أن ورد مرسوم سلطاني إلى الوالي ينص على إلغاء ما يصرف من الأوقاف الخيرية في جهات البر . وأن ترسل أموال هذه الأوقاف إلى السلطان . وعقد مجلس حضره الوالي والقاضي العثماني والشييخ سليان المنصوري من علماء الأزهر . فقال القاضي : أمر السلطان لا يخالف وتجب طاعته . فاعترض الشيخ سليان قائلا: إن أموال هذه الأوقاف تنفق في وجوه البر ، ولا يجوز لأحد يؤمن بالله ورسوله أن يبطل ذلك ، وإن أمر ولي الأمر بإ بطاله لا يسلم له ، لأنه مخالف الشرع ، ولا يسلم له ، لأنه مخالف الشرع ، ولا يسلم له ، لأنه مخالف المشرع ، ولا يسلم لله مرسوم السلطان . والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها ما حدث (۱) سنة ١٩٩١ ه حين اختلف الأزهريون مع بعض الأمراء فاجتمعوا بالجامع الأزهر وأقفاوا أبوابه وأبطاوا الدروس والأذان والصاوات . وطلع بعض شبابهم على المآذن وأكثروا من الصياح والدعاء على الأمراء . فلم يسع هؤلاء إلا أن أقبلوا مسرعين وأجابوا الأزهريين على مطالبهم .

وكانوا يشتمون الأمراء ويعنفونهم. وقد (٢) حدث أن يوسف بك ؟ وكان يحكم البلاد نيابة عن محمد بك أبي الذهب ؟ نقم على أحد القضاة فأمر بحبسه. فلما سمع علماء الأزهر بذلك توجهوا إلى منزل يوسف بك وناقشوه في موضع حبس القاضى. وسبه الشيخ على الصعيدي وقال له « لعنك الله ، ولعن اليسرجي الذي جاء بك ، ومن باعك ومن اشتراك ، ومن جعلك أميراً » وأخذوا القاضى المحبوس وخرجوا وهم يسبونه وهو يسمعهم . ولم يفقد الأزهريون تلك المنزلة إلا منذ قيام حكم محمد على .

\* \* \*

<sup>(</sup>۲) الجبرتى ۱/۹۰۲

وقد اهتم الأمراء والأعيان والحكام بإقامة القصور الفخمة ، وبناء المساجد والمدارس والأسبلة . فكان للبكريين قصور كثيرة حول بركة الأزبكية وبركة الرطلي . وللسادات قصــورهم كذلك . وتنافس الأمهاء في تشييد الدور الواسعة وأنفقوا عليها أموالا طائلة . ومن أشهر الولاة الذين اهتموا بحركة التعمير سنان باشا ..ومن الأمراء رضوان كتخدا الجلني (١) المتوفى سنة ١١٦٨ ه فقد أنشأ عدة قصور بالغ في زخرفتها . وتأنيقها . وعبد<sup>٢٠</sup>الرحمن كتخدا المتوفى سنة ١١٩٠ هـ وكانّ مغرماً بإيّامة المساجد والكتاتيب والأسبلة والأضرحة. فأنشأ بين القصرين سبيلا يعلوه كتاب . وقد لفت هذا البناء الأنظار بما تجلى فيه من دقة الصنعة وجمال الفن. وبني جامع المغاربة وسبيلا وكتاباً بالقرب منه. وشيد تجاه باب الفتوح مسجداً بمنارة وصهريجاً وكتاباً . وبالقرب من الأزبكية سقاية وحوضًا لستى الدواب وكتابًا . وأنشأ مثل هذا في أماكن أخرى . ومن أهم أعماله الإنشائية الزيادة التي أدخلها على الجامع الأزهر ، والتي رفع سقفها على خسين عاموداً من الرخام ، مع مثلها من البوائك المقوصرة المتسعة المبنية من الحجر المنتحوت . وبني فوقها مكتباً فخماً لتحفيظ القرآن ، وأنشأ به سبيلا . وشيد بالأزهر رواقاً لأهل الصعيد الذين يطلبون العلم، وجعل به مهافق ومنافع ومطبخاً ومخادع وخزائن للكتب. وأقام للأزهر منارتين . وجدد رواق المكيين والتكروريين . وأعاد بناء المدرسة الطيبرسية التي بالقرب من المشهد الحسيني ، وجدد مسجداً بجوار ضريح الإمام الشافعي . وجدد المسجد النفيسي والجامع الملحق به . وبني جامعاً عند باب البرقية وحوضاً وسقاية ومكتباً ، وعين به بعض المدرسين أ. وبني مسجداً ومكتباً بالقرب من كوم الشيخ سلامة بالأزبكية . وأدخل إصلاحات كثيرة على ضريح شيخ الإسلام زكريا الأنصارى . وجدد بناء مشهد السيدة سكينة ، والسيدة عائشة ، والسيدة فاطمة ، والسيدة وقيلة ،

<sup>(</sup>۲،۱) الجبرتي ۱/۲۲۱، ۲/۰

وأبي السعود الجارحي . وبني جامعاً ورباطاً بحارة عابدين . وأعاد بناء المدرسة السيوفية والمارستان المنصوري . ولحص عن أوقافه واستخرجها ممن وضعوا أيديهم عليها . وشيد بالقاهرة عدة قناطر على الخليج وأقام عائر كثيرة وقناطر في بعض جهات القطر المصري وفي الحجاز . وبني لنفسه قصرين عظيمين أحدها بحبهة بولاق ، والآخر بعابدين . وكان قصره بعابدين في منتهى الفخامة والروعة ، مبلطاً بالرخام والقيشاني ، ومنقوشاً بالذهب واللازورد والأصباغ البديعة الألوان ، وغرس به حديقة غناء ، وأنشأ فيها فسقية ذات أعمدة من الرخام وقع كان عالماً بهندسة البناء ، مهما بالإنفاق على الفقراء وبخاصة العميان ، ولذلك مدحه الشعراء . فن ذلك قصيدة طويلة نظمها أحدهم نوه فيها بما شيده هذا الأمير من المباني ، اسمها طويلة نظمها أحدهم نوه فيها بما شيده هذا الأمير من المباني ، اسمها «مشارع (۱) خيرات حسان في مدح الأمير كتخدا عبد الرحمن » .

و نجد الرحالة الإنجليزي إدوارد لين الذي زار مصر سنة ١٨٢٥ يقول. واصفاً حركة العمران (٢): ﴿ أَمَا النَّنِ الذي برع فيه المصريون فهو فن العهارة . وتشاهد في العاصمة وما يحيط بها أروع آيات النن المعارى العربي . وليست المساجد وغيرها من المنشآت العامة هي وحدها التي تتميز بالروعة والجمال ، بل إن البيوت التي يملكها الأفراد تثير فينا هي الأخرى الإعجاب ، وخاصة البناء الداخلي منها ، والنقوش التي تزينها ﴾ .

\* \* \*

ولم يعرف المصريون الأوربيين حق المعرفة إلا منذ قدوم الحملة الفرنسية . أما قبل ذلك فإن الجاليات الأوربية التي كانت تنزل بالقاهرة والإسكندرية كانت تعيش في أحياء خاصة ، وتتزيا بالزى الشرقي وتتكلم اللغة العربية حتى كان من الصعب المتمييز بين الأوربي والتركى . ولم يعرف المصريون شيئاً عن

<sup>(</sup>١) منها نسخة خطية بدار الـكتب تحت رقم ١٦٦٤ ــ أدب في ٣٠ ورفة .

<sup>(</sup>٣) أنجليزى في مصر ترجمهٔ فاطمة محجوب. طبع دارالتحرير بالقاهرة سنة ١٩٥٧ ص٩٧٠

أوربا الحديثة وما أحرزته من ضروب التقدم والرقى . وحتى بعد قدوم الحملة ظلت معلومات المصريين عن الفرنسيين مشوهة تدعو إلى الضحك . انظر مثلا إلى ما يقوله الشيخ عبد الله الشرقاوى عنهم : « . . . وحقيقة (١) حال الفرنساوية الذين حضروا إلى مصر أنهم فرقة من الفلاسفة إباحية طبائعية يقال لهم نصارى قاثوليقية ، يتبعون عيسى عليه السلام ظاهراً ، وينكرون البعث والدار الآخرة وبعثة الأنبياء والمرسلين . ويقولون إن الله واحد لكن بطريق التعليل . ويحكون العقل ويجعلون منهم مدبرين يدبرون الأحكام ، يضعونها بعقولهم ويسمونها شرائع . ويزعمون أن الرسل مجلاً وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء ، وأن الشرائع المنسوبة إليهم كناية عن قوانين وضموها بعقولهم تناسب أهل البلاد بحسب عقولهم . وكان في ذلك رحة بأهل مصر ، فإنهم جعلوا من جملة ديوانها جماعة من المشامخ وصاروا يراجعونهم في بعض أشياء لا تليق بالشرع »

o # #

وقد تعرضت البلاد لكثير من الأوبئة والطواعين والمجاعات التي كانت تفتك بالناس فتكا ذريعا . وزاد الحالة سوأ كثرة الفتن والمعارك التي كانت تدور رحاها بين بعض الماليك وبعضهم الآخر قال الجبرتي (٢) في حوادث سنة ١١٩٨ هما ملخصه « وانقضت هذه السنة كالتي قبلها في الشدة والفلاء وقصور النيلوالفتن المستمرة ، وتواتر المصادرات والمظالم من الأمراء وانتشار أتباعهم في النواحي لجباية الأموال من القرى والبلدان حتى أهلكوا الفلاخين . وترك كثير منهم الحقدول وانتشروا في المدينة بنسأتهم وأولادهم يصيحون من الجوع ، ويأكلون مايتساقط في الطرقات من قشور البطيخ وغيره ، فلا يجد الزبال شيئا يكنسه . واشتد بهم الحال حتى البطيخ وغيره ، فلا يجد الزبال شيئا يكنسه . واشتد بهم الحال حتى

<sup>(</sup>١) تحفة الناظرين ص ٧٤٥ ،طبعة بولاق

<sup>14 / 4 ( 4 )</sup> 

الميتات من الخيل والجمير والجمال. فإذا خرج حمار ميت تزاحموا عليه وقطعوه وأخذوه. ومنهم من يأكله نيئا من شدة الجوع ومات كثير من الفقراء جوعا. وازداد الغلاء وعزالدرهم والدينار من أيدى الناس. وقل التعامل إلا فيا يؤكل. وصار سمر الناس وحديثهم في المجالس ذكر المآكل والقمح والسمن ونحو ذلك لاغير. ومد الأمراء أيديهم إلى المواريث يغتصبونها بالرغم من وجود الورثة الشرعيين وأصيب المجتمع بالتفكك والانحلال ، فقد فسدت النيات ، وتغيرت القلوب ، ونفرت الطباع ، وكثر الحسد والحقد ، وعمت الوشاية والنمية »

وكان هذا سببا فى إقبال الناس على التصوف والالتحاق بالتكايا أو المعاهد الدينية ليعيشوا من الأوقاف المرصودة على هذه الأماكن .

ولم يكن الريف للمرى يعانى مظالم المماليك فقط ، بل كان يعانى كذلك مظالم العربان الذين اعتادوا أن يشنوا الغارات غلى القرى والكفور ، وينهبوا المحصولات والمواشى والأغنام . فلا عجب أن انحط الريف المصرى إلى حد كبير ، وأصبح في حالة يرثى لها من الفاقة والإملاق وسوء الحال . وإنك لتجد في كتاب «هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف» للشربيني صورا كثيرة لما آل إليه الريف المصرى من البؤس والفقر .

هذا موجز عن الحالة الاجماعية في مصر إبان العصر العثماني .

## الفضالانالث

## الدلة الفكرية

ساد في هذا العصر مذهب أهل السنة ، وهو المذهب الذي عرفته مصر .منذ سقوط الدولة الفاطمية . وكانت آراء الأشعرى هي المعتمدة عند غالبية رجال الدين . والانحياز إلى آراء الأشمري يقتضي مهاجمة المعترلة الذين قل وجودهم في العالم الإسلامي إبان المصر الذي ندرسه ، ولكن كتبهم كانت . معروفة . فأخذ أشاعرة تلك الأيام على عاتقهم مهمة الرد على ماجاء في هذه الكتب. وأكثر ماظهر هذا في دراستهم لكتب التفسير و بخاصة الكشاف للزمخشري . فكانوا يحملون عليه إذا تناول شيئاً يتعلق بالاعتزال . أما إذا تـكلم في النحو والبلاغة فهو عندهم الصادق المصدق ، والإمام المحقق . فهم يأخذون من القدماء ماوافق عقائدهم ويرفضون ماخالفها . ويمدحون كل من يمرض بالممتزلة بحق وبغير حق . وإلى جانب تفسير الزمخشرى فإنهم كانوا يدرسون تفسير البيضاوي والفخر الرازي ويقفون منهما الموقف المتقدم. وألفوا رسائل في الإيمان ، وهل هو مخلوق أو غير مخلوق ؟ وهل يكون بمشيئة الله أم لا ؟ نذكر من هذا ﴿ رسالة في الإيمان (١) وكونه مخلوقا أوغير مخلوق ﴾ للشهاب الخفاجي ' و ﴿رَسَالَةُ فِي الْإِيمَانَ (٢) ، وَهُلُ يَكُونَ بَمُشَيَّةُ اللهُ أم لا؟ » له . و « رسالة الجواهر المضيئة في تجويز إضافة الإيمان (٣) الجازم إلى المشيئة ، لأبي الحسن البكري المتوفى سنة ٩٥٢ هـ و « رسالة (١) في كلام الله ، وهل هو مخلوق أو غير مخلوق ؟ > له . و < رسالة الدر النظيم في تحقيق الكلام القديم > لأحمد الجوهري المتوفى سنة ١٨٧ هـ ، و ﴿ رَسَالُهُ فَي يَحْقِيقَ

<sup>(</sup>۱، ۲، ۳، ۲) مجاميع تيمور . مخطوط رقم ٣٣١، ٩٢

<sup>(</sup>٥) ۱۹۳ مخطوط تيمور

الجزء (١) الاختيارى > له ، و (رسالة الفطرة (١) السليمة في تحقيق دلالة القرآن على الصفة القديمة > له أيضا . وعلاوة على ذلك فإنهم كانوا يتناولون هذه الموضوعات في خلال شرحهم للقرآن وتفسيرهم للحديث ، وفي الحواشي والتعليقات التي وضعوها على بعض الكتب .

وقد جاء بهاء الدين العاملي إلى مصر سنة ٩٩٢ ه وألف بهاكتاب « الكشكول » وضمنه مطاعن كثيرة في آراء الأشعرية ، وانتصارا للمعتزلة الذين كان ينتمي إليهم .

※ ※ ※

وقد اتخذت الدولة العثمانية المذهب الحنفى مذهبا رسميا لها . فألفت كتب كثيرة في مناقب أبي حنيفة النعمان ، مثل « عقود (٣) الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان » تأليف محمد بن يوسف من فقهاء القرن العاشر . و «الخيرات (٤) الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان » لابن حجر الهيتمي المتوفي سنة ٤٧٩ ومع أنه شافعي المذهب إلا أنه سخر قلمه في خدمة سياسة الدولة العثمانية ، و « أعلام (۵) الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار » تأليف محمود بر سليمان المتوفى سنة ،٩٩ ه و « الكلمات (١) الشريفة في تنزيه أبي حنيفة من الترهات السخيفة » لمصطفى بن نوح المتوفى سنة ،١٠٧ ه و « عقو دالجو اهر المنيفة في أدلة مذهب أبي حنيفة » لمرتضى الزبيدي المتوفى سنة ،١٠٧ ه إلى غير ذلك

وكان بعض أتباع المذاهب الأخرى يؤلفون كتبا في الطعن على أبي حنيفة . وقد أشار إلى ذلك محمد بن يوسف في مقدمة كتاب « عقود

<sup>(</sup> ۱ ، ۲۰ ) مجاميح تيمور رقم ۲۵۹ ، ۹۲

<sup>(</sup>٣) مخطوط رقم ١٨٠ م ، ١٣ ش دار الكنب

<sup>(</sup>٤) مطاوع بالقاهرة سنة ١٣٠٤ هـ

<sup>(</sup>٥) مخطوط رقم ٨٤ ماريخ م

<sup>(</sup>٦) مجاميع رقم ٣٧٣ . ٢٧٤

٧١) طبع بمصر سنة ١٢٩١ ه.

الجمان > كما أشار ابن حجر الهيتمي إلى الطاعنين على أبى حنيفة في كتابه « الخيرات الحسان »

وعلى كل حال فإن المصريين رفضوا أن يجتمعوا على المذهب الحنفى على الرغم من الدعاية التى روجها العثمانيون لهذا المذهب ، وعلى الرغم من إيثارهم الأحناف الوظائف القضائية . وتحسك قسم كبيرمن المصريين بمذهب الشافعى، لأن صاحبه مدفون بألقاهرة ، وله ضريح كان الناس وماز الوايزورونه متبركين. وبقى مذهب مالك كماكان من قبل وساعد على ذلك وفود المفاربة إلى القاهرة ، وهمولاء معروفون بتمسكهم بالمذهب المالكي . أما الحنابلة فكانوا قلة . ومما هو جدير بالذكر أن المصريين منذ وجدت الدراسات الفقهية في مصر ، ومما هو جدير بالذكر أن المصريين منذ وجدت الدراسات الفقهية في مصر ، أظهروا ميلا شديدا إلى مذهب مالك . ولماء جاء الشافعي إلى القاهرة التشر مذهبه . أما مذهب أبي حنيفة فكان قليلا . ومذهب ابن حنبل كان نادرا .

وإن فكرة توحيد الأحكام فكرة سليمة جدا ؛ ولكن المجتمع المصرى حرم من هذه الميزة . ولذلك كان الناس يعانون في عباداتهم و معاملاتهم حيرة واضطرابا ، و بخاصة الطبقات الجاهلة . وقد صور لنا الشعراني في كتابه «كشف (۱) الغمة عن جميع الأمة » هذه الحيرة فقال « . . . وبعد ، فقد شكا إلى مرارا بلسان الحال وبلسان المقال جماعات من الفقراء المتعبدين وأهل الحرف النافعة من المؤمنين ما يجدونه في نفوسهم من كثرة الغم حين يسمعون العلماء يقرأون مذاهبهم وينصرون أقوالها دون مذاهب غيرهم . وقالوا لى : قد التبس علينا شرع ربنا الذي تعبدنا به ، وعسر علينا عيزه ، وازدرانا المذهب الآخر : وضوء كم باطل وإن صلينا على مذهب قالوا : صلات كم باطلة . وإن ركينا قالوا : وكات كم باطلة . وإن صمنا قالوا صوم كم باطل . وهكذا في سأر عبادا تنا . وما نعرف الحق مع أيهم حتى نقتصر عليه . وقدأورث ذلك عندنا الحيرة والشك » واستطرد الشعراني فذكر أنه ألف هذا الكتاب معتمدا

<sup>(</sup>۱) مطبوع

على كتب الحديث للوثوق بها . وأورد معظم أدلة المجتهدين معتقدا أنه بهذا الكتاب يستطيع أن يقضى على الحيرة والشك ، وأنه قادر على جمع المصريين على كتابه ، ولكن غرضه لم يتحقق .

ويقال إن السلطان سليمان القانونى فكر فى وضع قانون لجميع المسلمين. ولكنه مات قبل أن ينفذ هذا المشروع .

\* \* \*

وظهر فى هذا العصر كثيرون من كبار الفقهاء الذين كسبوا شهرة واسعة فى العالم الإسلامى ، وسمى إليهم طلاب العلم من الآفاق .

فمن فقهاء للذهب الحننى: أحمد بن مجدالشو برى (١) المتوفى سنة ١٠٦٦ ه الذى لقب بأبى حنيفة الصغير ، وقد أخذ عنه جميع علماء الحنفية فى ذلك الوقت من أهل مصر والشام. ووصفه بعضهم بقوله « قرة عين الإمام الأعظم وصاحبيه ، من انتهت رياسة الحنفية بالقاهرة المعزية إليه » .

ومن فقهاء الشافعية : على (٢) بن أحمد لللقب بشمس الدين الرملي ، المتوفى سنة ٤٠٠٤هـ وقد اشتهر بالشافعي الصغير. وزعم بعضهماً نه مجدد القرن العاشر ، وبالفوا في مدحه ، وهـو كما يقول صاحب خلاصة الأثر ﴿ أستاذُ الأستاذين ، وأحد أساطين العلماء وأعلام نحاريرهم ، محيى السنة ، وعمدة الفقهاء طارصيته في الآفاق. فرحل إليه طلبة العلم، وأقبل الناس على قراءة كتبه »

ومن المالكية: (٣) سالم بن غد السنهوري المتوفى سنة ١٠١٥ هكان. كما ذكر الحجى ﴿ أَجِلُ أَهُلُ عَصْرَهُ غَيْرُ مَدَافَعُ ،وأَخَذُ عَنْهُ الْجُمُ الْغَفَيْرُ مَنِ أَهُلُ مَصْرُ وَالشَّامُ وَالْحُرِمِينَ ﴾

ومن الحنابلة : (٤) منصور البهوتي المتوفى سنة ١٠٥١ هـ وقد اشتهر ذكره في أنحاء العالم الإسلامي. فرحل إليه طلبة العلم من شتى الجهات،

<sup>(</sup> ۲ ، ۲ ) خلاصة الأثر للمحبى ١/٤/١ الطبعة الوهبية بالقاهرة سنة ١٢٨٤ ﻫـ

<sup>(</sup> ٣ ٤ **) خلاصة الأثر ٢/٤٠**٢ ، ٤/٢٢٤

وله مؤلفات مازالت موضع الاحترام .

والآن يحق لنا أن نتساءل: إلى أى مدى جدد هؤلاء العلماء في الفقه؟ وهل أضافوا شيئًا جديداً إلى مادته ؟

الواقع أنهم لم يأتوا بجديد، لأن للذاهب الفقهية كانت نضجت واكتملت على أيدى من سبقهم من العلماء، ولكنهم استوعبو آهذه المذاهب وفهموها فهما جيدا، وتمثلوها الى حد بعيد حتى أصبح كل منهم عالما متبحرا في مذهبه، عيطا بدقائقه إحاطة تامة ، قادرا على شرح ماعسى أن يكون غامضا منه . وهذه ميزات ليست يسيرة .

杂 荣 染

وكان الجامع الأزهر معهدا عاما تدرس فيه جميع العلوم كالتفسير والحديث وفقه المذاهب الأربعة ، والنحو والبلاغة والمنطق والرياضيات . وبه أروقة لمختلف أجناس الطلاب . وله أوقاف طائلة ، وبه مكتبة ضخمة . والدراسة فيه منتظمة لاتكاد تنقطع (١) طوال اليوم . والطلاب يلتفون حول أساتذتهم في شكل حلقة ذات صفوف . فيجلس بالقرب من الأستاذ الأفضل ، ويليه الأقل فالأقل . وهذه الصفوف تسمى طبقات . فيقال فلان من أهل إلطبقة الأولى ، أو الثانية ، أو الثالثة ، وهكذا . وبعض المدرسين يتخذون (٢) ملاحظا يتولى إجلاس الطلاب كل في مكانه . وقد يعهد بهذا إلى أحد طلبته . ولبعضهم معيدون يتولون إعادة ما ألقاه الأستاذ على الطلبة

<sup>(</sup>١) قال أبو بكر العياشي الذي زار مدينة القاهرة سنة ١٠٣٧ و وبتنا تلك الليلة بالجامع الأزهر ، لأنها ليلة سبع وعشرين من رمصان . وق الحقيقة كل الليالى بذلك المسجد كليلة المعدر . لأنه معمور بالذكر والثلاوة والتعليم آماء الليل وأطراف النهار . لاتمقطع منه المعادة ليلا ونهارا ، صيفا وشماء . فهو عديم النظير في مساجد الدنبا بأجمعها ، حاشا المساجد الثلاثة . لما ها عند الله من أعظم المزايا وأرفعها . وإن خص هو بهذه الفضيلة فعير مستنكر وجود مزية و المفضول ليست في الفاضل . إذ إلفضل بوجود التفضيل لا بوجود الفضيلة ،

<sup>(</sup>٢) خلاصة الأثر ٣/٥٩١

ومن وظائف الأزهر المتصلة بشئون التعليم ؛ وظائف مشايخ الأروقة ، وكانت موضوعا للتنافس. وشيخ الأزهر يعين بعد أخذ رأى علمائه ، وتراعى فيه الكفاءة والمقدرة والاستقامة بغض النظر عن مذهبه . وقد بلغ بعضهم منزلة رفيعة عند الحكام ، وعاشوا عيشة الأمراء في مسكنهم وملبسهم ومأكلهم .

وقد أنشأ على بك أبو الذهب (١) سنة ١١٨٧ ه معهدا عاما أنفق عايه أموالا طائلة ، وعين به عددا كبيرا من أساتذة الأزهر ، وجعل به مكتبة تموى عددا كبيرا من الكتب النفيسة ، كان من بينها « شرح القاموس الحيط » للزبيدى ، وهى النسخة الخطية التي كتبت في حياة المؤلف. ورسد له الأوقاف اللازمة للإنفاق على المدرسين والعللبة. ولكن هذا المعهد خرب بعد وفاة منشئه .

وكانت هناك معاهد خاصة بكل مذهب عدا المذهب الحنبلي لمدم إقزال الناس عليه، فلم يدرس في غير الأزهر. ولبعض هذه المدارس الخاصة شهرة الاتقل عن شهرة الأزهر، ولها احترام كبير.

فن هذه المعاهد؛ المدرسة الخشابية بجوار الإمام الشافعي ولايمين بها إلا أعظم علماء الشافعية وهي مختصة بتدريس فقه الشافعي وكذلك المدرسة الصلاحية وهي بجوار الخشابية وهاتان المدرستان، وأقدم مدارس القاهرة. وكان للشافعية مدرسة أخرى بجوار الأزهر؛ هي المدرسة العليب سية

وللأحناف مدارسهم الخاصة كذلك ؛ وأشهر ها السرغتمشية والسنامية والأشرفية ؛ والمؤيدية . ولهم بحى الصليبة مدرستان : إحداهما اسم اللبرة وقية والأخرى اسمها الباسطية .

وعلاوة على ماتقدم فإن كثيرا من مساجد القاهرة والأرياف كان يتهذا أمكنة للدراسة ، فإذا اشتهر عالم في جهة من الجهات ، وأراد أن ينفع

<sup>(</sup>۱) الجبرتي ۲/۸۱٤

الناس بعلمه ، ذهب إلى أقرب مسجد وعقد الدرس فيقبل عليه الناس نظراً لشهرته وقد كان مرتضى الزبيدى يدرس صباحا فى مسجد شيخون لقربه من منزله . ويدرس بعد الظهر فى مسجد الحنفى . وكانت دروسه مجمعاً للطلاب بل ولعلماء الأزهر أنفسهم ، ولبعض الأمراء والأعيان .

وكانت للاسكندرية مدارسها . واشتهر في دمياط جامع ( ) البحر ، وفي طنطاجامع أحمد البدوى وبخاصة بعد أن جدده على بك الكبير، وزوده بمكتبة، ورصد له أوقافا ، وخصص الطعام والكساء لطلبته . وفي دسوق جامع إبراهيم الدسوقي . وفي منوف معهد درس فيه كثير من العلماء . واشتهر تجرجا وفر شوط بحدار سهما وعلمائهما وأدبائهما وشعرائهما . وقد زار مرتضى الزبيدى مدينة فرشوط ونزل عند حاكمها شيخ العرب همام الذي أكرم وفادته ، ومدحه بعض شعرائها . والكتاتيب منتشرة في كل مكان . وكان طلاب الأقاليم بمضرون إلى الأزهر لاستكال علومهم .

قال ادورد لين (٢) الذي زار مصر سنة ١٨٢٥ م ( والكتاتيب في مصر كثيرة متعددة ، لافي العاصمة وحدها ، بل في كل مدينة كبيرة . ويوجد كتاب واحد على الأقل في كل قرية من أمهات القرى . وما من مسجد في العاصمة أو سبيل أو حوض مما تشرب منه البهائم إلا وألحق به كتاب يتعلم فيه الأطفال نظير نفقات ضئيلة »

وكان الأطفال يتعلمون القراءة فقط. أما الذين يتعلمون الكتابة فكانوا قلة ضئيلة. وهكذا تفشت الأمية على الرغم من وجودا اكتاتيب في كل مكان.

<sup>(</sup>١) قال أبو بكر العياشي الذي زار مصر سنة ١٠٣٧ ه يصف مدينة دمياط وجامعها الكبير « وهي ــ دمياط ـ مدية كبيرة ممتدة على ساحل النيل. دات مساجد كشيرة ، وأسواق حافلة ، وخانات عاممة ، وممسى عجيبة . غصن بها السفن الكبار ، والقوارب الصفار . فيها من أنواع الفواكه والثمار ، وصنوف الأطعمة مالايكاد يوجد في غيرها »

لا وكان نزولنا بمسجدها الكدير، وهو مسجد وثيق البناء، فسيح الهناء، على ساحل البحر، يضرب الماء في سوره. يشاول الشارب والمتوصى، الماء بيده من البحر وهو جالس في باب المسجد. وفي المسجد طائفة من الطلبة يقرءون ويدرسون على هيئة مافي الأزهر » (٧) انجارى يتحدث عن مصر ص ٣٥

ونجد في هذا العصر تساهلا كبيرا في منح الإجازات العلمية في العصور الأولى كان طالب الآجازة يلازم أستاذه مدة طويلة ، يحفظ فيها كل ما يسمعه من الاستاذ الذي لا يمنحه الإجازة إلا بعد تدقيق و تحقيق و امتحان . أما في العصر الذي ندرسه فتكانت تعطى جزافا ، إذ كان يكني أن يقرأ الطالب أو ائل كتاب أو كتابين مما يدرسه الأستاذ حتى ينال إجازة بجميع مروياته ، وكثيرا ما أعطيت لمن طلبوها من أهل البلاد القاصية عن طريق المراسلة ، فكان العالم في القاهرة يبعث إلى طالب في مكة بالإجازة دون أن يراه أو يختبره ، فيبدو أنهم اعتبروها رتبة فخرية ، وشذمن هؤلاء العلماء محمد بن حسن بن جمال الدين الشافعي المتوفي سنة ١٩٩٩ هفقد ذكر الجبرتي "ا" « أنه كان صمبا في الإجازة ، لا يجيز أحدا إلا إذا قرأ عليه الكتاب الذي يطلب الإجازة فيه بتمامه ولا يرى الإجازة المطلقة ، ولا المراسلة ، حتى إن جاعة من أهل البلاد المعيدة أرسلوا يطلبون منه الإجازة فلم يرض ذلك ، وهذه الطريقة في مثل المعيدة أرسلوا يطلبون منه الإجازة فلم يرض ذلك ، وهذه الطريقة في مثل

وقد ورثوا عن أسلافهم مادةالتاً نق ف صياغة الإجازات . ولذلك أن ينمت إلى أبواب الادب نثرا كانت أو شعرا .

\* \* \*

وإذا فرغ أحد الشيوخ من تدريس كتاب ، أقيم لذلك حفل عظيم . وقد وصف لنا أبو بكر العياشي المغربي (١٠ الذي زار مصر سنة ١٠٢٧ ه حفلا وآه في الأزهر فقال (... فلما كان في يوم تسعة وعشرين من الشهر سر مسان سخيم المشايخ دروسهم بختم الشيخ عبد السلام اللقاني بعد ملاة السه وعاديم في الختم أن يحضر يوم الختم أنجب تلامذة المدرس وكبراء إحوانه . فإذا فرغ المدرس ، قرأ القاريء آيات من القرآن بقراءة معاربة .

<sup>144/4 (1)</sup> 

<sup>(</sup>۲) رحلهٔ العیاشی ۱ / ۲ ۱ طبع الجزائر سنة ۱۲۱۱ هـ

ومنهم من يقرأها بالقراءات السبعة . وبعد فراغه ينشد منشد بصوت رخيم قصيدة مر إنشاء بعض التلاميذ ، فيها مدح النبي صلى الله غليه وسلم ، والترضى عن مؤلف الكتاب المقروء ، والدعاء للشيخ الذي يدرسه . ثم يقوم آخر ويثني على الله وعلى رسوله بثناء بليغ ، ثم على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه وتابعيهم بإحسان · ثم يترضى عن المشايخ أرباب المراتب . كل ذلك بنثر بديع ولفظ فصيح . ثم يقرأ الفاتحة ويهدى ثوابها إلى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلى من ذكر بعده . ويبالغ في الثناء عليهم إلى أن يصل إلى الشيخ المدرس فيدعو له وللحاضرين وببالغ في الثناء عليهم إلى أن يصل إلى الشيخ المدرس فيدعو له وللحاضرين بأبلغ دعاء بقلب حاضر ، وصوت خاشع ، ويؤ من الحاضرون على دعائه ، ثم يختم . وبعد هذا يقوم أهل المجلس كلهم ويصافون الشيخ ، ويدعون له ويدعو طهم . ويحضر الختم جمع عظيم من الناس وأهل الفضل والمجاذيب »

وكان بالقاهرة مدرسة للطب في المارستان المنصوري وقد جاء إلى مصر في أوائل هذا العصر طبيب حاز شهرة واسعة ، وهو داود الأنطاكي (١٠٠ المتوفى سنة ١٠٠٨ ه وكان على درجة كبيرة من الثقافة ، مستوعباً لكتب ابن سينا في الطب والفلسفة . فوضع عدة كتب في الطب أشهرها تذكرته التي ظلت موضع احترام طوال العصر العثماني . وطبعت بمصر عدة طبعات .

ودرّس داود فى المارستان المنصورى ، وتخرج على يديه طلبة كثيرون اشتهرمنهم أحمد بن (٢) سراج الدين المعروف بابن الصائغ الشيخ الرئيس ، تولى مشيخة مدرسة الطب ، وتوفى سنة ١٠٣٩ ه فخلفته بنته .

ثم نبغ طبيب مصرى آخر ؛ هو مدين بن عبد الرحمن القوصونى · كان موجوداً سنة ١٠٤٤ ه وهو من تلاميذ داود ، ومن مؤلفاته فى . الطب : قاموس (٣) الاطباء فى المفردات .

<sup>(</sup> ۱ في ۲ ) خلاصة الأثر ع/٣٣٣ ( ٣ ) منه نسخة خطية بدار الكتب تحت. رقم ٣٠ طب م

واشتهر أحمد بن (۱) سلامة القليوبي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ وكان « في الطب ماهراً خبيراً ، حسن التقرير ، يبالغ في تفهيم العللمة ، ويكرر لهم تصوير المسائل » .

وكان اليهود أكثر إقبالا على الاشتغال بالطب من المسلمين . قال داود الأنطاكي في مقدمة تذكرته : « . . . فإنى حين دخلت مصر رأيت الفقيه الذي هو مرجع الأمور الدينية يمشي إلى أوضع يهو دي للتبلب به ، فعز مت على أن أجعله - الطب - كسائر العلوم ، يدرس ليستفيده المسلمون . فكان في ذلك وبالى ونكد نفسي وعدم راحتي من سفهاء لازموني قابلا ، ثم تعاطوا التطبب فأضروا بالناس في أموالهم وأبدانهم . وأنكروا الانتفاع بي ، وأخشوا في أفاعيلي » .

وتماطى الطب كذلك بمض الأقباط ولا سيما الرهبان .

وسبق أن ذكرنا أن عبد الرحمن كتخدا المتوفى سنة ١١١٩ هـ جدد المارستان المنصورى وزاد فى أوقافه ، وقد ظل هذا المارستان المدرسة الوحيدة التى يدرس فيها الطب ، كما كان المستشفى الحكومى الوحيد الذى تعالج به مختلف، الأمراض حتى قام محمد على .

\* \* \*

وكانوا يدرسون العلوم الرياضية التي عرفت من قبل . وأخدوا عن القدماء عادة خلط الحساب بالفرائض . ومن أنواع الرياضة التي درسوها : الجبر ، والهندسة النظرية ﴿ إقليدس ﴾ والحيل ﴿ الميكانيكا » والهلك . والادوا المزاول لمعرفة الأوقات ، والساعات التي كانت ترد عايهم من الخارج . وكان لبعض المساجد الكبيرة مؤقتون لتحديد أوقات الدلاة ، يمرف الواحد منهم بالميقاتي .

<sup>(</sup>١) خلاصة الأثر ١/٥٧١

إلا أن الإقبال على دراسة العلوم الرياضية كان قليلا جداً ، في حين أن الإقبال على العلوم الدينية كانت له الغلبة . وهذا يرجع إلى قانون العرض والطلب . فالمعروف أن الطالب يدرس ما يساعده على كسب رزقه وبخاصة إذا كان فقيراً . وقد كانت الوظائف المعروفة إذذاك وظائف دينية كالمؤذن والإمام والخطيب والمأذون والشاهد والقاضي ونائبه ، والمفتى والمحتسب والمدرس . وكان لوجود المذاهب الأربعة دخل في هذه الكثرة التي لو وزعت على كل مذهب لم تكن شيئاً . ثم إن رجل الدين كان محترماً في ذلك الوقت من الحكومة والشعب ، أما الوظائف الحسابية فكانت في دد الأقباط .

恭 恭 恭

وكانت مصر تتمتم بشهرة علمية طيبة . قال أحمد باشا كور وزير الذي ولى مصر سنة ١٦٦١ ه فاشيخ عبد (١) الله الشبراوى ذات يوم (المسموع عندنا بالديار الرومية أن مصر منبع الفضائل والعلوم . وكنت في غاية الشوق إلى المجيىء إليها ، فلما جئها وجدتها كما قيل : تسمع بالمعيدى خير من أن تراه > وكان أحمد باشا قد تحدث مع بعض شيوخ الأزهر في العلوم الرياضية فلم يعرفوا شيئاً . فقال الشيخ الشبراوى (إن غالب أهل الأزهر لايشتغلون بشيء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة الموصلة إلى علم الفرائض والمواريث كعلم الحساب > وقال (إن ظلمة الأزهر لا يستطيمون أن يشتغلوا بغير ذلك من العلوم الرياضية ، لأنها تحتاج إلى أدوات وآلات ودقة الرسم · وأهدل الآزهر فقراء > ثم ذكر الشيخ الشبراوى اسم الشيخ حسن الجبرتي والد مؤلف التداريخ المشهور ، وقال إنه عالم في الرياضيات والفلك . فاستدعاد الوالى فاما رآه أعجب بعله واتخذه من خاصته والمقربين لديه .

\* \* \*

<sup>(</sup>۱) الجرتى ١٨٧/١

وكان بمعظم معاهدالقاهرة مكتبات تحوى الكتب التي اعتادوا دراستها. ولكثير من الملماء مكتباتهم الخاصة في منازلهم ، يفتحونها لكل من يريد الانتفاع بها . واشتهر كثيرون بنسخ الكتب متخذين من ذلك وسيلة اللرزق الذكر منهم الشاعر المشهور عبد الله الإذكاوي المتوفى سنة ١١٨٢ هـ وهناك محلات لبيع الكتب يسمى أصحابها بالوراقين، وحرفتهم بالوراقة . ولهم ُ شيخ يسمى شيخ الوراقة .

ولم يكن الناس كلهم يؤمنون بكرامات الأولياء ، ويسلمون بما يدعونه لأنفسهم من القدرة التي لا حد لها قال حسن البدري المجازي الأصل المصرى الإقامة والوفاة ، منكراً كرامات الأولياء وإقامة الأنسرحة

ليتنا لم نعش إلى أن وأينا كل ذي جنة لدى الناس قمارا علماهم به یلوذون بل قـــد وإن مات جعــــاوه منهاراً بعضهم قبثل الضريح وبعض هكذاً يفعل المشركون مع أص كل ذا من عمى البصيرة والويد

تخففوه من دون ذي المرش ربا عن جميع الأنام يفرح كربا وله جرعون عبما وعرا عتب الباب فبسله وترا نامهم يبتغون بذلك قررا ل الشيخص أعمى له الله قالما

وقد صور الشعراني موقف معاصريه المنكرين اللأواياء في مقدمة كتابه « الطبقات الكبرى » فقال : « · · · فإذا مر عايهم ولى من أولياء الله ينسبونه إلى الزندقة والجنون ، وتراهم ينظرون إليه وهم لا يبسرون . فنهم المنكر ليكراماتهم ، ومنهم المنقص لمقاماتهم ، ومنهم الثالب لأعران بم، ومنهم المعترضون على أحوالهم، ويخوضون بجهلهم في مقالهم، و بهم يستهزأون. ،

وقد ألف الشعراني هذا الكتاب دفاعا عن الأولياء وما يأتون به من الكرامات والخوارق. وقال في كتابه (۱) ( لطائف المنن » (... وفي عصر نا هذا جماعة من الصوفية العاملين ، ربما يكون المنكر عايهم لايصلح تلميذا لهم ، كسيدى محمد ابن الشيخ أبي الحسن البكرى ، والشيخ سليان الخضيرى ، والشيخ ناصرالدين الطبلاوى ، والشيخ زين سبط على المرصنى . وقد عرضت هؤلاء على بعض المنكرين فقال: لاأعتقد في واحد من هؤلاء إلا إن رأيت له كرامة ، فقلت له : وأى كرامة أعظم من العلم والعمل ؟ ! فلم يرجع إلى قولى و تركته » ولكن الشعراني عرض بأهل عصره بمن يظنرون التصوف و يبطنون النصب والتدجيل فقال (۱) ما نصه ( ... وقال لى الأمير محمد دفتردار مصر مرة : أنا لا أعتقد في مشايخ مصر الآن ولو مشى أحدهم في الهواء . فقلت : ماذا ؟ فقال : لأني رأينهم يجهدون في طلب الدنيا أكثر بما نجتهد نحن فيها . وقد دخل على شيخ منهم في رمضان ليفطر عندى فقلت له : هذا الطعام عندى في حله شك فلا تأكل منه ققال : قدمه لى وعلى حسابه في الآخرة . فكيف أعتقد في مثل هذا وأنا لاتطيب نفسي أن آكل منه مع أني معدود من الظلمة ؟! »

وبقيت هذه المناقشات بين المتعصبين للأولياء وكراماتهم ، وبين المنكرين . فهذا عبد الرءوف المناوى المتوفى سنة ١٠٣١ هيؤلف كتابا اسمه « إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن » والمقصود بأولياء الشيطان هم المنكرون للأولياء وكراماتهم . ويرى المناوى " أن الولى « لا يبلغ درجة النبى ، ولا تسقط عنه التكاليف بكال الولاية كاادعى بعض أهل الإلحاد والاتحاد ، أن الولى إذا بلغ الغاية في المحبة وصفاء القلب وكال الإخلاص ، والاتحاد ، أن الولى إذا بلغ الغاية في المحبة وصفاء القلب وكال الإخلاص ، سقط عنه الأمم والنهى ، ولم يضره ذنب ، ولا يدخل الناربار تكاب الكبائر .

<sup>(</sup>١) ص ٩١ وما بعدها ؛ مطبعة بولاق سنة ١٢٨٨ هـ

<sup>(</sup> ٢ ) تنسيه المغنرين ص ١ وما بعدها ، المطبعة المحمودية سنة ١٣١٥ هـ

<sup>(</sup>٣) الكواكب الدرية في تراجم الصوفية ورقة رقم ١ مخطوط رقم ٢٦٠ تاريح

وذلك باطل بإجماع المسلمين . ولا تكون ولاية غير الذي أفضل من النبوة بحال . وإنما الكلام في ولايته ـ أى الذي ـ فقيل هي أفضل لما فيها من معنى التقرب وكمال الإخلاص وقيل بل نبوته لما فيهامن الوساطة بين الحقو الخلق . ثم إن ظهور الكرامة لايدل على أفضلية ، وإنما هي بقوة الإيقان وكال العرفان »

وقد كثرت الكتب المؤلفة لإثبات كرامات الأولياء · نذكر منها «اجتات الشرنوبي» (١) تأليف أحمد الشرنوبي المتوفى سنة ٩٩٤ ه و « الفتو حات (٢) الربانية في مناقب السادة الخضيرية » تأليف مراد بن يوسف الأزهرى المتوفى سنة ١٠٣٠ ه و «الماء (٣) الزلال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال الأحمد الجوهرى المتوفى سنة ١١٨٧ ه و «كنز (١) السعادات في المكرامات بعد المات لعبد الرحمن الأجهورى المتوفى سنة ١١٩٧ ه و «السهم (١٠) القوى في نحر كل غبى ، فيمن ينكر كرامات الأولياء » للسجاعي المتوفى سنة ١١٩٧ في أخر كل غبى ، فيمن ينكر كرامات الأولياء » للسجاعي المتوفى سنة ١١٩٧ وهذا غير ما ألفه الشعراني والمناوى ، ولو كان الناس كلهم يسامون عزاعم الأولياء لما احتاج الآمر إلى تأليف هذه الكتب والرسائل التي يَكاد يخطئها العد ، وإنك لتلمس في عناوين بعضها ما يدل على الرغبة في التحدي والهجوم ، العد ، وإنك لتلمس في عناوين بعضها ما يدل على الرغبة في التحدي والهجوم ،

وفي (٢) سنة ١١٢٣ ه حضر إلى الفاهرة واعظ تركى وأخذ يعظ الناس بجامع المؤيد . ثم انتقل من الوعظ إلى ذكر ما يفعله أهل مصر بأشرحة الأولياء ، وإيقاد الشموع والقناذيل على القبور . وقال إن هذا كفر يجب على الداس أن يتركوه . وعرض بقول الشعرائي في طبقاته إن بعض الأولياء اطلع على اللوح المحفوظ . فأنكر ذلك على الأنبياء فضلا عن الأولياء . وفال بوجوب هدم القباب المبنية على الأضرحة ، وأنكر وقوف الفقراء بباب زويلة في شهر رمضان .

<sup>(</sup>۱) مطبوع (۲) شطوط رقم ۷۷ ماریج م (۳: ۱) مرود

<sup>(</sup> ٥ ) ٣٠٤ مخطوط تيمور ( ٦ ) الجبراني ١ / ٨٤

فلما سمع الحاضرون ذلك خرجوا ليلا إلى باب زويلة حاملين العصى والأسلحة فهرب من كان هناك . ثم إنهم قطعوا الجوخ والأكر المعلقة وهم يقولون ﴿ أَين الأولياء ؟ ﴾ فأغضب عملهم بعض الناس فذهبوا إلى الجامع الأزهر وأخبروا الشيخ النفراوى وأحمد الخليني بماحدث . فأفتى هذان الشيخان بأن كرامات الأولياء لا تنقطع بالموت ، ولا يجوز لأحد أن ينكر اطلاع الأولياء على اللوح المحفوظ . وقالا بوجوب زجر الواعظ الذي غضب من هذه الفتوى ، وأبدى استعذاده لمناظرة العلماء . وتعصب له كثيرون وتطوعوا للدفاع عنه ، وتعاهدوا على نصرته . وأخذ الواعظ يحرض أنصاره غلى الدفاع عن الدين وقمع الدجالين ، ولكن الأمر انتهى بنفيه وتشتيت شمل أنصاره .

وهذا الواعظ من غير شك متأثر بآراء ابن تيمية والواقع إن آراء ابن تيمية كانت موضوعاً للنقاش عند بعض علماء هذا العصر . فقد ألف ابن تيمية كانت موضوعاً للنقاش عند بعض علماء هذا العصر . فقد ألف ومعروف أن ابن تيمية يرى أن زيارة القبور ومنها القبر النبوى شرك وكفر صريح . فعارضه ابن حجر بقوله إن زيارة القبر النبوى مشروعة مطلوبة صريح . فعارضه ابن حجر بقوله إن زيارة القبر النبوى مشروعة مطلوبة السبكي من قبل في الرد على ابن تيمية ، ولم يأت بجديد . على أن ابن حجر (۱) لا إقامة المولد النبوى بدعة لأنها لم تعرف عند المسلمين الأولين . ويقول إن أكثر ما يرويه القصاص والوعاظ فيما يتعلق بمولد الرساول مكذوب ، لا أساس له من الصحة. ولكنه ذكر أنها بدعة حسنة لما اشتملت عليه من الإحسان الكثير إلى الفقراء ، وتلاوة القرآن ، وإظهار السرور والفرح بالنبى ، وإغاظة أهل الزيغ والزنادقة والملحدين ، والكفرة

<sup>(</sup>۱) النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم . مصورتاريخ رقم ۵۰۰۸ دار الكتب لوحة رقم ه

والمشركين . وقد كرر ابن حجر هذه الآراء في كتاب آخر هو « الدر (۱) المنضود في الصلاة على صاحب المقام المحمود » .

张 垛 淼

ولم يعدم ابن تيمية أنصاراً في العصر الذي ندرسه . فيقول صاحب (٢) « الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة » ﴿ إِنْ مُوسَى المُصْرَى المُتُوفِي سنة ٩٩٠ ه كان يعتقد اعتقاد حمقي الحنابلة » ويقصد بحمقي الحنابلة أتباع ابن تيمية .

وألف يوسف بن مرعى الحنبلى المتوفى بالقاهرة سنة ١٠٣٠ ه كتاب «الكواكب الدرية فى مناقب ابن تيمية > خلصها من مناقبه لعبد الهادى ابن قدامة المقدسى ، ومن مناقبه لسراج الدين البزار ، ومن مناقبه لاحمد ابن القاضى محيى الدين بن عمر الشافعى ، وختم كتابه بقصل فى الرد على خصوم ابن تيمية الذين يرمونه بالكفر .

ونحن نعلم أن ابن تيمية قال بوفاة الخضر ، ولكن الصوفية في هدا العصر قالوا ببقائه حياً وقد ألف (٢) مرعى « رسالة الخضر » وأثبت فيها أنه مات وهو بهذا يتابع أستاذه ابن تيمية وله غير ما تقدم كتاب « رفع (٤) الشبهة والغرر على من يحتج على فعل المعادى بالقدر » عرض فيها بالاتحادية والحلولية الذين وقعوا في الإباحية وغرقوا في المعادى وتركوا الفرائض محتجين على هذا بأنه مقدر عليهم ، لا يستطيعون تركه ، واعتمد مرعى على آراء ابن تيمية في هذا الموضوع .

وتلاحظ في هذا العصركثرة الأسئلة التي وجهت إلى العلماء بخصوس

<sup>(</sup>١) متخفلوط رقم ٤٠٣٤ نصوف.

<sup>(</sup>٢) ورقة رقم ٣٣٩ من الجزء الثالث بمغطوط ١٢٠٦ ناربه .

<sup>(</sup>۲،۴) مخطوط ۲۹۵ مجاميم تيمور .

الخضر، وهل هو حى أم ميت ؟ ونلاحظ كثرة الرسائل التي وضعت في هذا الموضوع، مما يدل على أن السائلين كانوا في شك من حقيقة أمره. وقد يكون شكهم هذا ناجماً عن اطلاعهم على آراء ابن تيمية. ومن الرسائل التي وضعت لإثبات وجود الخضر حياً ( القول الدال على حياة الخضر والأبدال > لمصطفى بن نوح المتوفى سنة ١٠٧٠ه.

\* \* \*

وكانت كتب ابن عربى منتشرة فى دوائر المتصوفة ، لا سيما « الفتوحات المكية » ولكن من الإنصاف أن نقول إن أغلبهم لم يقبلوا نظريات الاتحاد والحلول ووحدة الوجود . ومنهم من اعتبر القول بها كفراً . وهذا هو محمد البكرى المتوفى سنة ٩٩٤ هرأس المتصوفة فى عصره يقول فى إحدى قصائده:

أطلقوا وحــدة الوجود وقالوا كل شيء هو الإله البــارى إلى القومي أما لطه نصــير؟ غاب من لم يكن من الأنصار

ويقول من قصيدة أخرى :

حاول معال ، واتحاد عالف لوحدته فالوصف فيه تلونا

歩きゅ

وقد جاء إلى مصر فى هذا العصر علماء أعلام ما زّالوا موضع ثقة واحترام ، وألفوا كتباً قيمة لا يستغنى عنها الباحث . نذكر منهم بهاء الدين العاملي الذي ألف كتابه (الكشكول ، بالقاهرة . وداود الأنطاكي وقد سبقت الإشارة إليه . ومرعى بن يوسف الحنبلي صاحب المؤلفات المشهورة التي أسلفنا الكلام على بعضها . وأحمد بن محمد المقرى صاحب ( نفح الطيب ، وغيره ، وعبد القادر البغدادي صاحب ( خزانة الأدب ) وبدر الدين العباسي مؤلف « معاهد التنصيص ، شرح شواهد التلخيص » ومرتضى الزبيدي

شارح القاموس . وعبد الرحمن بن مصطفى العيدروس الصوفى المشهور ..

ومر بهاكثير من علماء المغرب ، وزارها من علماء الشام والد المحبى الذي ألف رحلة عن هذه الزيارة . والحبي صاحب «خلاصة الأثر » وعبد الغني النابلسي الذي خصص جزأ كبيراً من رحلته عما شاهده بمصر . وأبو بكر العياشي من علماء المغرب ، وصاحب الرحلة التي أشرنا إليها . كا زارها بعض علماء الحجاز .

واستوطنها من شعراء الشام كثيرون نذكر منهم: زين الدين العاملي ، وشمس الدين الحموى ، وزارها طرز الريحان البعلي ، وفتح الله النحاس ، وابن الدرا ، واستوطنها من شعراء المغرب يوسف بن زكريا المغربي ، ومن الحجاز نور الدين القلعي .

وزارها من الرحالة الأوربيين كثيرون ، نذكر منهم الرحالة الفرنسى « فولنى » وألف رحلة مترجمة إلى اللغة العربية تحت عنوان « مصر فى القرن الثامن عشر » وكان حضوره إلى وادى النيل سنة ١٧٨٤ م وقد انتفع نابليون بما كتبه فولنى عن مصر إلى حدكبير . ووصفه برتبيه أحد قواد الحملة الفرنسية بأنه الدليل الأمين ، وقال إنه هو فقط الذى لم ينشهم .

\* \* \*

واشتهر فى هذا العصر من المتصوفة : محمد د البكرى والشعرانى ، وعبد الرءوف المناوى الذى يقول فيه صاحب خلاصة الآثر « . . . فهو أعظم علماء هذا التاريخ آثاراً . ومؤلفاته غالبها متداولة كثيرة النفغ ، وتلناس عايها تهافت زائد ، ويتغالون في أثمانها » .

ومن العلماء: ابن حجر الهيتمي ، وأحمدالسجاعي ، وأحمد الدمنهوري ، وأحمد الجوهري ، وغيرهم كثيرون لا يتسع المقام لذكرهم .

ومن رجال النحو: الصبان، والكفراوى، ومحمد الأمير. وقد ألفوا كتبا مازالت تدرس حتى عصرنا هذا.

ومن المؤرخين: ابن إياس الحنفى ، وهو أشهر من أن يذكر . و مخد ابن عبد المعطى الشهير بالإسحاقي صاحب كتاب «لطائف أخبار الأول فيمن تصرف بمصر من أرباب الدول » انهى فيه إلى سنة ١٠٣١ه و محمد بن محمد ابن أبى السرور البكرى صاحب كتاب « عيون الأخبار و رهة الأبصار » و « النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية » و « الوشى المرقوم من النطق المفهوم » و «المنتج الربانية في تاريخ الدوله العثمانية » و « اللطائف الربانية على المنتح الرجمانية » وإراهيم الصوالحي - كانبالقاهرة سنة ١٠٧١ مؤلف كتاب « تراجم الصواعق في وقعة الصناجق » ومصطفى بن إبراهيم مؤلف « تاريخ وقائع مصر سنة ١١٠٠ - ١١٥٠ » وشيخ مؤرخي مصر في ذلك العصر عبد الرحمن الجبرتي الذي انتفع بجهود هؤلاء المؤرخين حياماً لف كتاب « عجائب الآثار » ونقولا الترك مؤلف كتاب « ذكر تملك الجمورية الفرنساوية الأقطار المصرية »

ومن كتاب السير والتراجم: نور الدين الحلبي مؤلف ﴿ إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ﴾ ويعرف بالسيرة الحلبية ، وحمد بن على الداودي مؤلف ﴿ طبقات المفسرين ﴾ والشهاب الخفاجي صاحب ﴿ ريحانة الألبا ﴾ و «خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا ﴾ وأحمد بن سلامة القليوبي مؤلف «تحفة الراغب في سيرة جماعة من آل البيت الأطايب ومحمد بن أحمد البهوتي سولف د التحفة الظريفة في السيرة النبوية الشريفة » وأبو الصلاح على بن عمس الصعيدي مؤلف ﴿ تعطير الأنفاس بمناقب الشاذلي وأبي العباس » وأحمد الشيدي مؤلف ﴿ حسن الابتهاج فيمن ولى في مصر إمارة الحاج ﴾ وعبد الرحن الأجهوري مؤلف ﴿ مشارق الأنوار في آل البيت الأخيار ﴾ ومرتضى الزبيدي مؤلف ﴿ الوض المعطار في نسب آل جعفر الطيار ﴾ و ﴿ رفع نقاب الخفا عمن انتهي إلى وفاء الوفا ﴾ ومجمد بن على الصبان مؤلف ﴿ إسعاف الراغبين

في سيرة المصطفى وفصائل أهل بيته الطاهرين > ومدين بن عبد الرحمن القوصوني مؤلف (ريحانة الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب وقد اعتمد صاحب خلاصة الأثر على هذا الكتاب الذي لم يصل إلينا فيما كتبه عن أدباء مصر وشعرائها وعلمائها في القرن الحادي عشر . وعبد البر الفيوسي مؤلف «منتزه العيون والألباب في بعض المتأخرين من أهل الآداب > جعله على طريقة الشهاب الخفاجي في ريحانته . وهذا الكتاب لم يصل إلينا كذلك مع أنه اشتهر ببلاد الشام ، وعليه اعتمد صاحب خلاصة الأثر فيما كتبه عن مصر .

務祭祭

وظهرت في هذا العصر مؤلفات كثيرة في الروحانيات ، وفك الأرصاد. والطلامم ، وفي ألعاب المهارة كالسيا والزايرجة. وفي التنجيم وضرب الرمل. ولم يكن الناس كلهم يؤمنون بهذه الخرافات ، فهاهو الإدكاوي الشاعر ينكر على المنجمين ما يزعمونه من معرفة مايقع في المستقبل ، وله شعر في ذلك. مذكر منه :

الله يعلم ما يكون وما به تسرى الرياح وماله يجرى الفلك فدع المنجم فى ضلالته وما ينبيك عنه فنى مقالته أفك واحذر تصدقه فتهلك عامدا يامدعى الإيمان فيمن قد هلك علم الإله محجب إلا على من يرتضيه من نبى أو ملك هذا اعتقادى والذى ألتى به ربى لاسلك ناجيا مع من سلك وألف رسالة فى تأييد آرائه اسمها « هداية المتوهمين فى كذب المنجمين »

※ ※ ※

أما يعد فهذه صورة للحالة الفكرية فى مصر إبانالعصرالعثمانى · ويمكننا أن نخرج من هذه الدراسة بأمور :

أولاً \_ إن الحركة العلمية في مصر في ذلك العصر كانت نظرية محضة ..

ولم يعرف المصريون العلم التجريبي القائم على المشاهدة والتجربة والاختبار -تانيا ــ إنها استقت من المصادر القديمة ، ولم يكن فيها تجديد أو ابتكار ..

ثالثا - إنها لم تتصل بالنهضة العلمية الأوربية ، لامن قريب ولا من بعيد · فالمعلومات الجغرافية والفلكية القديمة ظلت كما هي . فلم يصل إلى أسماع المصريين أنباء العالم الجديد، وما كشفه الأوربيون من قارات ومحيطات ولم يقفوا على شيء من تقدم علم الفلك أو علوم الطبيعة والكيمياء والطب ولو ترك المصريون وشأنهم في ظل هذه الحياة العلمية لما تغير حالهم ، ولبقيت معالمهم الفكرية كما هي دون أي تقدم .

لذلك لما اطلعوا على العلوم الحديثة التي صاحبت الحملة الفرنسية أبدوا دهشتهم واستغرابهم ، واعتقدوا أنها أنواع من السحر .

وحينما أرسل مجمد على البعوث العلمية إلى أوربا ؛ رأى الطلبة علوما لاعهد لهم بها من قبل . ورأوا كتبا مؤلفة بطرق تختلف عن الطرق المتبعة فى البلدان العربية. وأدركوا الفرق البعيد بين الشرق والغرب وقد سجل رفاعة الطهطاوى إعجابه بالطرق الغربية الحديثة فى التأليف ، ونعى على الكتب العربية اهمامها . الشديد بالنحو والإعراب ، وكثرة ما عليها من شروح وتعليقات ، وما فى أساليبها من تعقيد والتواء .

وحسبنا أن نقول إن الطباعة التى انتشرت فى أوربا فى ذلك العضر، لم تعرف فى مصر. وقد أدرك محمد على أن الثقافة للصرية فى ذلك الوقت لاتصلح لبناء دولة على الخمط الحديث. لذلك لم يتردد فى إرسال وفود الطلبة إلى مختلف البلاد الأوربية لتلتى العلوم كما استقدم الأساتذة والمدرسين من كل فن وعلم للتدريس بمصر وأنشأ المدارس على النمط الأوربي .

ولكن الآداب لاشأن لها بالحياة العلمية . فقد نشأ الأدب في صحراء العرب حيث كانت الحياة بدائية ، ولم تكن هناك حضارة ولا مدنية ، ولا كيمياء صناعية ، ولا ورق ولا طباعة . نعم في هذه الصحراء القاحلة ظهر فحول

الشعراء . إن الأدب لايمكن أن ينعدم لأنه وليد العواطف ، والعواطف موجودة فى كل زمان ومكان لذلك كان من الخطإ أن تربط بين تأخر العلوم والصناعات وبين الأدب فنحكم عليه بالانحطاط قياسًا على انحطاط العلوم .

وكذلك من الخطأ أن نتخذ لغة أمرىء القيس أو المتنبى أساسا للحكم على شعراءاله صرالعثمانى. وذلك لأن هذا المصر تحكم فيه طابع خاص يختلف كل الاختلاف عن العصور السابقة ولكل عصر طابعه، ولكل بيئة ممالمها ومميزاتها. والأدباء إنما يعبرون بلغة العصر الذي يعيشون فيه. وهل نحتقر الأدب الشعبى لأنه لم يتخذ لغة المتنبي في أساليبة وعباراته ٢٢

## الباسيالياني الفصيف الأولا الشعر ومذاهبه

قال الشهاب الخفاجي في ترجمة محمد البليني الشاعر للصرى المتوفى سنة ١٠١٩ ه مانصه (١٠ . « وله شعر أصنى من الرحيق المعتق ، وأسمى من . الوشى المنمق ، إلا أنه تجاوز رقة النسيب إلى التجنيس والغريب » .

وقال في ترجمة الشاعر يوسف بن زكريا المغربي نزبل القاهرة ، المتوفى سنة ١٠١٩ ه بعد أن أورد جملة من شعره<sup>(٢)</sup> «واعلم أن هذاكله ليس بشعر تر تضيه الأدباء ، وهو كل شعر أكثر فيه من البديع » .

وكتب الخشاب إلى أحد الشعراء ، وكان يعرُّض شعره للذم بالتزامه ما لا يلزم:

ألزمت (٣) نفسك في القريض مذاهيًا ذهبت بشعرك في الحضيض الأوهد هلا عكست فِئت بالقول السدى ؟ كدرت فيه بما صنعت بحوره ' فغدت مشارع ليس ينحوها الصدى نقد البصير بذهنك المتوقد

وتركت ما قد كان فيه لازماً فإذا نظمت فكن لنفسك ناقدآ أولا فدع تكليف نفسك واسترح من قولهم ما شيعر بالجيد

<sup>(</sup>١، ٢) خلاصة الأثر ٢ / ٢٤٦ . ٤ / ٤٠٥ .

<sup>(</sup>٣) الجبرتي ٢ / ٢١٧ وديوان الحشاب من ٣٨٠ طبع الجوائب .

فن هذا وأمثاله نعلم أن الشعراء المصريين فى العصر العثمانى كانوا كرهون التكلف والنزام الصنعة ، واستخدام المحسنات اللفظية من جناس وطباق ومقابلة إلا ما أتى عفوا ،ويفضلون أن يترك الشاعر نفسه على سجيتها. وهذا المذهب متفق كل الاتفاق مع قوم غلب على كثير منهم ارتجال الشعر فى سهراتهم الخاصة التى كانت تجمع بينهم ، وفى المجالس الأدبية التى كثرت فى ذلك العصر ، وفى الموالد التى تقام للأولياء .

وممن اشتهر بالارتجال: أبو السماع البصير المتوفى سنة ١٠٦٦ هوفيه يقول المحبى (١) د الشاعر البديهي ، أعجوبة الزمان، وأحد الأفراد فى البديهة وارتجال الشعر. وكانت طزيقته إذا أراد الارتجال أن يبدأ بإ نشاد قصيدة من كلام أحد الشعراء المتقدمين بصوت شجى . وفى أثناء إنشاده يبتدر على وزن تلك القصيدة فى أى باب كان من أبواب الشعر ؛ مدحاً كان أو غزلا أو غيرها > .

وورد دمشق فى أوائل شوال سنة ١٠٤٨ فأنزله أديب الزمان أحمد الشاهينى عنده ، وأقبلت عليمه أعيان الشام وأدباؤها لغرابة حاله وتفوقه فى شأنه » .

وقاسم بن عطاء الله المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ وفيـه يقول (١) الجبرتي. «.. وصار وحيد عصره في هذه الفنون -الشعر والزجل - يحيث لايجاريه أحد مع ما لديه من الارتجال في الشعر مع غاية الحسن. وكان الشيخ العيدروس يتعجب منه ويقول: هو ممن يلقنه جني ».

واجتمع يوماً في مجلس به جماعة من الأدباء كالشييخ محمد بن الصلاحي ، والشيخ عامر الزرقاني ، وكان يوماً مطيراً . فقال ابن الصلاحي مرتجلا :

<sup>(</sup>١) خلاصة الاعمر ١ / ١٣٩.

<sup>(</sup>٢) الجبرتي ٢ / ١٨٦.

لقدومكم ضحيك الفها م فعيلم العين البكا ما ذاك إلا أنه لنوال كفك قد حكى فقال قامم:

أفديك بالعينين يا نجدل الصلاح مع الذكا هطدل الغمام كأنه لعزيز جاهك قدد شكا

ومثل هذا كثير تجده منبثاً في ثنايا الكتب. وقد بلغ من كراهية. بعضهم للتكلف أنهم فضاواً نظم المزدوجات لأنها أسهل من نظم القصائد.

وكان الفن الشعرى غالباً على كثير منهم حتى إنهم استخدموا الشعر فيما يستخدم فيه النثر . مثال ذلك أن الشاعر يحيى(١) الأصيلي المتوفى سنة . ١٠١٠ هـ ذهب إلى منزل أحد الأعيان فأخر الإذن له ، فكتب يقول :

على الباب َمن كاد من شوقه يمـوت وذلك يحيى الأصيلي أنى يتغنى بأوصافكم فهل تأذنون له بالدخول ؟

بوحدث أن مرتضى الزبيدى كلف عبد الله الإدكاوى أن ينسخ له كتابا . وقام الإدكاوى بهذه المهمة ، ولكن الزبيدى أخر عليه أجره ، وأراد . الإدكاوى أن يطالبه بهذا الأجر ، فلم يبعث إليه برسالة ، وإعا بعث إليه بقصيدة (٢) جاء فيها :

صبیح الله سیدی بالسعاده وحباه من کل خیر مراده ووقاه الردی وزاد علاه رفعة لا تنی تزید سیاده خلك المرتجی إجابة ما قد عودته عاداتك المستجاده

<sup>(</sup>١) خلاصة الأمشر ٤ / ١٨١.

<sup>(</sup>٢) ديوان الإدكاوي ورقة رقم ٢٩٣ مخطوط ٧٨٢٨ — أدب ، دار الـكتب .

فتقضل وابعث بما قد تبقى ولك الفضل إن بعتت زياده وابق في العز والسيادة يا أو حد ما نال ذو احتياج إفاده

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً بحيث إننا نستطيع أن نجمع منها مجلدات. كما أنهم حذوا حذو أسلافهم في استخدام الشعر في الإجازات العلمية ، وفي تقريظ الكتب والرسائل. وبلغ من تعلقهم بالفن الشعرى أنهم نظموا بعض العلوم.

弊 柒 柒

قلنا إن الشعراء فى ذلك العصر كرهوا التكلف وآثروا أن يترك الإنسان نفسه على سجيتها . والآن نضرب بعض الأمثلة على ذلك :

قال الشهاب (١) الخفاجي من قصيدة طويلة :

قدحت رعود البرق زندا أضرمن أشجانا ووجدا في خمة الظلماء إذ مدت على الخضراء بردا حتى تثاءب نوره وتمطت الأغصان قدا وأتى الشقيق بمجمر للروض أوقد فيه ندا وعلى الغدير نفاضة سردت لها النسمات سردا وحبابه من فوقه قد بات يلعب فيه نردا فستى معاهد بالحمى قد أنبتت حبا وودا تذر الليالى فى ثرى من عنبر للمسك أهدى

<sup>(</sup>١) خلاصة الأثر ١ / ٢٣١ .

وقال الصبان (١) يمدح شيخ السادات:

بعبير سرك. تعبق الأقطار وبيمن طلعتك السعيدة طالعا وبجود راحتك الشريفة أخصبت للعالميين منازل وديار وإلى حمى حرم سمابك مجده تسعى العفاة وتهرع الزوار يادرة الدنيما وغرة وجهها ومنمار أهلبها إذا ما احتاروا ياقطب دائرة الوجود وعارفا ماشمس أفلاك المكال وسيدا يهنيك ما أولاك ربك من علا قد أفرغ المولى عليك مواهبا وعلى بنى العصر اصطفاك لرتبة السيد السند الإمام المجتبي الجوهر الفرد الذي لم تشتمل العروة الوثقي لمعتصم به تاج الأماثل، عين أعيان الورى وابن الكرام الشم من آل الوفا أبناء من سجدت له الأشجار كناه مولاه أبأ الأنوار إذ ما جاء ليسل الخطب إلا رده من ذلك الوجه المضيء نهار هو للأسبة رحمة وعلى العدى أسد الإله وسيفه البتار والنياس بالرتب العلية فخرهم ولها بأبناء السمول فخار الله في القرآن أذهب عنهمو رجسا وطهرهم فهم أطهار

وبنور وجهك تشرق الأسرار يصفو الزمان وترحل الأكدار بشذا تقاه تهبط الأسرار دانت له الأثرار والفجار دهشت لبعض صغارها الأفكار لاعد محصيها ولا معيار تركت قلوب عداك فيها النبار صدر الصدور المنتقي المختبار أبدا على أمثاله الأعصار الآية الكبرى لمرن يحتار غيث الساحة ، سيبها المدرار مرف نوره تتولد الأنوار منح من الوهاب عز مقامها ومواهب ما إن لهـــا إنكأر ماذا يقول المادحون وفضلهم نطقت به الآيات والأخبار؟

<sup>(</sup>١) اللوائح الأنورارية ورقة رقم ٤ مخطوط ٣٥٣٠ ـ أدب

وودادهم فرض وحبهمو به تمحى الذنوب وتغفر الأوزار وقال الشيخ عبد الله الشبراوي متشوقاً إلى مصر ونيلها في بعض أسفاره :

عصر ومن لی أن تری مقلتی مصرا فقد ردت الأمواج سائلة نهرا وأظهر فيها المجد آيته الكبرى فتطويل أخبار الهوى لذة أخرى تذكرت فيها اللحظوالصمدة السمرا وأشهد بعد الكسر من نيلها جبراً تقضت وأبقت بعدها أنفسا حسرى یجدد لی مر النسیم بها ذکری وألحاظ غادات قد امتلاّت سحرا علا وغلا من أن يباع وأن يشري وقرت بمن أهواه مقاتى المبرى وأسيجد في عواب لذتها شكراً

أعد ذكر مصر إن قلبي مولع وكرر على سممي أحاديث نيلها بلاد بها مد السماح جناحه رويداً إذا حدثتني عن ربوعها إذا صاح شحرور على غصن بالة عسى نحوها ياوى الزمان مطيتي لقد كان لى فيها معاهد لذة أحن إلى تلك المعاهد كلا أما والقدود المائسات بسفيحها وما في رباها من قوام مهفهف ِلْنُ عاد لَى ذَاكُ السرور بأرضها لأعتنقرن اللهبر فى عرصاتها . . . الخ .

ومن قول الخشاب في يوسف بن على الكاتب ، وكان يتولى تمرير المنشوزات للفرنسيين أثناء احتلالهم لمصر:

إنى رأيت أبا البرية آدما في النوم معتجراً ببرد معلم فدنوت منه مصليًا ومسلمًا وسألته في صورة المسنفهم - هل كان يوسف من بنيك فإننا من ذاك في شك مريب موهم ؟

قَأَجَابِ وهو مصعد ومصوب عينيه في كهيئة المستعظم حواء طالقة ثلاثاً إن يكن عمن إلى من البرية ينتمى . . . الخ .

ونستطيع أن نجمع مجلدات من هذا الشعر الذي يرسل فيه الشاعر نفسه على سجيتها . ومعظم نتاج العصر العثماني في مصر من هذا النوع . بل إننا تجد ما يفوق هذه الأمثلة قوة وروعة ، ورقة وسلاسة وعذوبة ، كما يتضح من مجموعة النصوص التي أوردناها في نهاية هذا الكتاب .

幣 幣 特

ولكن الشعر. في هذا العصر ابتلى بقوم دخلاء ، ظنوا لضعف شاعريتهم أنهم قادرون على أن يكونوا في عداد الشعراء إذا تكلفوا القول ، وأنفقوا الوقت الطويل في ضروب الصناعة اللفظية ، وهؤلاء الدخلاء على الشعر قلة لا يعتد بها ، ولا ينبغي أن تتخذ أساساً للحكم على العصر كله .

ومن هؤلاء عبد الرحمن الحميدى المتوفى سنة ١٠٠٥ ه وله ديوان مطبوع اسمه د الدر المنظم فى مدح الحبيب (١) الأعظم > فهو أحياناً يضع نصب عينيه إيراد جميع الحروف الهجائية فى البيت الواحد . مشال ذلك قوله :

خذوا بدى حسناً غزالا عشقتها فصرت كطل ظل بالثج فى رحض (٢) وأحياناً يلتزم الحروف التي لا تنقط ، كقوله :

أسرك دهر سره كله هم ومورد أكذار لوارده سم

<sup>(</sup>١) المطبعة المحمودية بالقاهرة سنة ١٣١٣ هـ ص ٧٠ ، ٩٥ ، ٨٣ ، ١٤٣ .

<sup>(</sup>٢) التج ثمح الماء أى سأل . رحص . رحضه كمنمه أى بمسله ، والرحض الفربة التي يوضم فيها للماء .

وتارة يلتزم بدء أبيات القصيدة بالحروف الهجائية على الترتيب » كقوله:

أبت هندوصلى فالكرى مذقست شطا وحظى ذكا من لاعج مثخن ضغطا بذلى قضت فالوجد زاك وعنه لا محيص بلا غوث شنى ناظرا سخطا

فالبيت الأول يبدأ بحرف الألف؛ والثانى بحرف الباء، وهـكذا إلى. آخر القصيدة التي تنتهـي بانتهاء الحروف الهجائية.

وله قصيدة سماها «شفاء العين بمديح العين » في المديح النبوى ، عدم السعة وأربعون بيتا ، كل بيت ينتهى بكامة «العين » فكأنه جمع المعانى المختلفة لهذه السكامة ، وأتى في كل بيت بما يتناسب معه في المعنى ، شأنه في ذلك شأن شعراء البديعيات الذين مدحوا الرسول عليه السلام بقصائد ، وجعلوا في كل بيت لونا من ألوان البديع ، مع فارق وهو أن هذا المادح اكتفى بلفظ العين على اختلاف معانيها في كل بيت من أبيات قصيدته التي جاء فيها :

يا مائسة القد يا مكحلة العين كم من حسد فيك قد أصبت من العين قد حزت جالا ورقة ودلالا إذ فقت هلالا أضا وفقت سنا العين

فالعين في البيت الأول هي العين الباصرة ، وفي البيت الثاني بمعنى.

وفى سنة ١١٥٨ ه قدم إلى مصر شاعر حجازى كسب شهرة و نفوذا فى عصره ، وهو نور الدين على بن تاج الدين القلعى المتوفى سنة ١١٧٠ هـ وكان مغرما بالصناعة اللفظية ، ومنها نوع يسمى « وسع الاطلاع » فاحتمع به بعض الشعراء ومنهم عبد الله الإدكاوى الذي أخذ عنه هذا الفن وأفسد به بعض شعره . ووسع الإطلاع أنواع هى :

۱ . - كل كلة في البيت تبدأ بالحرف الذي تنتهي به الكامة السابقة ، ما عدا القافية . مثال ذلك :

صب وعدك كم مطلته هاجرته كهلاً أجرته (١) ؟! سهران نام مسامرو ه هُنجناً أفلا أعته ؟!

فكلمة (صب » تنتهى بحرف الباءالذى تبدأ به كلمة (بوعدك »وهكذا إلى آخر البيت الأول. وفى البيت الثانى نرى كلة «سهران » تنتهى بحرف النون الذى تبدأ به كلة « نام » وهكذا إلى آخر البيت

۲ - نوع یسمی (العود) وهو آن تنظم قصیدة فتقول
 جماله قد علا تدرا وجل علا هاقد سبانی فلولا عاد یا نعمی (۱)
 ثم تعود فتأخذ من هذا البیت کلات مناسبة ، وتنظم منها بیتا آخر یبدأ بلفظة (جماله) ویذهبی بها فتقول:

(جماله قد سبأنی قد جل قدرا جماله) مثال آخر:

دلاله یأولاة الحب زاد فاو قدعاد بالقرب یاصحبی شنی سقمی (دلاله زاد صحبی بالقرب زاد دلاله) ۲ \_ النوع الثالث . أن تلتزم بدء كلمات البیت بحرف واحد مثل :

يتمنى يراك يوما يهنى يجتنى يانعا يمينا يساره "" ا

٤ ـــ أن تـكون كل كلة مكونة من حرف مهمل وحرف منقوط على
 الترتيب ، مثل :

جميل بديع جل ذاتا بهية به زدت حبا، فاتك عجاله '' ) هميل بديع جل ذاتا بهية به زدت حبا، فاتك عجاله '' ) منظم البيت مكونا من كلمات مهملة وأخرى منقوطة على الترتيب مثل: جننت ولوعا في هواه شغفت كم فتنت عساه يجتنى لكاله

(ه - الأدب المعرى)

<sup>(</sup>۲،۲ ؛ ۳ ) انظر دروان الإدكاوي ورقة ۲۲۰؛ ۲۲۲ ؛ ۲۲۷

<sup>(</sup> ٤ ) ديوان الإدكاوي ورقة ٢٣٣.

٦ – نظم البيت مكونا من حروف مفرقة . مثل :

أدم وده واردد رواه وروه وأول ودم راع ودودا وواله(١)

٧ - أن ينظم قصيدة يبدأ كل بيت منها بحرف بحيث لو جمعت هذه الحروف على الترتيب لكونت اسم الممدوح. مثال ذلك قوله:

١ -سيدى مذغبت عن صبك المغ رم ضاقت عليه أكناف مصر (٢) ٢ - يا فريد البها وحقك لا أصبر عن أن أراك يوما بدهري ٣ - داو مضناك باللقا وتكرم ياغزال النقا بقاولي وجبري ٤ – يا بديع الجمال يا واحد الحس ن حناناً تشنى سقامى وضرى o – أنت أنسى ولذتى وسرورى ومرادى وكنه سرى وجهرى ٣ - بك هام الفؤاد فامنن عليه منك بالوصل لا ترعه جميم ٧ - راقني ما أراه فيك من الحس ب البديع الذي تقسم فكرى ٨ - أحلالا بعدى وأنت بوجدى لك أدرى من كل عبد وحر ٩ - هام ليي في وصف ماحزت يا أه يف حتى قل نظمى و نثرى ك هلالى ياذا الجمال وبدرى قيك ومن لى حتى اللقاء بصبر

١٠ ـ يوم عيد رؤياك بل ومحيا ۱۱ ـ ما لقلبی صبرسوی أن یلا

فالأبيات الأربعة الأولى تبدأ على الترتيب بالحروف : س ؛ ي ، د ، ي . ومن مجموعها يتكون لقب الممدوح ﴿ سيدى ﴾ وبقية الأبيات تبدأ بالحروف ا، ب، ر، ١، ه، ي ، م .ويتكونمنها اسم الممدوح وهو إبراهيم .ويلاحظ أن المعانى كلها غزلية وليست من المدح في شيء .

٨ - أن ينظم قصيدة ، ثم يدخل زيادة في أول البيت أوفي آخره بحيث لا يتغير المعنى وإن تغيرت القافية في حالة ما إذا كانت الزيادة في آخر البيت. مثال ذلك قو له:

<sup>.</sup> YE. (Y\*\* (Y'))

يا من أيملُ بذكره عُقدُ النوائب والشدائد (١) يا من إليه المُشتَكَى وإليه أمر الخلق عائد فيقول إذا جعل الزبادة في الأول:

(ياذا العلا ياربنا) يامن تُحَلَّلُ لُ بذكره عقدالنوائب والشدائد (يا سيدى يا خالق) يامن إليه المصمتكني وإليه أمر الخلق عائد أو تكون الزيادة في الآخر فيقول:

يا من تحل بذكره عقد النوا ثب والشدائدُ (لا محالة تنجلي) يا من إليه المشتكى وإليه أمر رالخلق عائدُ (في المهم المشكل)

هذه هي ضروب الصنعة التي زاولها بعض الشعراء ومنهم الإدكاوي ، والقلعي ، وعبد الرحمن الحميدي .

أما الشعراء الآخرون فإنهم كرهوا مثل هذا التكلف. وقد أنكر بعض معاصرى الإدكاوى عليه هذا للذهب الذي يفسد الشعر ويجعله مجرد صناعة لفظية ، وذكروه بأساليب القدماء التي لم تعرف التكلف ، فرد عليهم قائلا :

كن للمعاصر خير ناصر كم للأواخر من مفاخير (٢) لا تحقرت جيديدهم كم في جديدهمو جواهب ودع التعصب للأوا ثل يا فتى أو للأواخس من كان منهم مبدعاً فاعقد عليه عرى الخناصر وهذه الأبيات لا أثر للتكلف فها .

\* \* \*

وقد انتشر في هذا العصر تسجيل التواريخ في القصائد بحروف ألجمَّـل.

<sup>(</sup>١) ديوان الإدكاوي ورقة ٢٤٠ ، وهذا النوع الأخير من الصناعة عرف بقلة في العصر -الفاطمي . مثال دلك قصيدة الاسكندراني « ذات الدوحة »

<sup>(</sup>۲) دیوانه ورقة ۳۳٦

وبيان ذلك أن الحروف الهجائية تتكون من : أبجد ؛ هوز ، حطى ، كلن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ .

أيحد : ١ = ١، ب = ٢، ج = ٣، د = ٤

حطي : ٤ = ٨، ظ = ٩، ي = ١٠

کلن : ل=۲۰، ل=۳۰، م=۲۰، ن=۰۰

سعفص: س = ۲۰ غ = ۲۰ ف = ۸۰ ص = ۹۰

قرشت : 0 = 0.10 و = 0.70 ش = 0.70 ت = 0.20

نخ : ث = ٥٠٠ خ = ٢٠٠ ذ = ٧٠٠

ضظغ: ض= ٨٠٠ ظ = ٩٠٠ غ = ١٠٠٠

واستخدمت حروف الجمل أولا في عبارات نثرية يتألف من مجموع حروفها التاريخ المقصود. وأقدم ما وصل إلينا من هذا النوع قول أحدهم مؤرخاً سبيلا أنشأه الوالى العثماني بالقاهرة ، وهو (١) ( رحم الله من دنا وشرب ) فمجموع حروف هذه العبارة بحساب الجمل يساوى ٩٦٦ وهو تاريخ إنشاء السبيل المذكور.

وأقدم تاريخ شعرى قول أحدهم فى مقتل رجل اسمه مجمود: موت مجمود حياة فيه للمالم رحمه (٢) قتله بالنار نور وهو فى التاريخ ظُـلمه

فالحروف التي تتألف منها كلة ﴿ ظله ﴾ بحساب الجُـمــَّل تساوي ٩٧٥ وهو تاريخ قتل محمود ، لأن ظ = ٩٠٠ ، ل = ٣٠ ، م = ٤٠ ، ه = ٥

ومن هذا الوقت نجُـد من الشعراء من يؤرخون بعض قصائدهم ـ

<sup>(</sup> ۱ ، ۲ ) لطائف أخبار الأول للاستعاق ص ۲۲

وهناك شعراء كثيرون لم يستخدموا هذا الفن ، أو استخدموه مرات قليلة . وأكثر ما يرد التاريخ الشعرى في قصائد الرثاء ، إذ كان من المستحسن عندهم أن يسجلوا تاريخ وفاة الميت . وكذلك ما ينظم للتهاني والأفراح . وقد ورد في بعض شعر المديح . أما الغزل والتصوف والهجاء فلم يرد فيه قط .

وكان يطلب من أحد الشعراء أن ينظم بيتين أو أكثر يختمهما بتاريخ بناء مسجد أو مدرسة أو قصر أو سبيل أو ضريح أو غير ذلك من المانى . وبعض الشعراء يسجل اسمه في نهاية القصيدة ، وهذا أمر عرف من قبل العصر العثماني . كما أن منهم من كان يختم بعض قصائده بالصلاة على النبى . وهذا أيضاً مما عرف من قبل .

وقد ظهر فى هـذا العصر ما يقرب من مائة شاعر ، وردت تراجمهم ومقتطفات من شعرهم فى تاريخ ابن إياس ، والكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة ، والنور السافر فى أعيان القرن العاشر ، وريحانة الألبا للشهاب الخفاجي ، وخلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر للمحبى ، وتاريخ الجبرتى .

## 僚 僚 斧

وقد اتضح لنا أن الشعر في هذا العصر تأثر ببيئات مختلفة ، وخضع لا تجاهات متباينة ، بحيث يمكننا أن نقسمه إلى مدارس ، نتناول كلا منها بالبحث لنكشف عن خصائصها . وهذه المدارس هي :

١ - المدرسة البكرية . ٢ - المدرسة العلوية .

٣ - المدرسة الأميرية . ٤ - المدرسة الشعبية .

## الفصل الثاتي المدرسة البكرية

## ظهور فكرة الصديقية لأول مرة في تاريخ مصر الإسلامي.

لم يكن للبكريين في مصر قبل العصرالعثماني شأن كبير . فقدذكر صاحب الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة (١) و أن جلال الدين البكري أنكسر عليه مال للسلطان الغوري فهم أن يعاقبه . فاستجار بصديقه عبد القادر الدشطوطي الذي توسط له عند السلطان فسامحه في المال . واعترافا بهذا الجميل وهب جلال الدين البكري ابنه أبا الحسن المدشطوطي ليلازمه ويكون في خدمته . ثم إن الدشطوطي جدد مسجدا ووهبه لجلال الدين وهو المسجد الذي مازال قائما بشارع البكرية بناحية بركة الرطلي ، والذي يحمل اسم جلال الدين .

وقال عبد الغنى النابلسى فى رحلته (٢) . ﴿ إِنَّ العسكر المصرى لما ثاروا على السلطان الغورى وأرادوا خلعه ﴾ أتوا إلى الشيخ جلال الدين وقالوا له : محن نقيمك خليفة على المسلمين فى بلاد مصر، لأن الصديق جدك كان كذلك فإن السلطان الغورى قد تعدى علينا وظلم ، وجاوز الحدود . فأجابهم بقوله أصبروا فإن سلطان ك قريب ، ثم وقع ما وقع وجاءهم السلطان سليم خان من بنى عثان » .

ومن السهل علينا أن ننني هذه القصة ، لأنها لم ترد في كتب التاريخ

<sup>(</sup>١) ورقة ٣٢٢ وما بعدها مخطوط ١٢٠٦ تاريخ .

<sup>(</sup>۲۰) ورقة ۱۸ مخطوط جغرافيا .

الموثوق بها ، فلم يذكرها ابن إياس . ومن ناحية أخرى لوجود الخليفة العباسى المعترف بخلافته . ومن ناحية ثالثة لأن المهاليك كانوا يتنازعون من أجل الملك . وكان نزاعهم يقوم على المطامع الذاتية . فليس من المعقول أن يخرجوا ملك مصر من أبناء جلدتهم ويعطوه طائعين مختارين لجلال الدين البكرى .

ثم ذكر عبد الغنى النابلسي قصة أخرى تتعلق بجلال الدين ، وهي :

« ويقال إنه – السلطان سليم – لما دخل مصر كان الشيخ جلال الدين آخذا بزمامه ، والشيخ أبو السعود الجارحي على يمينه ، والشيخ الدشطوطي على شماله . ويقال إن هؤلاء الأولياء الثلاثة هم الذين ذهبوا إلى الشام وجاءوا بالسلطان سليم وأدخلوه إلى مصر ، وهم مشاة في ركابه . وكان يقصر المنازل لأجلهم ، وقالوا له : هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وهذه القصة – وإن تكن من غير شك – مختلقة ، إلا أنها تدل على أن جلال الدين كان ممالئا للسلطان سليم . وربما كان مدفوعا إلى ذلك بما حدث بينه وبين الغورى .

وقد ذكر ابن إياس فى كتابه «بدائع الزهور»(١)\_ حوادث سنة ٩١٧هـ أن الشاه إسماعيل الصفوى أرسل إلى السلطان سليم رسالة جاء فيها:

نحن أناس قــد غدا شأننا حب على بن أبى طالب يعيبنا الناس على حبه فلعنة الله على العائب فأجابه سليم برسالة جاء فيها:

ماعيبكم هذا ولكنه بغض الذي لقب بالصاحب كذبتم عليه وعلى بنته فلعنة الله على الكاذب وكان ابن إياس معاصرا للحرب بين السلطان سليم وشاه إيران . وإذا كنا نرتاب في صدور هذا الشعر من سليم ، فإننا لانرتاب مطلقاً في وجود

<sup>(</sup>١) ٤ / ه ٣٨ طبع استنول.

طائفة بكرية أراد السلطان العثماني أن يكسبها إلى جانبه فى حربه ضد الشاه الشيعى ، وفى حربه ضد سلطان مصر السنى قانصوه الغورى • ونلاحظ أن سليم لم يذكر فى شعره سوى بغض الشيعة لأبى بكر وكذبهم عليه وعلى بنته، مع أننا نعلم أن الشيعة يبغضون كل من حال بين على والخلافة ويكفرونه •

وعلى كل حال فقد كانت سياسة الدولة العثمانية تعمل على ترويج الخصومة ضد الشيعة ، لأن الدولة كانت في حرب مع شيعة إيران وشيعة اليمن . ثم إنها رأت بعد تنازل الخليفة العباسي للسلطان سليم بالخلافة أن تبطل مزاعم العلويين فيها . فسخرت المؤلفين في كل مكان للطعن في تعاليم الشيعة وتفنيد آرائهم . ومن هؤلاء الكتاب الذين تطوعوا لخدمة الدولة: ابن حيجر الهيتمي المتوفى سنة ٤٧٤ ه فقد ألف كتابا اسمه « الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة » جاء في مقدمته (الإلى سئلت في تأليف كتاب يبين حقيقة خلافة الصديق وإمارة الخطاب . فأجبت إلى ذلك مسارعة في خدمة ذلك الجناب . فباء بحمد الله أنموذجاً لطيفاً » . وأهل الزندقة هم الشيعة في نظر المؤلف ، والباب الأول من هذا الكتاب في بيان كيفية خلافة الصديق ، والاستدلال على حقيقتها بالأدلة العقلية والنقلية . والرد على شبه السيعة وإبطالها ، والباب الثالث في بيان أفضلية أبي بكر الصديق على سائر هذه الأمة ، وقد أفرغ المؤلف جهده في إبطال حجج الشيعة في خلافة على هاده الوصية التي يزعمون أن الذي صلى الله عليه وسلم وصي بها له .

وعلاوة على ماتقدم فا نه ألف كتابا(٢) آخر في مناقب معاوية • وهذا يعتبر ردا على الشيعة كذلك لأنهم يكفرون معاوية .

وقد ذكر عبد الغنى النابلسى (٣) أن السلطان سليم شيد في قناطر السباع قصراً كبيرا ووهبه للشيخ جلال الدين . ثم إن العثمانيين منحوا ، شيخ البكريين

<sup>(</sup>١) ص ١٦ الطبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣٠٧ م

<sup>(</sup> ٢ ) تطهير الجنان واللسان من التفوه بثلب معاونة بن أبى سفيان مطبوع بهامش الصواعق المحرقة ( ٣ ) الحقيقة والمجاز ٣٥جغرافيا مخطوط

فى مصر امتيازات لم تكن له من قبل ، منها الأوقاف الواسعة . ومنها أنهم جعلوه شيخا لمشايخ الطرق الصوفية ، يعين شيوخها ، ويتنظر على أوقافها . فاستطاع شيوخ البكريين أن يبنوا القصور الفخمة على شواطىء بركة الأزبكية ، وبركة الرطلى . ويغرسوا بها الحدائق الغناء ذات النافورات الجميلة ويزودوها بالرياش الفاخرة ، ويقتنوا الخيول الأصيلة ، والجوارى والعبيد وأن يتشبهوا بالملوك في حياتهم .

وكانوا يستضيفون الأدباء والعلماء القادمين إلى القاهرة ، فتمكنوا بوساطة هؤلاء من نشر نفوذهم الأدبى وتعاليمهم من المين إلى الحجاز ، ومن العراق إلى الشام ، ومن مصر إلى شمال أفريقيا ، بل وفى تركيا . وكانت تحمل إلىهم هدايا الملوك والأمراء والأعيان ، وكانت شفاعتهم لا ترد ، وكلتهم مسموعة عند أرباب الدولة ، فانظر مثلا إلى ما يقوله صاحب خلاصة الأتر في (۱) ترجمة زين العابدين البكرى المتوفى سنة ١٠١٣ « وبلغ صاحب الترجمة في آخر أمره من الجلالة ونفوذ الكلمة مبلغا ليس لأحد وراءه مطمع حتى خشيه حكام مصر ، وكانوا يدارونه ويتوقعون رضاه »

وانظر إلى مايقوله عمد الأمينالشامي في كتابه (٢) «نفيخة الريحانة ورشيحة طلاء الحانة » .

« السادات البكرية سادات الوجود ، وأولياء النعم الذين عرفوا بالكرم والجود . بيت كالبيت العتيق يزوره من لبي وأحرم ، ومن نال لثم عتبة بابه فقد ظفر بالحيجر المكرم . ثبتت أوتاده وأطنابه ، ووصلت بأسباب الساء أسبابه . لا زحاف فيه إلا في بيوت حساده، ولا إيطاء إلا على قلوب أضداده . حرم آمن ليس للحوادث عليه هجوم ، ولا لشياطين البغى فيه استراق ، فلذا تستريح شهبه من الرجوم ، فهم نور الكون قبل أن يخلق النيران ، وقطب الدائرة قبل أن تؤمر الأفلاك بالدوران . خالصة الله من عباده أهل الصلاح ،

<sup>114/4(1)</sup> 

<sup>(</sup>٢) ورقة ٢٣٤ .

وتراب نمالهم كحل لعيون أهل الفلاح. مامنهم إلا فتى لثوب العز ساحب، وللوقار مع الصِّبا مصاحب. فإذا استوى على كرسيه فملك عليك المهابة قبل الحاجب حاجب. بحار طمت وعلت القلل ، متعهدة منخفض الوهاد في صوب العهاد ، فتوارت البحار خجلا منها. في جيد الدهر من مدائحهم عقود وقلائد ، ليس إلا كلاتها شذرات وقوافيها فرائد ».

松 松 林

وتدور تعاليم البكريين حول شخصية أبي بكر السديق. افنراهم يذهبون فيه مذهب الإسماعيلية في على ومعلوم أن الإسماعيلية قالوا إن نور الله تنقل من الأصلاب إلى الأرحام حتى اجتمع في عبد المطلب ، و منه إلى عمد فالأنمة من أبناء على . فقال البكرية إن الحقيقة المحمدية (١) انتقات إلى أبي بكر وذريته من بعده . فالصديق هو الإنسان الكامل (١) . و عرفوا الإنسان وذريته من بعده . فالصديق هو الإنسان الكامل (١) . و عرفوا الإنسان ما الكامل بأنه الجامع لما تفرق من الكالات في سائر الأفراد الإنسانية ما عدا النبوة . فهم والحالة هذه متفقون مع الإسماعيلية في نظريتهم في الإمامة التي تقول بمثل هذا القول عاما. و ذكروا في آية (رب أوزعني أن أشكر بعمتك التي أنعمت على وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه ، وأسلح لى في ذريتي ) التي أنعمت على وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه ، وأسلح لى في ذريتي )

<sup>(</sup>۱) عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق ، أأبه ، إبراهم الديدي ؛ س. ٣ وما مدها طبع جميعية المعارف بالقاهرة سنة ١٢٨٧ هـ

<sup>(</sup>٧) فكرة الإنسان السكامل عرفت عند الهرس و دما الهم الهرية و الدام، مرف عند اليونان باسم الإنسان الأول و ترق بعن المدهمرة و أن قدر ما الإياب الأبهاء و كن مسامية عضة عرفها الإسرائيلون ، ثم أخذها المسامون على يد جمية لمخوان السفا ، ثم ، فها الإسمائيلون على يد جمية لمخوان السفا ، ثم ، فها الإسمائيل مو والدا إم لمان مين المخدم المسلمون على يد جمية لمخوان السفا ، ثم ، فها الإسمال مو من أو المال المهول على المخلوا على « السكامة المتجسدة » عند النساري صور في أدو مهم من الأثر المهول الله ي ترك الخالق في المخلوق ؟ مع وضع أوع من الامران الشمر و بانهما إلى ما المالو الألمين هي المنهى عمد ؛ هذا النور الموي الأرلى الذي الله المال الامران على الدي الله الله على المالو « كوتى فلولاك ما خلقت السموات » والمعلاب في « أونى » له عدم المور

انظر الإنسان السكامل ؟ أَترجمة عبد الرَّمَنُ بدويٌ مَن ٨٧ مَامَ لُمَمَ اللهُ مِن المُامَمَ . والدَّمَةُ بِالقاهرة سنة - ٩٥ ا

صلاحا خاصا لأسرته ، أى أن يعطيهم مقام الصديقية التي تلى مقام النبوة فى الرتبة · وأتى « بنى » الظرفية الشاملة لصلاحهم ظاهرا وباطنا ، وهذا نفس ما ادعاه الإسماعيلية والشيعة عامة فى هذه الآية من أنها نزلت فى على وأبنائه من بعده ·

وقال البكريون إن الصديق الذي قال الله في حقه (ولسوف يعطيك ربك فترضى) أكرم على ربه تمارك وتعالى من أن يهين ذريته بإدخالهم النار في الآخرة . وقد قال الشيعة من قبل إن هذه الآية نزلت في على وأبنائه من بعده .

## \* \* \*

والصديقية عند البكريين قاصرة على ذرية (١) أبى بكر التى منحها الله له بصفة خاصة بناء على سؤال أبى بكر . ومن ذلك نراهم جعلوا الصديقية هذه في مقام الإمامة عندالشيعة وهنا يظهروجه الاختلاف بين البكرية والشيعة . فالشيعة يقولون إن ما خُص به أهل البيت إنما كان باختيار الله وبأمر منه دون أن يسأله أحد في ذلك .

وكما أن الشيعة قالوا بانتقال الإمامة فى ذرية على بحيث لا يخلو عصر من وجود إمام يكون حجة الله فى عصره على عباده ، فكذلك قال البكرية (٢)

وقد عرف عبدال كريم بن إبراهيم الجيلاني الإسان الكامل بأنه القطب الذي تدور هليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره . وهو واحد مندكان الوجود إلى أبد الابدين . وبقولهان الإنسان الكامل يظهر في صور مختلفة تبعا لا خنلاف الرمان . واسمه الأصلي « محمد » وله في كن زمان اسم يلمين به . ويقولهان الإنسان الكامل مقابل لجميم الحقائق الوجودية بفسه انظر الإنسان الكامل أأيف عبد الكريم الجيلاني ٢/١٦، المطبعة الشرفية بالقاهرة سنة ١٣٠٠هـ] وبقول ضدر الدين القونوى في رسالته « مراتب الوجود » «الإنسان الكامل ، وبه محمل المراتب و كمل أاما لم ، وظهر الحق بطهوره الأكمل على حسب أسمائه وصفاته . وهو الجامع للحقائق الحقية ، والحقائق الحلقية جالة وتفصيلا ، حكما ووجودا بالذات والصفات » [ الخر الإنسان الكامل ، ترجمة وتحقيق عبد الرحن بدوى ، مطبعة لحنة التأليف والترجمة والنصر سنة ، ١٩٥٠]

<sup>(</sup> ١ و ٢ ) عمدة لتخقيق ص ٩٩ ، ١٠٠٠

بانتقال الصديقية في ذرية أبى بكر بحيث لا يخلو عصر من وجود صدِّيق بكرى. قال محمد البكرى المتوفى سنة ٩٩٤ ه.

فى كل عصر منهمو سيد مؤيد بالحق ما حي الرِّيبْ

وروى عن محمد البكرى أنه قال « يجلس عقبنا مع عيسى ابن مريم على سيحادة واحدة ».

ولم يقف البكريون عند نسبة الصديقية إلى أبى بكر ، بل جعاوا له حقيقة معنوية تشبه الحقيقة المحمدية كا سنرى . فرووا حول أبى بكر كشيرا من الأحاديث التى تؤيد وجهة نظرهم فى الحقيقة البكرية مثل حديث (۱) «بعثت أنا وأبوبكر كفرسى رهان فسابقنى فسبقته، ولوسبقنى لا تبعته » وهذا الحديث ورد فى كتب الشيعة مع إبدال كلمة «أبى بكر » بكلمة «على» فالله لم يبعث محداو حده ، بل بعث معه أبا بكر ، ولم يكن أحدها يمتاز عن الآخر ، ثم أخذا يتسابقان نحو النبوة فسبق محمد ، وذكروا تأييدا لهذا الحديث أن أبابكر كان الثانى بعد الرسول فى الإسلام ، وأول من آمن به وثانيه فى الهجرة وثانيه فى الغار ، وثانيه فى دخول المدينة ، وثانيه فى الإيمان بالإسراء ، وثانيه فى الميلاد ، لأن الذي وله يوم الاثنين وأبا بكر ولد يوم الثلاثاء . والنبى ولد لاثنى عشر ربيع ، وأبو بكر ولد لثلاثة عشر ، وثانيه فى القيام والنبى ولد لاثنى عشر ربيع ، وأبو بكر ولد لثلاثة عشر ، وثانيه فى القيام بأمر الدعوة الإسلامية ، والخليفة بعده . وثانيه فى القبر وكم للقرآن من بأمر الدعوة الإسلامية ، والخليفة بعده . وثانيه فى القبار وكم للقرآن من أسرار هو فيها ثانى اثنين ! ؟ فصحبته للنبى أزلية .

وحدیث معناه أن النبی لما كان قاب قوسین أو أدنی من العرش أخذته وحشة ، فسمع فی حضرة الله صوت أبی بكر فاطمأن قلبه واستأ بس بصوت صاحبه . وقالوا إنه كان بين النبی وأبی بكر إشارات أزلية لايعرفها غيرهما

<sup>(</sup>١) العمدة س٩٩. وهذا الحديث ذكر بغير إستاد . ولا وجود له في الكتب المعتمدة . . وكذلك شأن جميم الأحاديث 'لتي أوردها صاحب العمدة .

فكان النبى يقول «يا أبا بكر ، أتدرى يوم لايوم أفيقول أبو بكر · نعم ٠٠ ومعناه : أتدرى لمــا كان كـذا وكـذا قبل خلق الأيام ٢٠

وحديث « خلقت أنا وأبو بكر من طينة واحدة » وحديث «كان جبريل. إذا قدم أبو بكرعلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحادثه يقوم إجلالاللصديق دون غيره ، فسأله النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال جبريل: أبو بكر له على مشيخة في الأزل. وما ذاك إلا أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم حدثتنى نفسى بما طرد به إبليس ، فحين قال الله تعالى اسجدوا ورأيت قبة عظيمة عليها مكتوب: أبو بكر ، أبو بكر ، مرارا ، وهو يقول: اسجد ، فسجدت من هيبة أبى بكر ، فكان ما كان ».

ورووا أنه لما مات أبو بكر واستخلف عمر كان يتبع آثار أبى بكر ويتشبه بفعله . فأخذ يتردد على عائشة وأسماء ويقول لهما : ماذا كان يفعل الصديق إذا خلا ببيته ليلا ؟ فيقال له : ما رأينا له كثير صلاة بالليل ولا قيام . إنماكان إذا جنه الليل يقوم عند السحر ويقعد القرفصاء ويضع رأسه على ركبتيه ثم يرفعها إلى السماء ويتنقس الصعداء ويقول : آخ ، فيطلع على ركبتيه ثم يرفعها إلى السماء ويتنقس الصعداء ويقول : آخ ، فيطلع الدخان من فيه . فيبكى عمر ، ويقول : كل شىء يقدر عليه عمر إلا الدخان . وأصل ذلك كما ذكروا أن شدة خوف أبى بكر من الله أوجبت احتراق قلبه ، فكان جليسه يشم منه رأمحة الدكبد المشوى ، وسببه كما زعموا أن الصديق لم يحتمل أسرار النبوة الملقاة إليه ،

وقالوا في حديث (١) « أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه » إن المعرفة التامة تكشف عن جلال المعرف وجماله . وكلاهما أمر عظيم جدا تنقطع دونه الغايات . ولولا أن الله تعالى ثبت من أراد ثباته وقواه على ذلك

<sup>(</sup>١) العمدة ص ٨٧ ، ٨٨

ما استطاع أحد الوقوف ذرة على كليهما جلالا وجمالا و والغاية في الطرفين قد نالها الصديق فقد ورد في الحديث « ماصب في صدري شيء إلا صببته في صدر أبي بكر ما أطاقه في صدر أبي بكر ما أطاقه العدم مجراه من الماثل ، ولكن لما صب في صدر النبي وهو من جنس البشرية فجرى في قناة مماثلة للصديق ، فبواسطتها أطاق حمله ومع ذلك احترق قلمه » .

ومن هنا نرى أن البكرية كفرقة صوفية امتازت عن غيرها من الفرق، وذلك بأن أضافت إلى مفهوم الحقيقة المحمدية الصوفى عنصرا جديدا ، هو الحقيقة الميعنوية لأبى بكر الصديق، بحيث تكون هذه الحقيقة الآخيرة ملازمة للحقيقة الأولى ، ولا تمفك عنها منذ الأزل . وقد مر بنا قولهم إن صحبة أنى بكر للنبى أزلية ، أى أن الحقيقة البكرية وجدت مع الحقيقة الحمدية .

وإذا كان الصوفية يقولون إن الأولياء يتصاون بالحقيقة المحمدية فإن البكرين قالوا إن الأولياء يتصلون بالحقيقة البكرية . وقد صور لنا محمد البكرى المتوفى سنة ٩٩٤ ه الحقيقة البكرية في شعر كثير بذكر منه (1):

تجلى بأنواع من الفيض بالأمر (٢)
تعالى عن الأوهام والذهن والفكر
ومرشد أرباب الهدى سبل الذكر
وعين هداه قد أفاضت على البحر (٣)

هو الجمع في عين الشهود بلا مرا هو الملكروت الواسع المطلق الذي هو المرحموت الجامع الكل في العلاهو العين من عين لعين تنقلت

<sup>(</sup>۱) دنیوان محمد البکری ورقة ۱۲۰ محطوط ۸۵

<sup>(</sup>٢) الجمع : الحالة التي يشعر فيها الصوق بوحدة الحق والخلق ، ويفي عن نفسه وعن كل ماسوى الله . بلامرا : بلاشك . الفيض : هو تجلي الذات الإله.ة .

<sup>(</sup>٣) العين : موضع تجلى الذات الإلهية . أو النَّور الإلهيُّ .

هو المركز النورى في كل حضرة

وجامعملك الكون فى قبضة الأسر

هو الكلوالكل العظيم جميعه بباطنه كالدر في مهمه فقر أهو يَّتُه منه إليه مسيرها تحدث عن أسراره كل ذي قدر هو الجامع الأسرار من آدميه ووارث خير الخلق في السروالجهر ومشهد كل العالمين مقامه ورافعهم في الله فوق ذرى الفخر وكل ولى بعدد طه وعارف فمقطة ماء من بحار أبي بكر وما زال هذا المجد فمه حقيقة

إلى أن بدا المولى أبو الحسن البكرى

ومعنى هذه الأبيات أن أبا بكر اجتمع فيه الحق والخلق فتجلت فيه الندات الإلهية ، وأصبح هو هذا العالم المتراى الأطراف الذى لا يستطيع الإنسان أن يحيط به أو يدرك كنهه. وهو الذى اجتمعت فيه الرحمة وأصبح هاديا ومرشدا للناس. وهو العين أى النور الذى تنقل فى الأصلاب من آدم وهو مركز النور الإلهى ، وفي كل مجال يظهر فيه أثر للسر الإلهى ، وفيه تركز هذا الوجود ، فهو الخلق والحجود ، والصورة التي يتجلى فيها الحق يوم القيامة تبدأ منه وتنتهى إليه معربة عن أسراره ، وهو الذى اجتمعت فيه الأسرار الإلهية من لدن آدم ، والذى ورث خير الخلق ، أى النبى محمد عليه الصلاة والسلام . فهو يمثل العوالم كلها ، ويكسبها فحرا لاحد النبى محمد عليه الصلاة والسلام . فهو يمثل العوالم كلها ، ويكسبها فحرا لاحد أبى بكر . وما زال هذا المجد يتنقل فى ذرية أبى بكر حتى ظهر فى شخص أبى الحسن البكرى .

\* \* \*

وقالوا إن داوم (١) ناموس آل الصديق وقيام عزتهم إلى انتهاء الدنيا

ثابت بقوله تعالى «فى ذريتى » فإن عدتها بالجمل الكبير ألف وأربعائة وعشرة ، وهى مظنة تمام الدنيا . وعندهم أن من أحب آل الصديق نجا من كل سوء ، ومن كل مكروه . وأن خلافتهم صدق وحق وقد نص عليها القرآن . قال مجل زين العابدين (١ البكرى :

وحاشا الذي بالحب والودينتمي إلينايري سيوأ وحافظه الولى خلافتنا بالحق والصدق قد أتت أدلتها عن نص ذكر مرتل.

وقال محمد البكري إنه ورث الخلافة عن النبي :

ورثت النبى فلى من رباه مقيدل الخلافة والمسرح ومنكر آل الصديق كافر. قال : (۲)

إن الذى ينكرنا لقد أتى إحدى الكبر وكل من يعرفنا نال الأمانى وظفر وظفر وقالوا إن الألف فى «ألم» (<sup>(1)</sup> تشير إلى أبى بكر ، واللام إلى الله ، والميم إلى عمد . وفى ذلك يقول محمد البكرى :

لئن كان فحر الأكرمين صحائفا فإنا لآيات الكتاب فواتح وأطالوا القول في آية ( ثانى اثنين إذ هما في الغار إذيقول لصاحبه لا يحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وفي الحديث الوارد عن النبي عليه السلام. حين مرض وهو «مروا أبا بكر فليصل بالناس ».

\* \* \*

ومع أن البكرية غالوا فى أبى بكر غلوا قبيحاً كما رأينا ؛ إلا أنهم طمنوا فى الشيعة ، واعتبروهم جميعاً رافضة (ئ) وقالوا إن الرافضى إذا أشرف على الموت يقلب الله صورة وجهه وجه خنزير، فلا يموت إلا إذا صار وجهه كذلك، فإذا رآه أهله فرحوا واستبشروا لأنه مات على الرفض . أما إذا لم يحدث ذلك فإنهم يحزنون ويقولون إنه مات سنياً .

<sup>(</sup>۲۰۱) دیوانه ورقة ۵۰، ۹۸ (۴) العمدة س۸۷ والمراد ألم نشرح اك صدرك، وكل آية وردت فيها «ألم» (٤) العددة ص ٨٦

وأول شخصية بكرية ظهرت في العصر العثماني وتركت آثاراً أدبية ي هي شخصية أبي الحسن البكري للتوفي سنة ٩٥٢ هـ وسبق أن ذكرنا أن أبا الحسن لازم الدشطوطي . وقد حدث أن زار مصر أحد كبار متصوفة الشام في ذلك الوقت وهو « رضي الدين الغزي » فأمر<sup>(١)</sup> الدشطوطي أبا الحسن أن يأخذ عنه التصوف . ولم يلبث أبو الحسن أن استوعب تعاليم الصوفية وبخاصة ابنءربى وابنالفارض. ثم ذهب لأداء فريضة الحج واتصل بكثير من علماء الأقطار الإسلامية . ولما رجع من الحجاز زاول التدريس بمسجد والده جلال الدين ، وبالجامع الأزهر . ومؤلفاته التي وصلت إلينا يغلب عليها الجمع ، إذ هي أحاديث نبوية في موضوعات شتى . مثال ذلك < غاية الطلب في فضل العرب، و < تحفة المجلان في فضائل عثمان ، يحتوى على أربعين حديثاً بإسنادها . وقــد ترجبم له الشعراني في ذيل (٢٠ طبقاته فقال ﴿ الصوفى المحدث ، نادرة الزمان ، الشيخ أبو الحسن البكرى كالشيخ رضي الدين الغزى . وتبحر في علوم الشريعة من فقه وتفسير وحديث وغير ذلك . وكان له النظم إلشائق في علوم التوحيد ي. وأطلعني مرة على تائية عملها نحو خمسة آلاف بيت أوائل دخوله في طريق القوم ، ثم إنه غسلها وقال إن أهل زماننا لا يتحملون سماعها لقلة صدقهم َ في طلب الطريق > •

وقال محمد المينى فى كتابه « السنا(٣) الباهر > ما نصه ﴿ وقال جماعة إنه - يعنى أبا الحسن البكرى - بلغ رتبة الاجتهاد ، وصنف التصانيف الكثيرة المحررة الشهيرة ، منها ثلاثة شروح على المنهاج ، وثلاثة شروح على المنهاج ، وثلاثة شروح على المنهاج ، وثلاثة شروح على المنهاح ، وشرح الإرشاد ، وشرح العباب ، وشرح الروض ، ومختصر الإيضاح وشرحه .

<sup>(</sup>١) الـكواكب السائرة ورقة ٣١٢ مخطوط رقم ١٢٠٦ تاريخ .

<sup>(</sup>۲) ص ٥٠ طبيع مصر سنة ١٣٠٢

<sup>(</sup>٣) س ٣٨ طبع مصر سنة ١٣٠٨

وعدة متون في الفقه ، وعدة رسائل في التصوف ، وغير ذلك . وكل كتبه محررة ، ومسائلها مقررة . وانتشرت تصانيفه في سَائر الأقطار ، وانتفع بها الكبار والصغار. وأخذ عنه خلائق لايحصون ، وتخرج به العلماء المارفون. وله نظم نضد فيه عقود الجواهر ، يقصر عنه كل أديب وشاعر . وله موشحات توحيدية لم ينسج على منوالها أحد من البرية ﴾ .

ولكن ديوان شعره لم يصل إلينا . وقد أورد له صاحب الكواكب السائرة(١) قصيدة طويلة في التصوف والحب الإلهي ، والوعظ والإرشاد وللناجاة ، نذكر منها :

أنتم معانى الكائنات فأينما أنتم حللتم حلَّت ِ البركاتُ لله ما أحلى قديم حديثكم ذاك الذي هو للقاوب حياة تحيا قلوب العارفين بذكركم والجاهلون قلوبهم أموات غـَّني الزمان عدحكم متعللا فرحاً فكل جهاته نغمات

وبدا سنا مصباحكم فقلوبنا كزجاجة وصدورنا المشكاة وقع النداء لنا ألست بربكم ؟ قلنا : بلي وأجابت الذرات

والقصيدة كلها على هذا المنط من الرقة والسلاسة والبعد عن التكلف، ولكن المذهب الصوفي لأبي الحسن لا يظهر فيها . ولا يستنتج من قوله :

. . . . . فأينا أنتم حلت البركات

أنه يدين بمذهب الحلول ، لأن أتباغ هذا المذهب يقولون بحلول الله في جميع المخلوقات الطاهرة والشريرة ﴿ والمخلوقات الشريرة لا بمكن أن تكون محلا للبركة الإلهية التي يذكرها الشاعر .

<sup>( )</sup> ورقة ٣٠٣ مخطوط .

وقد نوه البكريون بشأن أبى الحسن كثيراً فى كتبهم ورسائلهم ، ورووا قله الكرامات والخوارق . واعتبروه مؤسس مجـــدهم الأدبى والصوفى حوالاجماعى فانظر إلى ابنه محمد البكرى حين يقول :

وكل ولى بعد طه وعارف وما زال هذا المجد فيه حقيقة خاز جميع الإرث وازداد أمره فن ذاك أن العين حقاً تقابلت فودت تجليها بهسا فتعينت فأصبح مخطو بالجمال ورونق الهوعالم هذا العاكم الأكبر الذي وهيكل أسرار التجلي وقطبها ولاعجب أن يطلع البدر في الدجي ووارث تكليم الكليم وحائز الهووض ربي روض تربته التي ولوح به رقم العلوم بأسرها

فنقطة ماء من بحار أبى بكر إلى أن بدا المولى أبو الحسن البكرى به منه ما يبديه عن شأنه ذكرى بعين تجلّى الحق في أحمد السر بعين تجلّى الحق في أحمد السر بطلعتها في الذات من دون ماستر توسع حقا في مراتبه الغُرَّ ومشر ق بدر السر في ليلة القدر بأية وقت شاءه ملك الأمر بما يبديه في الكيم العشر يفوق شذاها المسك في طيبً النشر وسر نظام الكون في البرّ والبحر وسر نظام الكون في البرّ والبحر

فلم يذكر الشاعر أحداً من أجداده ، بل قصر كلامه على والده . وقال إنه كالبدر الذي طلع في الظلام ، ولا عجب في أن يطلع البدر في أي وقت متى أراد الله ذلك . ويريد بالدجي خمول الذكر الذي لازم أسرته مدة من الزمن ، ولم يتبدد إلا بظهور أبي الحسن الذي حاز إرث الصديق وأضحى موضعاً لتجلى الأسرار الإلهية ، متعمقاً في علوم الحقيقة التي تلقاها عن الله مباشرة كما تلقى موسى الوصايا .

\* \* \*

ولما مات أبو الحسن خلفه في مشيخة السجادة ابنه محمد البكرى الكبير المشهور بأبيض الوجه ، المكنى بأبي بكر ، وأبي المكارم . وقد ترجم

لنفسه فذكر أنه ولد عام ٩٣٠ ه ثم تحدث عن نشأته وحياته الدراسية واشتغاله بالتدريس والتأليف ، وما له من نظم و نثر ، وردت هذه الترجمة في كتاب «عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق » تأليف أحسد دعاة البكرين في القرن الحادي عشر ، وهو إبراهيم العبيدي المالكي الذي شغل. وظيفة الإفتاء في البحيرة . وقد رآه عبد الغني النابلسي حينها زار مصر. سنة ١١٠٥ ه وذكره في رحلته ،

قال محمد البكرى إنه ختم القرآن في أواخر السابعة من عمره ، وصلى به إماما<sup>(۱)</sup> في تراويح رمضان في مقام السادة المالكية عند الكعبة وهو في الثامنة . ثم حفظ ألفية بن مالك والتنبيه لأبي إسحاق الشيرازي في فقه الشافعي قبل عام العاشرة . وكان مواظبا على حضور دروس والده ، فأخذ عنه التفسير والفقه والحديث . ولم يذكر أنه تتلمذ لأحد سوى والده ،

ثم شرع في التأليف وهو في السادسة عشرة • فشرح كتاب الاختصار في فقه الشافعي ، وقطعا من مؤلفات فقهية ، ورسائل كاملة في التصوف • وزاول التدريس في مسجد جده المشهور بالجامع الأبيض . ثم خلف والده في التدريس بالجامع الأزهر •

\* \* \*

ورث محمد البكرى عن والده ثروة طائلة مكنته من أن يعيش كما قال الشعراني عيشة الملوك في مسكنه وما كله، وملبسه ومركبه، وجواريه و عبيده. وكان الناس ينكرون على البكريين الجمع بين الغنى وحياة التصوف التي ينبغى في نظرهم أن يكون طابعها التقشف والفقر، ولكن البكريين ومنهم محمد البكري كانوا يرون ألا تناقض بين الغنى والتصوف، ويحتجون بقو لهم (١) إن أبا بكر كان له علا ثمائة وستون كرسيا ، على كل كرسى حلة بألف دينار. وأن عبد الرحمن بن عوف كان من أغنياء الصحابة ، ونحن نعرف من

<sup>(</sup>١) إمانه الصي جائزة عند الشافعية والمالكية

<sup>(</sup>٣٠٢) العمدة ص ٨٧، ١٢٣

التاريخ أن أبا بكر عاش فى الإسلام فقيراً ومات فقيراً • فإن صحت دعواهم فى عبد الرحمن بن عوف فا نها لاتصح فى أبى بكر . واحتجوا كذلك بقوله تعالى «قل من (١) حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق» وقوله صلى الله عليه وسلم «كل طيباً ، والبس طيباً ، واعمل صالحاً » .

متع مجل البكرى في حياته بنفوذ أدبى واسع ، وتبادل الرسائل مع الملوك والأمراء والوزراء والأعيان في كثير من أنحاء العالم الإسلاى . وكانت تصل إليه الهدايا النفيسة ، وكان مقبول الوساطة ، وقد ذكره الشعرا في ذيل طبقاته وأثنى عليه كثيرا . كما ذكره عبد الرءوف المناوى في (٢) طبقاته والثنى عليه كثيرا . كما ذكره عبد الرءوف المناوى في (١) طبقاته والطبقة العاشرة فقال « . . . وزق من القبول والحظالتام عندالخاص والعام مالا تضبطه الأقلام ، وكان فصيح اللسان ، ذكى المصروالزمان . يلتي دروسافي التفسير عررة موشحة بمناقشات كبار المفسرين كالزيخشرى وأضرابه ويأتى في تقريره بما يدهش الناظر ويحير الخاطر . واختص في زمنه بإلقاء دروس التصوف الحافلة البديعة . ولم أر أحدا من علماء عصره كهوفي صفاته وخلو مجلسه من اللفط واللغو والغيبة ، فكان مجلسه لا يذكر فيه شيء من وخلو مجلسه من اللفط واللغو والغيبة ، أما تفسير بعض آيات قرآنية أوأحاديث نبوية . وكان الباشا وقاضي العسكر فن دونهما من الأمراء والكبراء يأتون إليه وكان الباشا وقاضي العسكر فن دونهما من الأمراء والكبراء يأتون إليه ويخصونه من بين أقرانه بالزيارة مرارا وكرارا كثيرة "

وإذا كان بعض معاصريه أنكر ولايته لأنه لمير له كرامة، فإن البكريين اعتقدوا فيه الولاية ، ورووا له الكرامات الكثيرة . وقالوا إذا كانت لك طاجة إلى الله وأنت في أى مكان من الأرض فتوجه نحو قبره وقل « ياشيخ محمد ، ياابن أبي الحسن ، ياأبيض الوجه ، يابكرى ، توسلت بك إلى الله تعالى في قضاء حاجتى » فإنها تقضى ، وهي مجربة فيما زعموا .

<sup>(</sup>١) الأعراف آية ٣٢

<sup>(</sup> ٢ ) الكواكب الدرية ، ويعرف بطبقات المناوى ورقة ٢٣٢ مخطوطرقم ٢٦٠ تاريخ

ويعتبر محمد البكرى أعظم شخصية بكرية ظهرت في مصر خلال العصر. العثماني . فهو الذي وضع الحزب البكري المشهور الذي انتشربين أتباع الطريقة البكرية مدة طويلة . وهوأول من اتخذ شمره وسيلة للدعاية للتعاليم البكرية . وقد ترك ديوانا ضخها، منه نسختان خطيتان بدار السكتب المصرية . الأولى تحت رقم ١٧٢٢ – أدب . وتوجد منه نسخة خطية رقم ٥٨ – أدب ، والثانية تحت رقم ٢٥٥٧ ج ، كما أن الجامعة العربية أحضرت . شريطا من استنبول من نسخة خطية لهذا الديوان ، رقها ١٢١٥

ولمحمد البكرى ، عدا هذا الديوان الضخم ، مجموعة رسائل عنوانها «دستور الغرائب ومعدن الرغائب ، منها نسخة خطية بمكتبة بلدية سوهاج. وقد أحضرت الجامعة العربية شريطا من هذه النسخة تحترقم ٤٥٤ ـ أدب وله كذلك بعض رسائل في التصوف . وسنقصر الكلام هنا على شعره .

茶 袋 袋

شعر محمد البكرى ؛ عدا القليل منه ؛ فى التصوف . ولكى نقف على . حقيقة مذهبه الصوفى سنضع أمامنا بعض ما يكشف لنا عن آرائه الصوفية .. فن ذلك قوله :

زهموا أنهم من الأبرار قسما إنهم من الكفار كل شيء هو الإله الباري. فاب من لم يسكن من الأنصار ألم ويرضى مقالة الفجار ألم ويرضى مقالة الفجار ألم وسعوا فيه حيلة الأفكار كل أنا وحدة بلا إنكار

كم أناس توغلوا في الدعاوى بل من العارفين بالله لكن أطلقوا وحدة الوجود وقالوا يا لقدوى أمالطه نصير أي شخص يقول آمنت باللا وتراهم تمشدقوا بأكاذي أطرقوا الرأس حياة لحطام قائل منهمو أنا الحق وال

وغدواً في أثواب زور ولبس وشنار وذلة وعـوار في هذه الأبيات تعريض شديد بالاتحاديين (١) والحلوليين (<sup>٢)</sup> والقائلين بوحدة الوجود. واتهام لهم بالكذب والنزييف، والغش والخداع، فضلا عن السكفر والفجور . وقد كرر هذا في مواضع كثيرة من شعره . فمن ذلك قوله :

ما حلت الذات ، بلجلت وما اتحدت بمشرق ، لا ولا المعني بمنقسم وقوله:

وأتحاد مخالف لوحدته فالوصف فيه تلونا حاول محال وقوله:

حيرة عمت الوجود فأعمت عن سناها قوما وصحبا وآلا فاستمع لى واستنصت الكون وافقه ما إليك انهى وخل الخيالا ليس في مظهر يحل .حبيبي هو أعلى قدرا وأبهى كالا لا ولا باتحاده قال قوم عرفوه حاشا لذا أن يقالا

فإذاكان محمد البكري كما ترى ينكرمذهب الأيحادوالحلول ووحدة الوجود ويكفر أصحاب هذه المذاهب ، فبأى رأى كان يدين ؟ الواضح من شعره أنه كان يقول بوحدة الشهود، أي أنه يذهب مذهب ابن الفارض مع فارق عظيم، وهوأن مجدالبكري يقول بالحقيقة البكرية التي تنتقل في ذرية الصديق، والتي امتازت بها هذه العائلة عن غيرها من الناس. ولوأ نهقال بمذهب الأمحاد أو الحلول أو وحدة الوجود لفقد هو وأفراد بيته الميزة الوحيدة التي يتمتع بها، وذلك لأن للذاهب السابقة تسوى بين الناس وتجعلهم كلهم متصلين بالذات الإلهية ، فلا ميزة لأحد على أحد . وهو يريد أن يكون لبيته مكانة خاصة وميزة لا يشاركه فيها غيره ، ألا وهي وراثته للحقيقة المحمدية والحقيقة

<sup>(</sup>١) مذهب الاتحاد ينص على أن الخلق متعد مع الحق

<sup>(</sup>٢) مذهب الحلول ينص عَلَىأَنَ اللهَ حَالَ فِي الْحَلُونَاتِ .

الكرية وإذا كان محمد البكري قدكفر القائلين بالحلول والأتحاد ووحدة الوجود، فإن الإسلام الصحيح يبرأ من التعاليم البكرية والقائلين بها ، والمروجين لها .

ذكرنا أن محمد البكري كان يدين بمذهب وحدة الشهود . والمؤمنون بهذا المذهب يقولون إن الله يتجلى لـكل من يخلص له في عبادته ويفني في حمه. قال محمد المكرى:

والاحت لنا فاستغرقت كل واحد وصارت له فينا عن الأين طاويه مقدرة سر الوجود بوحدة الشب مهود فلا تلتي هنالك ثانيه

والمعني أذالذات الإلهية تحبلت وتكشفت وجذبت نحوها هؤلاءا لمتصوفة فغابوا عن الزمان والمكان ؛ ولم يشعروا بوجودهم من فرط النشوة .

ويمبر محمد البكري عن مذهب وحدة الشهود مستدلا بقصة موسى عليه السلام حينًا رأى النار وتوجه إليها فتجلى له الله سبيحانه وتعالى وكليه . قال :

جعتنى منك حتى كنت منك عا قدست فيه لموسى ذلك النادى تزت بنورك جمعا سرحة الوادي فظنها المطلب المقصود فابتدراا مشهود حتى تبدى أنك البادي ما أنت نار ولا نور تقسمه ال أحلام هيهات أنت الواحد الهادي فامن بكشف حجاب أنت ناسجه عليك منك وقرب كل قصاد

جعلت بالشيحر المخضر نارك فاء

في هذه الأبيات إشارة إلى قوله تعالى على لسان(١) موسى ﴿ امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، ويقول المتصوفة

<sup>(</sup>١) سورة بطه آية ١٠.

إن الله تجلى لموسى فى صورة النار لأنها عين مطلوبه من جهة. ومنجهة أخرى فا نها رمز القهر والمحبة ، لأنها تفنى كل ما اتصل بها . وكذلك الله يفنى كل ما اتصل به ، أى كل من تحقق من وحدته الذاتية وهذا الفناء هو الذى يعبر عنه المتصوفة بالجمع . والنار كذلك رمز المحبة لأنها مصدر النور المحبوب لذاته .

وينكر محمد البكرى لبس الصوف والمرقعات الأنها لا تتفق مع ما كان عليه من غنى . قال :

وما مذهب للفيلسوف وفرقة بلبسته للصوف مذهب شرعتى \*\*

ومن مصطلحات (١) الصوفية الواردة في شعره :

١ - الجمع والفرق: الجمع الحالة التي يشعر الصوفي فيها بوحدة الحق والخلق ، ويفني عن نفسه وعن كل ماسوى الله . فهى حالة غيبية روحية .
 وعكسها حالة « الفرق > التي يكون فيها في حالة صحو ، أي حينا يشتغل بأمور الدنيا . قال :

وأبعد الجمع عنهم في شئو نهمو ما يحتجب العين من غبن ومن كدر فالحق بالحق مرآة لشاهدهم وليس ثم سوى المعشوق للفطر

٢ - البسط والقبض: البسط هو النشوة التي يشعر بها الصوفى فى حالة فنائه بالذات الإلهية. وعكسه القبض، وهو الضيق والتبرم الذي يقع فى حالة الصحو. قال:

وأطلقهم بسطا بكل لطيفة وقيدهم قبضا بدائرة الفنا ٣ – الطي والنشر ، وهما كالجمع والفرق . فالطي : انطواء الخلق في الحق في حالة الفناء ، أو الغيبة الروحية . وعكسه النشر . قال :

<sup>(</sup>۱) رجمت في شرح هذه المصطلحات إلى معريفات الجرجاني، وشرح فصوص الحسكم لصدر الدين القونوي .

نشر وطى حكة قدسيه سعدى و كى ظلة رسمية ويقول المتصوفة إن الذات الإلهية اذا نظر إليها مجردة عن جميع العلاقات ويقول المتصوفة إن الذات الإلهية إذا نظر إليها مجردة عن جميع العلاقات والنسب لم يكن لها دلالة ولا إشارة إلا على نفسها . أما العالم الذى هو كثرة من صورالوجود فله إشارتان : إشارة إلى نفسه ، وإشارة إلى الذات المندرجة في كل صورة من صوره . والحقيقة أن الوتر هو الشفع ول كنهما متغايران في الذهن ، كما أن الواحد العددى هو عين الأعداد كلها ولكنه مغاير لها أصل العدد ، وكل ما يأتى بعده فهو مندرج فيه . فالإثنان عبارة عن واحد زائد واحد . والثلاثة عبارة عن واحد ، زائد واحد . وكذلك . سائر الأعداد . وقد أخذ إخوان الصفا عن اليونان هذه الفكرة فقالوا إن الواحد الواحد أصل العدد ، وقد أخذ إخوان الصفا عن اليونان هذه الفكرة فقالوا إن

· ومنه شفعه الأزهـ بدا في الخلق بالوتر ِ وقال :

واستغرق الشفع بالوتر المحيط ولا تترك لنفسك سهما غير مرمى

اللاهوت والناسوت: يقول المتصوفة إن لكل موجود ناحيتين: ناحية الباطن أو الحق ويسمونها باللاهوت. وناحية الظاهر أو الحلق.
 ويسمونها بالناسوت. قال محمد البكرى:

فلم أدر ما الناسوت أين ولا الذي تعين باللاهوت عن وصف نسبة - الفيض: تجلى الذات الإلهية. قال:

هو الجمع فى عين الشهود بلا مرا تجلى بأنواع من الفيض بالأمر وتكون بمعنى خروج شيء من شيء ، مثال ذلك قوله : وعظَّر الأرَجُ القدميُ حِلَّتنا َ وفاض من مُعكرات الغيب وادينا ٧ - التعينات : وهي مجالي الذات الإلهية . فكل ما يتجلى فيه الله يسمى التعين . قال :

فأشباحهم فى برزخ من شهوده وأرواحهم فى غيبة القرب والغنى هـ الحيرة : الحالة التى يرى الصوفى فيها الحق فى كل شىء . ويرى . الواحد كثيراً ، والكثير واحدا ، والأول آخراً ، والآخر أولا، إلى غير ذلك من الأمور المتناقضة التى توقع النفس فى الحيرة وتجعلها هأيمة على وجهها ، دائبة الحركة فى دائرة الوجود . قال :

هديت بالغرة من ضل في طرتك الدهما وحيرتني

10 — القدوس والسبوح: هما من أسماء الله. ومعناهما المنزه، وإن كانوا يقولون إن القدوس أخص في معنى التنزيه من السبوح وأبلغ، إذ التقديس تنزيه الله عن كل صفات الممكنات ولوازمها حتى كالاتها، وعن كل ما يتوهم ويتعقل في حقه تعالى من الأحكام الموجبة للتحديد والتقييد. وبعبارة أخرى التقديس هو نهاية التجريد، ولا تقول به إلا النفوس المجردة. التي لا صلة لها بالأمور المادية قال محمد البكرى:

إلى القدس الذاتي والمعهد الروحي إلى ملكوت منه يظهر سبوحي وقال :

وقد دخلوا لكن بيوت وجودهم وأدخلنى القدوس أى جناب. ١١ – السر المحيط والسر البسيط . يطلق الأول على الذات الإلهية ، والثانى على الإنسان قال .

وبَعيزة السر المحيط مركب السرير البسيط بطينية وتراب

ولقوله ونفخت فيه آية تعطى القلوب من المنى ما تطلب ١٣ ـ الأحدية والصمدية : الأحدية اسم للذات المجردة عن جميع الأسماء والصفات. والصمدية نسبة إلى الصمد، من أسماء الله تعالى. قال : في روضة أحهدية صمدية أنا لى بها منى المغنى المطرب . في روضة أحهدية التي يتجلى فيها الحق يوم القيامة. قال :

يا هويات صفات ظهرت في ذوات بالتجلى قهرت

١٥ ـ قرآن وفرقان : استخدم المتصوفة كلة < قرآن > بمعنى الدعوة إلى تنزيه الله . فن دعا إلى تنزيه الله فهو قرآنى . وقد ردد محمد البكرى هذه الكلمة فى شعره فقال :

قرآن عرِفانی َ الأعلی یکلمکم فاسمعوا وانصتوا یاجملة الأمم وکذلك استخدموا کلة ﴿ فرقان ﴾ ومعناها. لا یختلف عن ﴿ قرآن ﴾ قال محمد البکری :

فبعيني منه الأعجة ، ظهرت جمعًا بفرقان

۱۹ ـ النكاح: يرى المتصوفة أن أعظم اتصال جسمانى بين الرجل والمرأة هو النكاح ؛ إذ فيه يتوجه الرجل لإيجاد ولد يكون على صورته ويخلفه من بعده . ولذلك شبهوا توجه الله إلى خلق آدم ونفخه فيه من روحه ليكون على صورته ويخلفه ويرى فيه نفسه ؛ شبهوا هذا بالنكاح .

وعزة قد أنكحتها بكُــُـشــيّر وقيس لليلي صار في شرعتي بعلا فولًد ذاك البعل منها مشاهداً يعدد ها شكلا ويجمعها شملا 17 - التابوت: وهو في اصطلاح الصوفية الجسم الإنساني. وقد ورد

ذكر التابوت في قوله تعالى ﴿ وقال لهم (١) نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ﴾ والمراد بالسكينة عند المتصوفة : الحضور الإلهى ، أو الله نفسه . وفي هذا المعنى يقول محمد البكرى :

وقابلك التابوت فيه بقية يضم بها التابوت من سرّة شملا الله العارف: هو الولى أو الإنسان الكامل الذي تحققت فيه كل صفات الوجود، فكان مظهراً تاماً وكوناً جامعاً لها وقلب العارف من رحمة الله، وهو أوسع منها لأنه وسع الحق جل جلاله . ومن خصائصه أنه يشاهد الحق في كل عبلى ، ويراه في كل شيء ، ويعبده في كل صورة من صور المعتقدات . وقد وصف محمد البكرى نفسه بأنه عارف الوقت ، وخصوص الزمان . قال :

الفتى البكرسي مقدام الوغى عارف الوقت ومخصوص الزمان

19 ـ الحكمة: والمراد بها عند الصوفية التعاليم الباطنية التى اختص بها النبى محمد عليه السلام وورثها من بعده. وأطلقوا على هذه التعاليم اسم العلم الباطن. وهو عندهم علم الطريق الصوفى ، وما ينكشف للصوفية من حقائق الأشياء ، ومعانى الغيب. قال:

ينزل الحكمة في روضها غيثًا تعالى الله من ودقه ومن خصائص الحكمة أنها تنزل على القلوب ، لا على العقول.

٢٠ ــ المطلق الأعلى : ومعناها الذات الإلهية . قال :

تجلى المطلق الأعلى فجلل نوره الأدوار. ٢١ ـ ذات الذوات . ومعناها الحقيقة المحمدية . قال :

<sup>(</sup>١) سُورة البقرة آية ٢٤٩

هو السر في ذات الذوات تقابلت شواهده في في عنس وطينة ٢٣ ـ الولى: الولاية عند للتصوفة أساس المراتب الروحية كلها. فكل رسول ولى ، وكذلك كل نبى وأخص صفات الولى المعرفة ، أى العلم الباطن والنبوة والرسالة تنقطعان لأنهما مقيدتان بالزمان والمكان . أما الولاية فلا تنقطع . وقد وردت كلة ﴿ ولى › في مواضع مختلفة من شعر محمد البكرى.

فعساه يذكرنا وذلك سؤلنا فهو الولى ابن المحرة: المجلى الذي يظهر فيه فعل إلهي خاص. قال:

وأنجلت آزال حضرته من شئون البدء في الأبد وقال:

حدثنا الواحد عن واحد عن حضرة المشهود والشاهد وقال:

هى الروح والروح أمر خنى دق إلا عن حضرة الرحمن فضرة الرحمن هى مجموعة المجالى التي يظهر فيها أثر الرحمة الإلهية .

٢٤ ـ التخلل: هو سريان الحق في صورة الموجودات جيعها . قال :

تخلل روحی حبه فهو شاهدی ومشهود روحی فی جمیع المشاهد

ويفسر الصوفية كلة ﴿ خليلا » فى قوله تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ (١) الله إبراهيم خليلا » بالتخلل وهو السريان

٧٥ ـ أسماء الذات: قال المتصوفة إن الكون هو الأسماء التي أطلقها الله على نفسه . وغاية الخلق عنده أن يرى الله نفسه في صورة تتجلى فيها صفاته وأسماؤه . أو بعبارة أخرى يرى نفسه في مرآة العالم . وإلى هذا يشير محمد البكرى في قوله:

<sup>(1)</sup> النساء \_ ه١١

أَشَمَاء الذات تجلت في ستر الأوصاف وذا الأرَبُ هذه أهم المصطلحات الصوفية التي أوردها محمد البكري في شعره. وقد أَخذها كلما من كتب ابن عربي وبخاصة فصوص الحكم الذي يشير إليهبقوله:

انقشت في فصوصنا حكم اله وصف فرحنا نحير في الحكاء

وقد سبق أن ذكر نا أنالبكريين أضافوا إلى جانب الحقيقة المحمدية بمعناها الصوفي ؛ حقيقة أخرى هي الحقيقة البكرية . قال محمد البكري :

وأعلنت ُ نورى في مشاهد حضرة الحجمال على أعلام أعلام ملتى وقدست هاتيك المنازل عنسوى تنزل عرفاتي ببطحاء مكة ومنيٌّ بصدِّيق صديق مطهر ال وجود ومرآتي وعين سريرتي وما ثم إلا أن أمرى أمره وتحقيقه في نظرة أي نظرة ولولاي ما وُلِي ولي ولاية وقد وُليت هذا اللوا أُوليتي فقل لأهيل الحق قالة صادق تأتّل عليها بالعهود الوثيقة عليكم بباب الله باب محمد فلوذوا به قبل انخرام المنية وفوزوا بتقبيل الثرى في رحابه ولا تنثنوا عنه بصارف شهوة

فهو في هذه الأبيات يشير إلى ورائته للتحقيقة البكرية ، فأمره أمرها . و لولاه ماظهر الأولياء · ثم ناشد أتباعه ومريديه أن يلجأوا إليه ويلتفوا حوله ، ويلوذوا ببابه الذي هو باب الله حتى يفوزوا برضي الله . وقد عني نفسه في قوله ﴿ عليكم بباب الله باب محمد ﴾ إذ أن اسمه محمد . فمن لاذ ببابه ، وقبل ثراه فقد ظفر بألحسني وزيادة ، وأصبح مقربا من الله · وقال :

أما بالصدق والتصديق موالى حضرة الصلهديق مجالى طلعة التحقيق وأهل الفييض والذكر و في آل أبي بكر يقول:

لهم نفحات هب نشر نسيمها لهم ألسن عرف رجهم بشئونه لهم عزمات لو أشاروا ببعضها لهم رحمات لو يقابل فيضها لهم نظرات صاحبتها عناية مفاتيح أسرار القلوبوحضرة الخلائف أقطاب ماوك أعمة بنو الصدق والصديق أفضل سيد عبهمو في ذمة الله آمر

فن طيبها كل المعاهد عطروا تحدث عنه منه فيه وتخبر ليدنبلأو رضوى لهدواوفطروا ذنوب البرايا أصبحت وهى تغفر بها الفقر يفنى مثلما الجبر يكسر غيوب ومن أسرارهم ليس تحصر ميامين من جدواهمو فاض كوثر ما ثره بعده النبيين تذكر بعزمهمو يرعى ويحمى وينصر

هذه بعض خصائص العائلة البكرية. فهم أهل التقوى والورع ، وأهلالعلم الباطن . وهم أولو العزم والطول ، وأهل الرحمة الذين أودع الله فيهم أسراره ، من أحبهم فقد نجا من الهلاك ، وأمن على نفسه من شرور الدنيا وعذاب الآخرة .

وأبو بكر الصديق أفضل الوارثين للنبى صلى الله عليه وسلم . قال : عليك صللة الله ثم سلامه يدومان ما قلب لنحوك منبعث وآل وأصحاب ولا سيما الذى هوالصادق الصديق أفضل من ورث ويصف محمد البكرى نفسه بأنه يضى العالم بخلافته ، ويغيث الملهوف ، ويحمى

الضعيف ، ويكشف الخطوب ، ويفرج السكروب · وباسمه يزول البؤس, والضر . قال :

وإنى لقدس العالم الأحدى من وإنى إذا المضطر نادى أغثته وأنى أحمى من أشاء بإذنك الوإنى كشاف الخطوب وفارج الوإتى سبط المصطنى أحمد الذى

إضاءة بدرى بالخلافة لآلاء وتكشف عنه بالعناية حوباء على وتأتيسه بمنسك سراء كروبوباسمىزال بؤس وضراء شريعته يمن ويسر وسمحاء و إنى من أبناء صديقه الذى بأسراره سادت أصول وأبناء ففخرا لأتباعى و ُخدّام حضرتى وبالله أوليهم جميع الذى شاءوا

نجد مثل هذا منبثافي ديوانه ، فهو لم يترك الناس ليعتقدوافيه ماشاءوا ، وينسبوا إليه ما يحلو لهم من الكرامات والخوارق ، بل أخذيدعو لنفسه ، وينوه بفضائله وخصائصه ، وما حبى به من القدرة الفائقة على إغاثة الملهوف وحماية الضعيف ، ودعا أتباعه لأن يفخروابه ويتمسكو ابأهدابه . وقد وضع لأتباعه ومريديه أناشيد خاصة يتغنون بها في حلقات الأذكار ، وفيها تقديس عظيم لآل الصديق . فمن ذلك قوله :

يا نفحة نبويه يا نفحة بكريه يابهجة أحديه يا عزة صمديه ياحضرة قدسيه فها الأماني للأريب

> الغوث بالفرج القريب ياآل صديق الحبيب

اصدق وصدق يامريد واترك بماراة العميد (١١ واسلك على النهج السديد واتبع لنا الرأى الجيد فأنا النجيب ابن النجيب

الغوث بالفرج القريب ياآل صديق الحبيب

هكذا اتخذ محمد البكرى شعره وسيلة للدعاية له ولبيت الصديق. وكان هو كرئيس حزب ديني كبير يرغب في طبع أتباعه بطابع خاص حتى يمتازوا عن غيرهم. وهذا الطأبع هو تربيتهم على حب آل الصديق وتقديسهم، والولاء لهم في السر والعلن، وإخلاص الاعتقاد فيهم. ولا يتيسر ذلك إلا إذا شغلهم بمثل

<sup>(</sup>١) العميد: السيد.

تلك الأناشيد ، يضعها في أسلوب سهل عذب ، له رنة موسيقية حلوة . وكان أتباعه يحفظون هذه الأناشيد ويتغنون بها، وينقلونها من مكان إلى مكان فذاعت وانتشرت على كل لسان . وهـ و يذكر بعد النفيحة النبوية النفحة البكرية . وهذا طبيعي لأنه يريدأن يصرفالناس عنحب آل على ، ويجعلهم لايؤمنون إلا بأبي بكروآله. فالحقيقةالبكرية التي هي هدفه الأول والأخير ، والتي اجتهد في الدعاية لها وحمل الناس على الإيمان بها ؛ ظاهرة ظهورا واضحاً في هذا الشمر وتلك الآناشيد - ٠

وكما أن محمد البكري تأثر بكتب ابن عربي وخاصة فصوص الحكم ، فإنه تأثر كذلك بابن الفارض . فنظم في الحب الإلهي والحمرة الإلهية شعرا كثيرا نسج فيه على منوال ابن الفارض؛ وأضاف إلى جانب الحرة الإلهية خمرة أخرى هي الخمرة البكرية . قال :

وإذا أُديرت خرة بكرية أذِّن وقل لا عاش من لا يستقي وإلى جانب الحب الإلهي حب آل الصديق .

ونجد في هذا الشعر غزلا بالأماكن الحجازية وتشوقا إليها مثل: سلم، ورامة ، والوعساء ، وحاجر وغيرها . وهولا يقصد بها ظاهرها ، وإنما يكني بها عن الحقيقة المحمدية . كما يذكر الكثيب ويكنى به عن المقامات المحمدية التي تشبه رمال الكثيب في عدم القدرة على حصرها . ومثال ذلك قوله :

ذكر العذيب ورامة فتشوَّقا يبكي حذارا أن يقال تعوقا لا والذي خلق النوى وقضي به لست المخلف عن أثيلات النقا والنقا : كناية (١) عن المقام المحمدي الذي انتقاءالله واختاره

ونجدكذلك غزلا ببعض النساء كسعاد وزينب ومي والرباب وغيرهن . وهو حين يذكر هذه الأسماء يكني بها عن الحضرة الوجودية المحتجبة بصور (۱)را طر سرح دیوان ابن الفارض لعبد الغنی النابلسی ، و تعریفات الجرجانی

نَالَا كُوانَ العَدَمَيَةُ . مَثَالُ ذَلَكُ قُولُهُ :

أدعو سمادا ثم أدعو زينبا ها قد عشقت فقيدى أو أطلق ويذكر الحمى ويكنى به عن الروح الأعظم أو الذات الإلهية . قال : حدد بذكر الحمى عهدى وأشواق واهتف عن حبهم عهدى وميثاق والربوع كناية عن مقامات العارفين ومنازلهم، وما يجدون فيهامن الحقائق والعلوم . قال :

درت بين الربوع أسأل عنهم أين حلوا وجدتهم في فؤادى ويذكر حادى الأظعان ، فيريد بالحادى : الله ، والأظعان : الناس . قال :

ويا حادي الأظمان ررِّوح بذكرهم فؤادى وقل عن ظبى رامة منشدى والأقنار كناية عن العارفين بالله . قال :

ما رأينا الأقمار تهتر بالتيه هـ دلالا وتنثني كالغصون ويكني بالخرعن شراب المحبة الإلهية. قال:

فهاتها خرة لو أنها ذُكرت عند اللسيع لأغنته عن الراقى وقد سبق ابن الفارض إلى هذا المعنى فقال:

ولو أن ركبًا يمسوا ترب أرضها وفي الركب ملسوع لما ضره السم ويكني بالحان عن حضرات الذات العلية. قال:

فسر معى نحو حانات أتزان بها عروسها سير مشغوف ومشتاق وقد أتى فى شعره بكثير من معانى ابن الفارض. مثال ذلك قوله: أنا يعقوب هواها فارحموا من تفانى فى الجمال اليوسنى وهو شبيه بقول ابن الفارض:

لو أسمعوا يعقوب ذكر ملاحة في وجهه نسى الجمال اليوسفي

وقوله :

أو باشمها دعى الأموات لابتدروا من فورهم يحسبون الحشر للباقي. مأخوذ من قول ابن الفارض:

ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت لعادت إليه الروح وانتعش الجسم وقوله :

أو أنها جليت والليل معتكر لأشرق الليل منها أى إشراق مأخوذ من قول ابن الفارض:

ولو خضبت من كأسها كف لامس لما ضل فى ليل وفى يده النجم وكذلك تحدث عن الوتر والعود، والسماع والغناء، والشطح والرقس وغير ذلك مما عرف به الصوفية، فن هذا قوله:

لم تسمع الأذن أنباء من الوتر وإنما الوتر أهدى طيب الخبر والعود إن رن أن الصب فابتدرت دموعه فحكت صوبا من المطر ما ذاك من طرب باللهو بل طرب بحكمة أشهدتها العين بالآثر ونجد أمثال هذا كثيراً في شعره .

旅 恭 恭

وقد سبق أن ذكرنا أنه أضاف إلى جانب الحب الإلهى حب آل الصديق ، والتفانى فى الإقبال عليهم والإخلاص لهم .. وكان يعتبر نفسه صديق زمانه ، الوارث للحقيقة البكرية . وشعره فى هـذا يشبه شعره فى الحب الإلهى . انظر إلى قوله :

لا تشتغل عن شهودى إياك إياك واحذر فكل شيء مليح منه جمالي أكبر المسرق منى وحاجب الشمس أسفر

وناسم من حديثي كل الأماجد أسكر والله والله لولا جمال ذاتی کستر لأحرقت نسيرانى أهل الوجود للمَمَّر ولم يكن قط عبد لحسن وجهي أبصر هل ظن غيرى مولى من الأُمَّة يُذكر ؟ ومن یخالف أمری فی حضرة المقت يقبر أحمى الذمار وإنى ليث الزمان الغضنفر سبطالحبيب ونجل الصديق أكرم معشر قد فاز قومی وصحی بذاك حالی بشر

. فهو يدعو الناس إلى ترك كل ما يشغلهم عن شهوده ، ويحذرهم من الانصراف عنه ، ويقول إن جاله يفوق كل جال ، وأن البدر والشمس طلعا منه . وحديثه مسكر ، ولولا جمال ذاته لأحرقت نيرانه الدنيا وما فيها . والأُعْة كالهم لا يذكرون إلى جانبه ، ولا ينبغي لأحد أن يذكرهم . ومن أَمل جوده ظفر بمطلوبه . ومن خالفه ولم يؤمن به أصابه غضب الله ، وحقت عليه اللعنة : وهو عامى الناس من البلاء . وقومه وأصحابه ومحبوه هم الفائزون . وقال :

أَلْدُ مِن رَسْفُ زَلَالُ السَّضَرَبِ وَمِن مِدَام تُوسِّجِت بِالْحَـبَبِ \* وضرب قينات بأعوادها تهيِّيمُ القلبَ بحسن الطرب ومن سرير الملك رقِّيته 'يبلّغ العبـد رفيع الرتب

أَلَّذُ مَنِ ذَاكُ وَمَنَ ذَا وَذَا حَبِ بَنَي الصَّدِيقُ نَخْرُ العَرْبِ جحاجح المجـــد و ملاً كه مظاهر السر محل المحب(١)

<sup>(</sup>١) جعاجع : سادة ، مفردها حجاح .

في كل عصر منهمو سيد مـــؤيد بالحق ماحي الـرِّيب ما أمَّهُ في الكرب مَن أمَّهُ إلا وزالت عنه كل الكُررَب فاقصيد حماهم خاضعاً سائلا رضاهم فهو أجهل القُرب

وإن يضق أمر فقل سادتي هذا بني الصديق وقت الحَسَب (١)

لا نجد شاعراً من ذرية أبي بكر - قبل محل البكري - نظم مثل هذا الشمر ، ولا اتخذ شمره وسيلة للدعاية إلىحب آل أبي بكر والإيمان بالحقيقة البكرية . فهو من هذه الناحية يعتبر مجدداً في الشعر المصرى أي أنه أضاف. إلى أغراضه للعروفة في عصره غرضاً جديداً هو الحب البكري .

وقد اتخذ من نسبه المتصل بأبي بكر الصديق من ناحية أبيه ، والمتصل. بالحسن بن على من ناحية جده لأمه عجالا عظيا للفيض . فنظم في هذا الصدد. قصائد كثيرة تعيد إلى الأذهان شعر الشريف الرضى في الفخر . ولا غرابة في . ذلك فقد توفر له العنصر الذي توفر للرضي . فمن ذلك قوله :

أنا ابن أبي بكر المجندَبي وسبط كرام بهم أمدَحُ بني حسن سبط طه البشير وكمن نوره الزاهر الأوضيح به شرِّف البيت والركن والصحطيم وزمزم والأبطيح إذا وزن الناس طُرًا به فكفَّة ميزانه أرجيح فتحت كنوز الهدى للعفا ة فأعطيهمو خير ما يمنح ولست براض وحاشای أن یخیب مریدی فلا پنجے أُسَرُ إذا أُمَّنى سائيل فإنى بإسمافه أفرح ولى همة فوق فرق الأثير ونفس لما فوقه تطميح بحد لسانى ذبحت العُدا ة فلله سيدف به أذبح

<sup>(</sup>١) المعنى : إذا وقعت في شدة فقل يابني الصديق ساعدوني وأعينوني فإني عسوب، عليكم؟ وهذا وقت المساعدة .

و يُذْ كُرَنَى الحُلَمَ خُلُقَى الكريسِمُ فأعفو ومثلى من يسميح ورثت ُ النبى فلى من رباه ُ مقيل ُ الحلافة والمسرح وقت ُ بأعتباب عِرْفانه مقيا هناك فلا أبرح

فهو هنا يفخر بنسبته إلى أبى بكر وإلى النبى صلى الله عليه وسلم . ويقول إنه يهدى الناس إلى الحق ، وأن قاصده لا يخيب . فهو كريم يقرح بقدوم السائلين عليه . وبعد أن قدم الفخر بحسبه ونسبه وكرمه ، أخذ يفخر بفصاحته وقوة بيانه التى أهلك بها أعداءه . ثم فخر بحله وعفوه . والتهى من ذلك إلى أهم شىء عنده وهو وراثته للخلافة النبوية . والبكريون يعتقدون أن النبى حينها عهد إلى أبى بكر بالصلاة بالناس إنما عهد إليه بالخلافة . وعلى ذلك فمحمد البكرى هو الوارث الوحيد للخلافة النبوية فى عصره . فهو فى فخره بحسبه ونسبه ، وكرمه ، وحلمه ، وعفوه ، وصفحه ، وفصاحة لسانه وقوة بيانه ووراثته للنبى عليه السلام يشبه تماماً الشريف وفصاحة لسانه وقوة بيانه ووراثته للنبى عليه السلام يشبه تماماً الشريف الرضى من حيث المعانى والأساليب .

ومما روی عنه قوله « جدتی لوالدتی من بنی بخزوم ، فولدنی فی قریش ثلاثة بیوت : بنو تمیم ، وبنو مخزوم ، وبنو هاشم » وقد ردد همذا فی شعره فقال :

أنا ذو المجد أثيلا وابن فياض الهبات من بنى تيم قريش صفوة العرب السراة وذؤابات بنى ها شم الغرس المحاة وزعامات بنى مخزو م الصيد الكفاة نحن بالصديق فزنا بالأمانى العاليات فلمن مهوانا كل أنواع الهبات

وكما أن الشريف الرضي يقرن الفخر بالحماسة ، فكذلك فعل عمالبكري في أسلوب قوى رائع لا يكاد يختلف عن أسلوب الرضي من حيث جودة الصيافة وفخامة الألفاظ ، فضلا عن الصور والمعانى . ومثال ذلك قوله :

لهامابه وسع النُّها نف طافح (١) كأن ُعِرَّ الجيش بالقوم زاخر خضم وفلك الخيل فيه سوائح كأن مدار الحرب حان وخيلنا نشاوَى نجيع أرسلته الجوائح (٢) أكف لآسياف المنايا تصافح ونحن ملوك الحرب والصّيد صيدنا وليس لنا إلا الأسود جوارح وفتياننا شم العــرانين عزة وكيف وإنا في السراة جحاجم وأبصارنا من فوق ذاك طواميح ومجد معالينا تعالى مقامه فإن سيم مدحا لم تنله القراتيج فإنا لآيات الكتاب فواتح

وسرت وثغر النصر يبسم سابحا كأن أعادينا ولا بلغوا المنى فاين كان فحر الأكرمين صحائفا

وإذا كان محد البكرى صادقا فى فخره بحسبه ونسبه ؛ فإنه لم يصدق فى هذا الشعر الخماسي الذي يصور نفسه فيه في صورة البطل المقدام الذي تهاب لقاءه الشجمان . وذلك لأن واقع حياته لا يدل على ذلك ، فلم يكن من رجال الحرب ولم يذكر عنه أنه قاد جيشا أو اشترك في معركة · وإنَّا كان يحيا حياة دعة وسلام ، ويعيش في ترف ونعيم ، مشتغلا بعلوم الدين والتصوف ونظم القصائد . ومثل هذا يقال في الحماسة عند الشريف الرضي .

وقد صبغ فخره بصبغة تصوفية · مثال ذلك قوله : فِن أَى أَفَق تَشْرَقَيْن بَهِذُهُ ال مَعَارِفُ إِشْرَاقًا عَلَى غَيْرِهُ سَمَا

<sup>(</sup>١) اللهام : السكتيف والضخم . النفائف ، جم نفنف ، أي الصحراء المتسعة . \_

<sup>(</sup>٢) اللواقح . المحملة بالأمطار . (٣) النجيع . الدم السائل .

<sup>(</sup>٤) شم. جم أشم وهو المرتفع. العرائين: الأنوف (٤) جعاجع: جم جعجاح وهوالسيد

هفقالت بأفق العبد صديق وقته ومن ملا الأدوار جودا وأنعا إمام بني الصديق في الوقت مطلقا ومن أتقن الأسرار علما وأحكما

ومنجاء في العصر الأخير التنتهى به رتب التدوير كيسا وتختما

فهو منبع الأسرار الإلهية ومشرق المعارف الربانية . وهو صديق وقته و إمام عصره . والأدوار جمع دور ، أي الوقت الذي يقوم فيه الإمام ، وهو . صاحب الدور . ويقول علا البكري إن الأدوار انتهت به وختمت بظهوره ·

وبدخل في باب التصوف ما نظمه الشاعر في الوعظوالإرشادوآداب المريد كَمَا يراها، مثال ذلك قوله:

حفظ الحدود وترك الحظ والأرب مجانبا لسبيل اللمهو واللعب نصف لمولاه بالإخلاص في الطلب تكلُّى أثارشجاها نوح منتحب في بابه ذل مسكين ومكتئب رب العباد ليلقى غاية الأرب والذكر أعظم ما يختار من سبب من المعارف سرا باهر العجب يختاره الله من كشف بلاريب على أوامره في سائر الرتب

مدار ُ أحوالنا في كلُّ مرتبة وأنيكونالذي يهوىمشاهدنا .وأن يقوم إذا ما الليل تم له مئن شوقا إلى المحبوب تمحسّبُه ممفرغ القلب مين غير الحبيبله والصوم يكسش منه حيث قدره والصيدق مجعله زادا لرحلته يطهر السر يجلو القلب يمنيحه وينزل الفيض من غيث الغيوب عا والله نسأله عونا لطالبنا

هذه هي الآداب التي وضعها عمد البكري لأتباعه ومريديه. المحافظة على أَحَكَامُ الدين وفرائضه ، وترك اللهوواللعب ، والإعراض عن الشهوات . ثم القيام في منتصف الليل للعبادة والذكر والتواجد ، والآتجاه إلى الله بكل ما يملك الإنسان من جوارح مع إظهار الذل والمسكنة ، ثم الإكثار من الصوم

الذي يطهر النفس ، والتزام الصدق . وبهذه الأمور تستقيم حال المريد . وقد صاغ كل هذا في شعر سلس عذب .

ومحمد البكرى يدعو فى كثير من شعر ه إلى التمسك بالفضائل والاعتصام بأحكام الدين ، وترك الدنجل والشعوذة ، وإخلاص العبادة لله . وهذه دعاية نافعة جداً لأن عصره زخر بالمشعوذين والنصابين الذين كانوا يحتالون على أكل أموال الناس بالباطل ، ومد عى الولاية الكاذبة الذين أسقطوا عن أنفسهم الحدود فتركوا فرائض الدين وانغمسوا فى الشهوات إلى الآذقان :

ويدخل فى باب التصوف كذلك ما نظمه فى التوسل والاستغاثة بالله وبالرسول، وما نظمه فى المديح النبوى. فمن قوله متوسلا ومستغيثا:

إلهى إلهى أغث سائل فقيرا ذليلا كثير التعب" المحي ضاقت عليه الأمور ففر ج بجودك كل الكرب إلهى هذا مقام الحقير وعندك ما يبتغى من وطلب الحمي طشا ترد الكسير وفيا لديك تناهى الرّغب

فهذه أدعية وضعها للأتباع والمريدين لينشدوها فى أوقات تعبدهم . فهى أدعية شعرية تؤدى وظائف الأدعية النثرية التي كان يضعها أقطاب المتصوفة.

ونظم بعض القصائد التي تؤدي وظائف الأحزاب والأوراد .من ذلك قوله : أعوذ بالله الصمد من كل هم ونكد أعوذ بالله الأحدد من كل ضيق وشرد . الح

بدأ بالاستعادة بالله من الهم والحزن والضيق. ثم أخذ يستغفر الله ويدعوه أن يحفظه من كل سوء ويجنبه كل مكروه، ويصرف عنه الكيد والحسد. ثم أكثر من الصلاة على النبي، وتوسل إلى الله أن يمتمه بالعيش الرغيد والحياة السيعدة.

وله سدائح نبوية قصيرة لم يتعرض فيها لذكر شيء من المعجزات ، وإنما هى تصوير للحقيقة المحمدية التي أودع الله فيها أسراره . ثم يخلص من ذلك إلى ذكر ذنوبه الكشيرة ، ويظهر الندم والتوبة ، ويعرب عن أمله في شفاعة الرسول. و يختمها بالتوسل والدعاء.

وله جملة قصائد في مدح أحمد البدوى تظهر فيها آراء الصوفية في الأولياء. فمن ذلك قوله :

أن الإله جماله للقوم أشهد لا سيا بدويهم ذو المجد أحمد. كشف الجلي ومن له التصريف يسند يوم الوغي ، هذا المثقفوالمهند.

لله جلَّ جلاله بالحق أشهد ْ وأنالهم رأتَـب السيادة والعلا سر الحقيقة والخليقة والذي مصباحه من نور خالقه توقد كمن ذاته القداس العلى ومن له ال هذا الكمي فلا يطاق نزاله

فالبدوى كا صوره محمد البكرى تمتع بوحدة الشهود، وفني مع الذات الإلهية فنال أسنى المراتب . وهو سر الله ، أودع فيه العلم الباطن ، وأجرى. على يديه الكرامات وخوارق العادات ، والبدوى بطل مقدام وشجاع تضرب به الأمثال . ثم استطرد فذكر بعض الـكرامات التي تنسب للبدوى .

وكان محمد البكري شافعي المذهب. وله بضعة مقطوعات في مدح الإمام. الشافعي وتحبيذ زيارة ضريحه على سبيل التبرك. ولـكن شعره في الشافعي لا يكاد يذكر إلى جانب ما نظمه في أحمد البدوى . ولعل السر في ذلك أن الشافعي لم تروله كرامات ، ولم تنسب إليه الخوارق التي رويت لأحمد البدوي ولسبت إليه انظر إلى قوله في مدح الإمام الشافعي:

هو البحر لـنكن فاض كوثر بره على البرِّ حتى ما هناك مقايس. هو البدر بل شمس الظهيرة أشرقت فلم يبيق ما بين البرايا حنادس. أبي الله إلا أن يسود ويعتلى فليس له في المنقب ات مجانس فهذا من للدح الذي يقال في أي إنسان . وأين هذا من قوله في البدوى سر الحقيقة والخليقة والذي مصباحه من نور خالقه توقد لم يحاول البكري في مقطوعاته التي نظمها في الشافعي أن ينوه بمكانة هذا الإمام كواضع لأحد المذاهب الأربعة ، وكمشرع له قيمته وخطره ، لأن للتصوفة لا يهتمون بعلم الظاهر ، وإنما يهتمون بعلم الباطن ، ولا يقدرون قيمة الكرامات .

\* \* \*

وكان له بعض حساد يطعنون فيه وينالون منه ، وينكرون عليه عيشة الترف التى كان يعيشها . وقد شكا من هؤلاء الحساد وتوعدهم بالويل والثبور وعظائم الأمور . فمن ذلك قوله :

یانفوسا تود یوما ترانی نازحا عن منزلی و مکانی مدرکا به عندی و جهانی و جهیع البرود فی اکفانی ان تموتوا غیظا فموتوا سریما حسبی الله فیکمو و کفانی احسدوا ما استطعتم رشقت کم بنبال الو بال قوس الزمان هذه لحیتی وضعت علیها ید موف لها بحق الضان عن قریب یدعی بیاغارة الله ه فتغدو بهلککم شیجعانی

فنى هذه الأبيات صور محمد البكرى ما انطوت عليه نفوس حاسديه من حقد و نقمة بلغت بهم أن تمنوا له الموت. ثم قال لهم : افعلوا ماشئتم، واحسدوا كيفها أردتم فلن يفيدكم هذا، بل ستمو تون بغيظ كم . ثم أمسك لحيته مهددا معتوعدا بحرب يشنها عليهم يكون فيها هلاكهم .

\* \* \*

وله شعر قليل عرض فيه بعلماء عصره ، فمن ذلك قوله : أُغْفُل الناس علوما 'قدِّست أُحكت عزَّتُها أَيدى الحكمُ

يا زمانا ضيعوه باطـلا في رسوم ما بها الحق رسم خلطوا الحق بهزل منهمو فلهذا ما استقاموا في أمم يطلبون العلم للدنيا فهل بعدهذا الوصف في الأوصاف ذم؟ شغلهم قالوا وقلنا ولهم صبوة في ﴿ صبح ﴾ أم فيه ﴿ سلم »

فنى هـذه الأبيات ينعى على معاصريه اشتغالهم بالعلوم الدنيوية خ وإنفاقهم أعمارهم فى استظهار مختلف الآراء فى النحو والفقه وغيرها . ويعيب عليهم أنهم يطلبون العلم لينتفعوا به فى الدنيا ، وينصحهم بترك هذه العلوم التي لا فائدة فيها والإقبال على علوم المتصوفة لأنها هى التى تقربهم من الذات الإلهية .

ولمحمد البكرى مقطوعات قليلة فى أغراض مختلفة ، بعضها فى الألغاز ، وبعضها فى الإخوانيات ، وبعضها فى وصف الرياض ، وأخرى فى الدعوة إلى شراب القهوة . وكلها من الشعر الجيد الذى يجرى فيه على سجيته .

### \* \* \*

ولا شك فى أن مجل البكرى يعتبر أعظم شاعر مصرى ظهر فى القرن العاشر. فله نتاج أدبى امتاز بالغزارة والجودة. انظر إلى قوله:

هل المجد إلا عزمة قرشية تَطَامَن رَضُوَى دونها و تَبيرُ؟ وصولة فتاك عزيز تطاولت له رتب عنها السماك قصير إذا استل ما بين البواسل سيفه ترى الهام فوق الهام منه تطير حليف المعالى ربيها وإمامها خليق بها والمدّعون كثير

قد يقال إنه لم يأت بمعنى جديد فى مثل هذا الفخر ، ولكن من ادّعى أن الشعراء كلهم كانوا مجددين مبتكرين فى كل ما أنوا به من المعانى ? حسبه أنه تمثل هذه المعانى وصاغها فى عبارات قوية جميلة وتراكيب عربية مبينة تعيد إلى أذهاننا شعر القرن الرابع .

## وانظر إلى قوله :

كيف النفور من الصور؟ والحق فيها قد ظهر حقا ولو حققت له لم تلق فيه من أثر فاقرأ معى كتب الهوى واخفظ معى هذى السور كى لا تخف قول الفقيل له ولا يدانيك الحذر ما تُمَّ غيرى والفقيل له وجُوده بعض السيَّتر ما تُمَّ غيرى والفقيل له وجُوده بعض السيَّتر إن شئت صيرت الفقيل له معربداً بين البشر سيكران لا يدرى بمن عنه تغييب أو حضر حيران ولهانا ولا فكر لديه ولا نظر نسى الحرام مع الحلل ل ومن تحجب أو نظر

هذا من غير شك شعر لطيف يفيض رقة وعذوبة ، ويدل على روح سافية ، وموهبة سامية . ولن تجد فيه أثراً للتكلف ولا إسفافاً ولا ابتذالا. يناس فيه سخرية لطيفة بالفقهاء . وانظر إلى قوله :

إن منشىء الصور قد حباك يا قرى بالعيون زينها بالسواد والحور والجبين حَدِّمه بالضياء والطُّرر بالذى اصطفاك بما حزته على البشر صل فتى لواحظه قد بكتك بالمطر فى هواك طاب له ما براه من سهر

والقصيدة كلها على هذا النحو الموسيقى الجميل . وله قصائد كثيرة تجرى هذا المجرى ، فهى من الشعر الغنائى الذى تتقبله النفس قبولا حسنا، وتطرب لسماعه الآذان . وهو كلف باختيار البحور القصيرة لمثل هذا الغزل

الرقيق. وأحياناً يمزج الغزل بالحماسة ويستخدم أسلوب الحوار. وألفاظه كلها سهلة لا يحتاج في فهم معانيها إلى الرجوع إلى كتب اللغة ما عدا القليل. وله موشحات في التصوف والحب الإلهي وله مزدوجات في الغرضين المتقدمين وله قصائد لم يلتزم فيها نظام القافية الواحدة.

ولم يكن محل البكرى فى شعره متكلفاً وإنما كان شاعراً مطبوعاً ، ذا موهبة ممتازة ، وصاحب أفكار معينة يدعو لها بين الناس ، وهو شاعر يزخر شعره بالعواطف الدينية الحارة ، وأعنى بها عاطفة الحب الإلهي وعاطفة الحب البكرى . وهو صاحب ذوق بيانى وملكة فنية تظهر فى جودة أساليبه ، وحسن صياغته للعبارات واختياره للألفاظ والبحور الموسيقية . فلا شك أن عناصر الشاعر الممتاز قد توفرت عنده .

وإذا كانت آراؤه في التصوف قد سبق إليها فيكفيه أنه صاغ هذه الآراء في أساليب جديدة ، وقربها من الأذهان ، وأذاعها بين الناس في قصائد وموشحات ومزدوجات لا غموض فيها ولا تعقيد ، بل من السهل علينا أن نفهمها فهما جيدا . وكذلك أذاع التعاليم والآراء التي تتعلق بأبي بكر والحقيقة البكرية . وهو كشاعر يعتبر بحق مؤسس المدرسة البكرية التي امتدت من ذلك الوقت حتى العصر الحديث .

\* \* \*

وأما أثر البيئة المصرية فى شعره فيتجلى فى رفضه للآراء المتطرفة كالقول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود . وذلك لأن البيئة المصرية تحكره التطرف .

ومن أثر البيئة المصرية فى شعره استخدامه لبعض الكلمات والعبارات التي تجرى على ألسنة العامة فى مصر. مثال ذلك قوله:

دنا بحبك متيم ما على من حد

فكلمة ( دنا ) عامية . وكذلك عبارة ( ماعلى من حد ) مصرية عامية .. وقوله :

ما السبب ما السبب عنى تجنيت وأسيت فعبارة ( ما السبب ما السبب ؟ ) مصرية عامية . ولفظة ( أسيت ) مما يدور على ألسنة العامة ، وهي بالفصحي : قسوت . وتكثر مثل هذه الألفاظ في موشحاته .

\* \* \*

الآن قد فرغنا من دراستنا لمحمد البكرى . وبهذا ننتقل بالمدرسة البكرية إلى القرن الحادى عشر ·

توفى عجد البكرى سنة ٩٩٤ وترك أبناءهم :

١ – أبو السرور المتوفى سنة ١٠٠٧ ه .

٢ \_ زين العابدين المتوفى سنة ١٠١٣ ه .

٣ ــ أبو المواهب المتوفى سنة ١٠٣٧ ه.

فأبو السرور توفى سنة ١٠٠٧ ه وفيه يقول صاحب (١) خلاصة الآثر وكان له الذوق الصحيح في معارف الصوفية والبلاغة الكاملة في التقرير . وكان له اتساع في الدنيا ومخالطة الحكام، ومداخلة في أمور كثيرة . ودرس بالخشابية . وكان ينظم الشعر ، وشعره لطيف » ولكنا لم نعثر على شيء مما نظم .

وزين العابدين المتوفى سنة ١٠١٣ ه وفيه يقول (٢) صاحب خلاصة الأثر «قام مقام أبيه من بعده ، ودر ّس وأفتى وكان فى مصر مالك أز مّـة الوجاهة ، وسالك رتبة اليراعة والبراعة . وكان أخوه أبو السرور المقدم ذكره من العلماء

<sup>147/4.114/1 (4.1)</sup> 

إلا أنه لم يبلغ درجة زين العابدين فى التصوف والتكلم بلسان المعرفة · وكان عالمًا بارعا فى العربية والتفسير وعلوم البلاغة . وله شعر لطيف سائغ »

و وبلغ صاحب الترجمة فى آخر أمره من الجلالة ونفوذ الكلمة مبلغا ليس لأحد وراءه مطمع حتى خشيه حكام مصر وكانوا يد ارونه ويتوقعون رضاه . فلما كان ثالث شهر ربيع الأول سنة ١٠١٣ طلع إلى إبراهيم باشأ بعد العصر على عادته . فأحضر السماط ثم القهوة . فلما أكلوا وشربوا خرزين العابدين مغشيا عليه ، وحمل إلى بيته فمات . هذا هو المستفيض على ألسنة المؤرخين . وروى بعضهم أن موته كان خنقا أو غيره . وأنه طرح على باب قلمة الجبل . واشتهر ذلك فى دمشق فبنى عبد الحق بن محمد الحجازى الدمشتى قوله فى رثائه عليه . وأبياته هى هذه :

لم يهدموا أركان مصر وإنما هدموا بقتلك قبة الإسلام وتناوشتك يد الكلاب وطالما خضعت لعزك صولة الضرغام فستى ثراك سيحابة قدسية تهمي عليك برحمة وسلام ولم يبق إبراهيم باشا بعده إلا أياما قليلة حتى وقع بينهوبين عساكر مصر فقتلوه وحملوا رأسه على رميح وطوفوا به مصر وعوقب بذلك على الجراءة على قتله صاحب الترجمة وله شعرفي التصوف والحب الإلهى. ومن قوله في القهوة:

إن تشرب القوة في حانها فاللطف قد حف بندمانها حان حكى الجنة في بسطها برقة العيش وإخوانها عائمها نفسل أكدارنا ونحرق الهم بنيرانها لاهم يبتى ولاغم إذ قابلك الساقى بفنجانها يقول من أبصر كانونها أف على الخمر وأدنانها شراب أهل الله فيها الشفا جواب من يسأل عن شانها كان المتصوفة في ذلك الوقت ينظمون الشعر في الدعاية لشراب القهوة (م ٨ الأدب الصرى)

معارضة لبعض الفقهاء الذين قالوا بتحريمها . وكان البكريون يقندمون في سهراتهم هذا الشراب لضيوفهم · فأخذ الشعراء والأدباء يتنافسون في نظم أمثال هذه المقطوعة ويتسابقون في ابتكار المعانى اللطيفة والصور الجميلة ويبدو أن الصوفية وجدوا في القهوة شرابا ماديا محسوسا يقابل الخرة الآلهية التي هي من الأمور المعنوية. ولاشك في أن إفراطهم في الحديث عن الحمرة الإلهية والساق والحان قد ترك عندهم فراغا نفسيا هائلا ، فرأوا أن يسدوا هذا الفراغ بالإقبال على شرب القهوة في الطقوس التي تتخذ لشرب الخمر ، وقلدوا شعراء الحمر في وصفهم لها وتغنيهم بمحاسنها ومزاياها ، وما تتركه فى نفوس شاربيها من إبعاد الهموم والأحزان . كما ذكروا الحان والساقى والندمان ، واستعاضواعن الكأس بالفنجان. أضف إلى ما تقدم إطلاقهم كلة «القهوة ، على هذا الشراب وهي من أسماء الخر ، فكانو ايقولون «قهرة البن » ومعناها خرة البن . ويتخذونها أحيانا من قشر البن ، وأحيانا من لبهو بمرور الزمن أصبحت كلة « قهوة » تدل على هذا الشراب المكون من الماء المغلى والبن ، ونسى المعنى الأصلى للكلمة . ولم يفت زين العابدين أن يجدثنا عن الكانون الذي تصنم عليه القهوة ، فيقول إنها وهي فوق الكانون تنبعث منها رائحة طيبة تجعل الخرة بجانبها شيئًا محتقرا تعافه النفس.

张 恭 章

وأبو المواهب البكرى المتوفى سنة ١٠٣٧ه ، ذكره صاحب خلاصة الأثر (١) فقال: (كان فى بداية أمره ماثلا إلى الخلاعة ، وكانت مجالسه مشحونة بأنواع الطرب من المسمّعين وصنوف الملاهى » إلا أنه اضطر إلى ترك هذا بعد وفاة أخويه وتصدره لمشيخة السجادة البكرية ، وكان بينه وبين الدين الحلبي ؛ الأديب المؤرخ صاحب السيرة الحلبية ؛ مودة

أكيدة ، وهو الذي شجعه على تأليف هذه السيرة (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون » وقد أشار إلى ذلك في المقدمة (1) فقال ( ... ولا زلت في ذلك أقدم رجلا وأؤخر أخرى ، لكوني لست من أهل هدا الشان ، ولا ممن يسابق في ميدانه على خيل الرهان ، حتى أشار على بذلك وبسوك تلك المسالك من إشارته واجبة الاتباع ، ومخالفة أمره لا تستطاع ، ذو البديمة المطاوعة ، والفضائل البارعة ، والفواضل المكثيرة النافعة ، من إذ سئل عن أي معضلة أشكلت على ذوى المعرفة والوقوف ؛ لا تراه يتوقف ولا يخرج عن صواب ولا يتعسف وهو الأستاذ الأعظم مولانا أبو عبد الله وأبو المواهب على ، فحر الإسلام البكري الصديق » .

ولأبى المواهب ديوان اسمه « ترجمان العوارف » منه شريط بمكتبة الجامعة العربية تحت رقم ٨٣٢ ـ أدب ، منقول عن نسخة خطية بمكتبة جامعة استنبول · ومعظم شعره في التصوف والحب الإلهي ، والدعاية للتعاليم البكرية . وله مقطوعات في وصف القهوة والتغزل فيها ، وفي الدعرة إلى تعاطى التبغ . فمن ذلك قوله :

يا يوم بولاق وأنسى به حكاك من شوال يوم الهلال وأقبل النيل جنوبا وما من عارض إلا نسيم الشال ياعارضا أوجب للنيال ما سلسله وهو طليق المجال وقهوة تنضيح مسكاولا بدع فني الفنجان شكل الغزال حبابها من فوفها مانع نفاره فهو شباك اللآلي تديرها هيفاء ممشوقة خود تثنت في برود الدلال كاد حجى من أقبات نحسوه يذهب من رنات تلك الحجال تقول للشمس وقد أقبلت تلشمي ما أنت إلا خيالي قال الشهاب الخفاجي (۱) « وبيت الغزال من السحر الحلال ، وهو بيت قال الشهاب الخفاجي (۱) « وبيت الغزال من السحر الحلال ، وهو بيت قال الشهاب الخفاجي (۱) « وبيت الغزال من السحر الحلال ، وهو بيت

<sup>(</sup>١) ص ٣ ما بم مصطفى الحابي بالقاهرة سنة ١٣٠٨ هـ

<sup>(</sup>٣) ريحانة الألبا ص ٣١٦.

تقدم أن أبا للواهب كان في شبابه يميل إلى الاءو والخلاعة . يخرج مع، أصدقائه من الأدباء والشعراء إلى الحدائق والمزارع للتمتع بالهواء الطلق. وللناظر الطبيعية الجميلة . وكان حي بولاق في ذلك الوقت كما كان منذ عصر للماليك من الأمكنة التي تقصد للتريض واللهو . فغي الأبيات السالفة يذكر أبو المواهب يوما من تلك الأيام الطيبة التي قضاها على شاطىء النيل بناحية. بولاق . وإذا كان الشعراء فيما مضى ذكروا الحمر في هذه للناسبات ـ أعنى. مناسبات اللهو والرياضة فإذبعض شعراءهذا العصرذكروا القهوةووصفوها، وهي في الفناجين تنبعث منها رائحة جيلة يعلوها حياب لطيف. ثم أخذ أبو المواهب يتغزل في الساقية التي قدمت له ولأصحابه شراب القهوة

وكان للبكريين حدائق ومزارع يخرجون كثيرا للتريض فيها. ولذلك غلب. في بيئتهم هذا النوع من الشعر الذي يصفون فيه أوقات اللهو والسرور ، حيث الرياض النضرة ذات الأشجار الباسقة ، والجداول الرائقة ، والفواكه المختلفة , ولأبى المواهب رسالة بعث بها إلى أحد أصدقائه من الأدباءيدعوه للرياضة معهجاء فيها ﴿ إِن (١) مدينة بولاق هي مجتمع البحور، ومدار فلك السرور بفلك الحبور .طفحت بالنيل لاجزرعن جزره للديد ، واستلت سيف النهر لقطع حروف الجروف من أقصى الصعيد » وقد أفسد أسلوبها بما استخدم فيها؛ من ضروب الصناعة اللفظية .

ومن قوله وربما كان في مدح والده :

أيها البكري ياكمن فضله فاق كل الناس أعجا وعرب لى تُجد ياسيدي يامصطفى يا إماما قد حوى كل الرتب لا رعى الرحمن من عاداكو فهو في همّ وغمّ ونصب ثم عنــد الموت أيلـقي للتُّـعب

وعـليه الخزى في طول الحيـا

<sup>(</sup>١) الريحانة ص ٣١٦.

باء بالرفض إليكم مبغض وعليه من إلهنا الغضب في هذه الأبيات نجد التعاليم البكرية واضحة كل الوضوح. فشيخ السجادة البكرية هو الإمام المصطفى الذى اختاره الله وخصه بكل منقبة . وفضيلة ٠ ومن عاداه فهو رافضي استحق غضب الله في الدنيا والآخرة و لتي الذل والتعب في حياته وبعد مماته .

ومن قوله ولعلها في مدح والدهأيضا :

وذكرك بالمعروف شاعبلاخَـنـًا ومدحك في الأعناق در منضد منضد وكل امرىء عاداكأو قصدالأذى علية من الرحمن خزى مؤبد

ألا أيها البكري إنك مفرد وفوقك أعلام المسرة تفرد ومن صدنى عن مدح ذا تكسيدى فذاك أبو جهل وأنت محمد

فانظر إلى البيت الأخير وما فيه من قوة . فالمنكر لمدح والده كافر بيشبه أبا جهل في كفره وجحوده . وقد شبه والده بالنبي محمد عَلَيْكُمْ . وله في مدح والده أيضا:

لدار محمد البكريِّ زوروا وخلَّـوا عنكمو ذكر السواء محمد عقد عين الدين حقاً فن عاداه في شكل الهواء وقال:

عصابة الصديق قالوا محمد لا يضاهى العباد قضاها رب له الخلافـــة حقا وقال :

عابد الرحرف أضحى قطب مصر بحقيق حاز فخرا وعسلوا وهو فسرع لعتسيق فَن هذه الأمثلة وغيرها نعلم أن أبا المواهب اتخذ من شعره وسيلة المعاية الناس إلى الالتفاف حول البيت البكري، والتفاني في حب أفراده، والإخلاص لهم ، والابتعاد عمن سواهم . والتحذير من معاداة هذا البيت لما في ذلك من الكفر الذي يؤدي بصاحبه إلى النار .

## ومن قوله :

عبد الإله البكرى مواهى الأزمان سبط النبى الهادى المصطنى العدنان صلى عليه دبى والآلهِ والإخوان مع السلام الذائد له من الدّيان

وله غير هذا كثير نجده منبثا في ديوانه . وشعره سهل لطيف لا أثر للتكلف فيه.

ومن الشعراء البكريين الذين ظهروا في القرن الحادي عشر : أحمد بن عبد الرحمن الوارثي المصرى الصديقي الإمام الكبير المفسر المحدث المتوفي سنة ١٠٤٥ ه (كان(١) من الأدب في سنامه وكاهله ، تحوم الآراء حول موارده فترتوى من مناهله . وله نظم ونثركما انتظمت الأزهار بعد ما انتثرت إعليها. درارى الأمطار » فن نظمه قوله عدح أحد وزراء مصر :

يا أيها المولى الوزير ومن لــه منن حللن من الزمان وثاقى من شاكر عنى يديك فإننى من عظم ما أوليت ضاق نطاقي منن تخف على يديك وإنما ثقلت مواهبها على الأعناق. وقال:

وكم لله من نعم يعم السكون ما طرها أواخرها أواخرها

Y.) / LEKONE / / 1.7

ولكن ديوان شعره لم يصل إلينا ، ولا نعرف من نظمه سوى مقطعات قليلة وردت في خلاصة الأثر .

وأحمد البكرى المتوفى ١٠٤٨ ه وهو ابن زين العابدين « (١) كانت له الهد الطولى فى تفسير القرآن ، وإليه النهاية فى علوم الطريق ومزيد الإتقان ، مع كرم يختجل المزن الهاطل ، وشيم يتحلى بها جيد الزمان العاطل . وجاه عريض و تمكين ، ومكان عند الناس مكين . يستلمون أركانه كما تستلم أركان البيت العتيق . ومن مؤلفاته كتاب جعله على أسلوب « لوعة الشاكى و دمعة الباكى » سماه « روضة المشتاق وبهجة العشاق » وله شعر يدل على علو محله ، وقصده الشعراء من كل ناحية ومدحوه »

ومن هؤلاءالشعراء فتح الله النحاس المتوفي سنة١٠٥٢ ه حيث يقول (٢):

يا بنى الصديق لى فى حبكم شأن عجيب كل يوم منه فى لحمى وفى عظمى دبيب حبكم آل أبى بكر ربه عجمى الذنوب حبكم دينى ومن يبغضكمو طاع مريب غضب الله عليه فهو بالحق كذوب المحو الرفعة والسرطوة والحال المهيب ذكركم عند ملوك الأر ض تعويذ وطيب كل عصر حضرة القد س لها منكم خطيب أبن من يصدع بالد ين السيد البر الوهوب ابن من يصدع بالد حق ويعفو ويثيب ابن من يصدع بالد حق ويعفو ويثيب أبن من كان به الغو ث مع الغيث يصوب شاهد الحضرة واخ تيص وناجته الغيوب

١١) الحلاسة ٢/١١ (٢) المقود الدرية في الدواوين الحلبية ٦/٢

واستمر الفيمض لل أستاذ والفتح القريب بلبل الحق لسان ال غيب تعطال سكوب

والتماليم البكرية واضحة فى هذه القصيدة كل الوضوح. فالشاعر يقول إنه يحب آل أبى بكر حبا امتزج بلحمه ودمه. ويرى أن حبهم سبب لغفران الذنوب ، ودينه الذي يدين به . ومبغضهم كافرحق عليه غضب الله .ويقول إن الملوك يتموذون بذكرهم ، أي يتخدون ذكرهم تعاويذ وتمائم يتقون بها الشرور والمصائب. وإن الله يصطفى منهم في كل عصر إماما بحيث لايخلو عصر من وجود صديق بكرى . ثم أشاد بمناقب أحمد البكري صديق زمانه الذي ورث الصديقية عن آبائه .

وقال: (١)

وأنت ابن صديق خير السَّبيئين خير الأواخر خمير الأوال ألست ابن من فضله قد أتى على ألسن الوحى من ذي الجلال؟ أيخنى سناك وأنت الشها بعلى الرافضية أهل الضلال؟ فن ذا يساميك أو من يدا نيك أومن يقاويك يوم النضال؟ لك الحال والقال في نحر شانيك من ذا مواض ٍ ومن ذا عو َ ال فياويلَ أعداك إن مجلَّت أو ُقلْ تَ الله أكبِّر يوم النزالَ

فالنحاس يقول إن أحمد البكرى منجدر من ذرية أبي بكر صديق الذي محمد صلى الله عليه وسلم ، أفضل الأولين والآخرين · وأن القرآن قد شهدبفضل أبي بكر . ثم عجب من الرافضة أهل الضلال الذين ينكرون مكانة البكريين . ويجب أن الاحظ أن الشاعر لم يذكر ﴿ الرافضة أهل الضلال ﴾ عبثًا ، وإنما جاء تعريضه بهذه الطائفة لوجود قوم يتعصبون لآل على ويرون أُنهُم أَحق بالتقديم من البكريين ، وينكرون التعاليم البكرية . والأبياث التالية تعريض شديد بهؤلاء الخصوم، وإشادة بمناقب المدوح وفوة بأسه

<sup>(</sup>١) العقود الدرية ٢ / ٣٤

وعظيم فتكه بأعدائه . وقد يتبادر إلى الذهن من قول الشاعر « يوم النزال » أن حروبا نشبت بين البكريين وخصومهم ، ولكن الواقع غيرذلك . وقال : أبى الله إلا أن يكون لك البقا وشابيك إلا أن يكون له الرغم وعلمك إلا أن يكون مجسدا فأنت لسان العلم ما نطق العلم وما الويل كل الويل إلا لحاسد عرانين مجسد كلها في العلاشم ذوى صاحب الغار الذي أنت منهمو

ذوى الصدق إن قالوا ، ذوى العزم إن هموا . عسابة ترب المصطنى أنجم الهدى عليكم سلام الله ما نجم النجم دعوا خصمكم يكفيه فى يوم بمثه فإن إله العالمين له خصم

فى هذه الأبيات تعريض بخصوم الممدوح الذين كفروا بالله بسبب عدم إيمانهم بالتعاليم البكرية التى تجعل حب آل أبى بكر أساسا لصحة إسلام المسلم . وحسب هؤلاء المنكرين أن الله سيكون خصا لهم يوم القيامة وأن مصيرهم سيكون فى نار جهنم . وأشاد بفضائل البكريين نجوم الهدى وأثمة الدين .

杂 袋 袋

أما ديوان أخمد البكرى فلم يصل إلينا، وإنما وصلت إلينا بعض مقطوعات من شعره ، نذكر منها على سبيل المثال قوله يمدح السلطان مرادا

آلُ عَمَانَ لَمْ دُولَةً إِلَى المُعادِ )
عمر الله بهم كل أقطار البلاد
وحباهم سطوة دائماً بين العباد
وعا الله مهم كل أرباب العناد

 <sup>(</sup>١) البرهة الزهبة ورفة ٥٠ معلوط ٢٢٦٦ تاريح .

كم أزالوا ضيغها عن سبيل الحق حاد وأبادوا عسكر الرف ض عن حسن اعتقاد خلف عن سلف سلكوا طرق الرشاد ما تولى ماجد منهمو إلا وساد

نظم أحمد البكرى هذه القصيدة عقب انتصار السلطان مرادعلى دولة إيران الشيعية . وكان من الطبيعي أن يطرب الشاعر البكرى لهذا الانتصار الذي قضى على الرافضة . و نوه بعقيدة أهل السنة التي يدين بها العثمانيون .

وربما كانت هناك دوافع نفسية هيأت الشاعر لنظم هذه القصيدة وغيرها مما عسى أن يكون قد نظمه في هذا المقام. فقد مر بنا في مدائح النحاس له تعريض بخصومه من الرافضة أهل الضلال. فأراد الشاعر أن يروى غليله من هؤلاء الخصوم، فمدح السلطان مرادا، وأظهر الشماتة بهزيمة الرافضة. ولن. يستطيع خصومه بالطبع أن يردوا عليه في تلك المناسبة.

## ومن شعره:

أحن إذا رُجن الظلام تشوقا إلى زمن بالقرب زاد تألقا وأقطع ليلى ساهرا متفكرا لعل زمان الأنس يسعف باللقا

وقد أولع بنظم الألغاز ، وكان له فيها الباع الطويل، فمن ذلك قوله

غزالة في بردها رافله تقتنص الأسد من القافله في حرم الأمن وقد خلتها قائمة بالفرض وبالنافله قلت لها رق فقالت لمن كأنها عن مطلبي غافله ثم انثنت تلفز لي باسمها لفزا به أفكارنا كافله مااسم خماسي وتصحيفه شبه بدور لم تكن آفله في سنة المختار خير الورى بيانه وهي له شاملة

فى سِنة نبه مستيقظا وإن تشا فى سنة كامله وهذه المقطوعة عتاز بالسهولة والوضوح والبعد عن الصناعة اللفظية .

\* \* \*

و محل زين العابدين البكرى المتوفى سنة ١٠٨٧ ه وفيه يقول صاحب خلاصة الأثر (١) دكان فصيح العبارة، طلق اللسان، كثيرالفوائد ، جم النوادر وكانت الولاية ظاهرة عليه مع الدين المتين، والعقل السكامل، والتظاهر بالنعمة في الملبس والمأكل والخدمة . وكان من أحسن الناس خلقاً وخلقا، مبجلاعند الكبراء والوزراء ، ذاجاه عريض ، معتقدا عندعامة الناس وخاصتهم ، مسموع الكبراء والوزراء ، ذاجاه عريض ، معتقدا عندعامة الناس وخاصتهم ، مسموع السكامة ، مقبول الشفاعة ، يرجع إليه في مشكلات الأمور . اشتغل بطلب المعلوم وأتقنها ، وبرع في كثير من الفنون سيها علم التفسير والحديث . وكان العلوم وأتقنها ، وبرع في كثير من الفنون سيها علم التفسير والحديث . وكان في عادم القوم وأصول التصوف قدم راسيخ . وأقبل على التدريس إلى أن صار رئيس البيت البكرى . فكان يدرس على عادة أسلافه في الجامع الأزهر في الليالي المشهورة كليلة المولد والمعراج والنصف من شعبان . ثم لما كبرترك ذلك كله واستقل بالإفادة في بيتهم المعمور >

وقد نزل في ضيافته كثيرون من الأدباء والعلماء الوافدين على مصر منذكر منهم المحبى والد صاحب خلاصة الأثر ، وقد ألف كتاباً عن رحلته إلى مصر وكان المحبى متعصبا للبكريين فكتب عن علازين العابدين فصلاجاء فيه دفرع غصن الدوحة البكرية ، وفبن الشجرة الطاهرة الصديقية التي لم تزل من البركة والسمو في الماء ، أصلها ثابت وفرعها في الشماء . رو نق الليالي والأيام ، وتاج رأس العلماء الأعلام ، مهجة الجميع ورواء حسنها البديع ، من أضحت له في العلوم الحقيقية الرتبة الشاخة ، وفي المعارف الإلهية القدم الراسخة ، ولو لم يكن له من عموم الشرف إلا خصوص هذه النسبة لكفاه ذلك في الفضر وعلو الرتبة ، وناهيك في آبانه من ذرية من اختاره الرسول للصحبة والمصاهرة ، واصطفاه و ناهيك في آبانه من ذرية من اختاره الرسول للصحبة والمصاهرة ، واصطفاه

<sup>(</sup>۱) ۴۱۷/۳ (۱) مخطوط رقم ۸۷ جغرافیا

للخلافة على ملته وشريعته الطاهرة • فيحق لأهل السنة والجماعة أن يطوفوا ,ويسعوا لملى هذا البيت في كل وقت وساعة >

كما ذكره إبراهيم بن عبد الرحمن الخيارى المدنى في رحلته إلى مصر عثل ماتقدم .

وقد ترك عمد زين العابدين ديواناً اشتمل حكمايقول صاحبخلاصةالأثر على نفائس القصائد والموشحات ، والمقاطيع والألغاز . ولكن ديوانه لم يصل إلينا ، بل وصلت إلينا مجموعة من شعره في كتأب ألفه أحد أتباعه ؛ المسمى بدر الدين ؛ وهو كتاب « المجاز في رحلة عِدازين العابدين إلى الحيجاز » فن هذه المجموعة قصائد في التصوف والحب الإلهي . ومنها قصائد في الدعاية لآل أ بي بكر . مثال ذلك قوله :

> وأسهمنا قتالة فهيى لاتذر عتيق العتيق الجد أفضل صاحب فسلم لنا تسلم ولاتك منسكرا وإن غرَّلهُ الشيطان يوما فلاتقف وخائفهوىالنفس الذميمةواتبع وكن عبد حق مخلصا في ودادنا

ونحن حمساة الحي والحال شاهد بمشهدنا الأعلى عن الحق بالحق إذا جردت أسيافنا بمجالها يشبلظاهافي دجى النقع كالبرق عدوا يعادينا بحبل ولاتبتي خليفة طه المصطفى أشرف الخلق فيوقعك الإنكارفي المحووالحرق بموقفنا نرميك في أضيق الطرق نصحتك فاسمع إنأردت نصيحة ودع عنك مليش النفس والكبر بالحق هوانا ولأتخشهوانا معالصدق تنال الذي تهوى وتظفر بالمتق

فالأبيات الأولى في الحماسة وتهديد الخصم بالقتل والإنداء فر تميارت في بقية القصيلة عن جِده عتيق، وما خصت به ذريته ، ووجوب الانقباد لآل الصديق، والإيمان بالتعاليم البكرية التي تدعو إلى حد، البكريين \* والالتفاف حولهم ، وعدم التصدي لهم بالخصومة التي تؤدي مسامها إلى نار جهم . ومن قوله :

وأكرم من أسدى الأمان لخائف مرايا مزاياها لكل مكاشف تحير فى أوصافها كل واصف. إلى عين أعيان حماة خلائف وندمان حاني من دهور سوالف. أهز بسكر الشكر فيهم معاطني. مقام تعالى فوق أعلى الرفارف

فنحن بنى صديق أشرف مرسل مشاهدنا جلت فجلّت بنورها فجاهد تشأهد من سناها أشعة تدائت بنورالفضل منقدسالبقا همو رفقتي في حضرة العز والتتي أقمت بهم في مركز الجمع مفردا أنا وارث الأسلاف لى بسلافهم

ومنها:

فن نور شمس الأصلوصلي محقق وقد نشرت بالمكرمات صحائني فطف شرق أقطار البلاد وغربها لتسمع ماتنبي بصدق هواتني

فني الأبيات الأولى يحدثنا عن الحقيقة البكرية التي ورثها عن آبائه الذين. كانوا مأمن الخائفين . ويذكر أن وراثته للحقيقة البكرية جعلت له مقاما ممتازاً عند الله وعند الناس. وفي الأبيات الأخيرة ينوه بقوته وبأسه وهيبته-التي خصه الله بها حتى غدا كالسلطان الجالس على عرشه يسمع لهويطاع أصره. وقد ردد هذه الآراء في معظم شعره. فانظر إليه حين يقول:

إنى محمد زين العابدين أبى وثاني اثنين جدى صاحب الهادى وحين يقول :

عجدنا قد علاعلى فرق فرقد فتمسك بنا تعز وتسعدأ نحن قوم مر • \_ آل صديق طه خلفاء عنه بحال وقال وحين يقول:

قد طبت فىروض المعارف مغرسا وأنا ابن زبن العابدين محمله جدِّي عتيق والعتيقة مشربي

من كأسها خمر الحقائق تحتسى.

وحين يقول :

واسجد بمحراب الشهود وافترب لنا بنا ولا تخف من مكر واسلم وعد مسلما بعزة وادخل لحان بكرنا يا بكرى وارو الحديث عن عتيق راحنا لجدك العتيق على القدد أنا الفتى وابن الفتى بلا مرا جدى أبو بكر صديق الطهر

وهكذا اتخذ شعره وسيلة للدعاية للبيت البكرى كما فعل غيره من لدعاة والصديقيين .وله قصائد في الشكوى من أهل العناد والضلال مثال ذلك قوله :

ضلت عقول اهل العناد عن سُائل أهل مودً تك على ما ما الفساد تُبعد همو عن حضرتك ما حضرتك

ركبو جواد غرورهم وتطاولوا بفجورهم

وتغصبوا فى زورهم

وبعُوا على أهل الرشاد. الصادقين . بخدمتك

كل يقول أنا أنا بالجاه قد نلت المنى وأظنهم نالوا العنا

فأميرهم ومشيرهم وكبيرهم وصغيرهم وجليلهم وحقيرهم

ظل وللظل النفاد ولك البقاء بقدرتك . . . النخ .

وهذا من الشعرالعذب الرقيق.

经 終 张

ننتقل بعد ذلك إلى القرن الثانى عشر لنتابع الدراسة لشعر البكريين. وقد كان يعيش فى أول القرن من شيوخ البكريين: زين العابدين. وقد نزل عبد الغنى النابلسى الذى زار مصر سنة ١١٠٥ ه فى ضيافته، وتحدث عنه كثيرا فى كتابه الذى ألفه عن رحاته واسحه و الحقيقة والمجاز فى الرحلة من الشام إلى مصر والحجاز» فقال () « . . . ثم لم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى منزل الهمام، بركة الأنام والشيخ زين العابدين البكرى الصديقى فتلقانا بصدره الرحيب ، وجلست عند حضرته حصة من الزمان فى مجلسه المطل على بركة الأزبكية ذات الروح والريحان ، التي فيها نفحة من نفحات الجنان و وتذاكرنا معه فى بعض المسائل العامية ، والمطارحات الأدبية ، والقصائد وتذاكرنا معه فى بعض المسائل العامية ، والمطارحات الأدبية ، والقصائد

الشعرية . واجتمعنا هناك عنده بقريبناو دريز با الفاضل الكامل محمد أمين (٢)

الحيى الشامى . وبصديةنا الفاضل الأديب الشييخ شاهين بن فتح الله وقد

أُنزلنا الشيخ في دارلصق داره ، بحيث لم نخرج عن ظلمه وجواره » .

وقال في موضع آخر " . . . . . وكان الشيخ زين العابدين قد دعانا في ذلك اليوم إلى ضيافته ، وكان المجلس حافلا بأفاضل العلماء وأعيان الكبراء . وحضر السماع وتحركت الآلات ، وسكنت النفوس والأصوات . ولم نزل في ابتهاج وسرور ، ومؤانسة وحضور حتى مدت الموائد وجرت العوائد . وكان ذلك في المجلس المطل على بركة الأزبكية . ثم بعد صلاة المغرب بالجماعة فتدح باب هاتيك القاعة . فدخلنا من دهليز مفروش بأنواع الأحجار ، وقد أوقدت الشموع حتى كان ذلك الليل كأنه النهار . فوصلنا

<sup>(</sup>١) ورفه ۹۱ تنطوط ۲۳۴ جنرادا.

<sup>(</sup>٢) هو صاحب خلاصة الأثر .

<sup>(</sup>٣) ورقة ١٠٣.

إلى ميدان مفروش بالرخام والمرم في ألوان كأنه قلائد العقيان . وهناك إيوان يقابله آخر أوسع من صدر الكرام ، وأجل من صفحات الوجوه ، وأعطر من الزهر في الأكمام . ورأينا الثريات من القناديل المشعولة ما تبقى بهجته النفوس والعيون مشغولة . وانطلقت مباخر العود ، وقامت مواسم الشهود . ونادى لسان الحال حين خاطب وقال :

يا صاحب العودين لا تهملهما حرّك لنا عوداً وحرّق عودا إلى أن قطعنا حصة من مسافة الليل ، وتقلص ضوء الثريا فشمر للمغيب الذيل ، فقدمت الما كل السكريات ، والحلاوات الشهيات . ثم قدم العود. والعنبر المشهور ، وأنهل ماء الورد من تحت غمام البيخور . وقد تفرق الجمع ووقف نور اللمع » .

وقال في موضع ثالث(١) « . . . نزلنا إلى عبلس الشيخ زين العابدين. حتى صلينا الظهر ، ثم ركبنا وسرنا معه إلى دارهم الأولى التي كان يسكنها السادة البكرية سابقاً بالقرب من قناطر السباع ، ذات قصور عالية ، أرخصت غيرها وهي غالية ، ورياض أنيقة ، وكيفها التفت وجدت حديقة . وفيها عبلس مطل على بركة الفيل ، كل كثير من البلاغة في وصفه قليل . لطيف الأرجا ، هو لنور الكال معتمد وملجا . يحيط به شبكات من الخشب المدهون ، مطلة على حوض من الرخام الملون بفنون ، وعلى حافة ذلك الحوض شكل رقعة الشطر نج من الحجر السماق والرخام » .

«ثم دخلنا فى تلك الدار إلى بيت الولى العارف بالله تعالى الشيخ بحلال الدين البكرى الصديق – رضى الله عنه – وهو الذى كان يسكنه فى أيام حياته . وتبركنا به وبآثاره القديمة ، ومعاهده العظيمة . ودخلنا إلى قاعته التى هناك المسماة بقاعة التجلى ، فإن الشيخ جلال الدين المذكور .

<sup>(</sup>۱) ورقة ۲۰۱

فتح عليه فيها لماكان ملازماً للخلوة والعبادة والعزلة بها ، وهي مقفلة لايدخلها أحد إلا القليل ، ففتحت لنا ودخلنا إليها معالشيخ زين العابدين ، فرأيناها قاعة صغيرة جداً بإيوانين متقابلين ، وهي لطيفة البناء ، ظريفة الفناء ، بها النور الساطع ، والسر اللامع القاطع » .

ولا شك في أن عبد الغنى النابلسى قد أعطانا فكرة واضحة عن بيئة البكريين في القرن الثاني عشر ، وحدثنا عن الندوات العلمية والأدبية التي كانت تعقد في قصورهم ، وتضم عدداً من رجال العلم والأدب. وفي رحلته قصائد كثيرة من نظمه ونظم غيره من الشعراء في مدح زين العابدين وأخيه محمد أبي المواهب ، وكثير من هذه المدائح تبدأ بوصف بركة الأزبكية وما يحيط بها من الحدائق والقصور ، ثم يتخلص أصحابها من ذلك إلى المدح ، انظر إلى قول محل أمين المحبي :

واستمر في هذا الوصف إلى أن قال :

فاختر هنالك مربعاً تكنفى به كل الأذية وتقيم موفور المنى وتحفك المنن الخفيه في ظل زين العابديد بن الشهم أستاذ البريه موكى أناخ المجد في أعتابه البيض النقيه

فالمدرسة البكرية امتازت بهذا الشعر الكثير الذي نظم في وصف الحدائق والبساتين ، والقصور والبرك ، والنسيم العليل وما يتركه في النفس من أثر . ولعبد الغني النابلسي قصائد من هذا القبيل نذكر منها :

رعى الله من مصر على القرب موردا به النيل وافى ماؤه يُذهب الصدا (م ٩ الأدب الصرى ) يسبمونه بالأزبكية بركة مباركة كل المياه لها فدا تظل بها الأمواج ترسم نقشها كوجه عروس لاح فى الحسن مفردا واستطرد من هذا الوصف إلى ذكر قصور البكريين ثم انتقل إلى المدح فقال:

وفيها شبابيك عليها مطلة وعيدانها صيغت لجيناً وعسجدا بها قطبنا البكرى يبدو بر وشن له تُم م محاوء من العز والهدى

وقال فى موضع آخر « . . . وتوجهنا إلى الجهة المشهورة بقصر العينى ، فدخلنا إلى منتزه لطيف الأوصاف ، متسق الأكناف . فيه أنواع الفواكه والمثار ، ومحفوف بفنون الرياحين والأزهار . وفيه دولاب لإخراج المياه بالدواب . وهناك بركة من الماء وسواق جارية رقيقة الهواء . فجلسنا تحت تلك العرائش من العنب وحولنا هاتيك الغصون المائلة ميل العرائس عذبة الشنب ، إلى أن حضرت المائدة ، وحصلت من الاجتماع الفائدة . . . ثم عدنا

سمن ذلك المزار في أخريات النهار وقد امتلاً نا سروراً ، وقلدنا بعقود اللطائف الأدبية أعناقاً ونحوراً » ، ثم أورد له شعراً نظمه في وصف هــذا البستان وما فيه من الدواليب .

وقد زار عبد الغنى النابلسي مدافن العائلة البكرية ، ونظم قصيدة نوه فيها بشأن أقطاب البكريين ، و بما خصوا به من المناقب والفضائل ، ووراثتهم اللحقيقة البكرية . كما نظم قصيدة حينًا دخل قاعة التجلي المتقدم ذكرها ، . جاء فيها :

لما دخلت عاعة التجلِّي قلوبنا مالت من التَّملِّي وكيف وهيمن جلال الدين في جلالها وهيبة التجلّي أَعنى بهالبكري نسل الصادق العتيق كوكب الهُدكي الأجل " صاحب طه الخليفة الذي عنه نشا في أشرف المحل ومنها:

لا زال منهم واحد فواحد في كل عصر بالمقام الإلِّل

ومصر لازالت بهم محفوظة وأهلها لشمسهم كالظل

فالناباسي كما يبدو من هذه الأبيات مؤمن إيمانًا عميقًا بما يقول به البكريون من وجود صديق بكرى على الدوام بحيث لا يخلو عصر منهم . . وقد أورد في رحلته بعض قصائد من شعر زين العابدين ، نذكر منها :

أَنَا بَحِلِ الصِّدِّيقِ غير مُدافع لل في نسبتي وغير ممانكم أنا أصبحت للمفاخر جامع أنا زين العباد فانهض وسارع لى فإنى لكل خير مَظَنَّهُ

ولنترك عبد الغني النابلسي لنلقي نظرة على مصطفى بن كال الدين البكرى المتوفى بالقاهرة سنة ١١٦٢ هـ وهو ليس من البيت البكرى ، وإنما أصله من الشام ثم جاء إلى مصر واستوطنها. وله مؤلفات كثيرة موجودة مدار انكتب المصرية . وربما لقب بالبكرى لانتمائه إلى الطريقة البكرية أو لانتسابه إلى بكرية الشام . وقد نظم في شيوخ البكريين بعض المدائح. نذكر منها:

أهل المكانة والأمانة والتقى من مدحهم في سورة الاحقاف إذ تتبع الأبناء للأسلاف

أهل الصديق مقرهم عال به ومنها في مدح أبي بكر :

غار الوفا يا وافر الإسعاف. يا منقذ الإسلام يوم سقيفة وجعت به الأرواح خوف طواف تداً فعاد الأمر للإيلاف

يا أول الخلفاء ثاني اثنين في فمسكت عاموداً له وقتلت مُمَّ

وفي قوله < من مدحهم في سورة الأحقاف ∢ إشارة إلى قوله تعالى. د رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على > إلى قوله (وأصلح لى في ذريتي ، وقد مر بنا ما يزعمه البكريون بخصوص هذه الآية .

وقد بقيت المدرسة البكرية حاملة لواء الدعاية للسكريين على النمط المتقدم. حتى العصر الحديث. فهذا محمد البكرى الذي عين شيخًا للسجادة البكرية عام ١٢٧٧ ه كان قبلة أنظار الأدباء والشعراء . وقد مدحه شهاب الدين. المصرى بقصيدة جاء فها:

وإذا خفت صولة الدهر فاقصد آل صديق أحمد المختمار هم مقر الأوان مجلِّي الأماني مظهر الخير موضع الأسرار تحييهم منزل الرضا وحماهم حيث تمحى كبائر الأوزار لاح فيهم كالبدر بين الدراري. صفوة الصفو خيرة الأخيار

هم نجوم الهدّى ولا سيما من وهو شيخ الشيوخ مولى الموالى وفي سنة ١٨٩٢ م تولى مشيخة السجادة السيد توفيق الكري . وقد أُقيمت بهذه المناسبة حفلة رسمية في قصر عابدين حضرها جم غفير من علماء الإزهر ورجال الطرق الصوفية . وبعد أن شرب الحاضرون القهوة نهض الخديو عباس وقلد الشيخ تاج الشرف . ثم نزل السيد توفيق ومعه مشايخ الطوق الصوفية وكبار العلماء وسار في موكب ضخم حتى وصل إلى قصره يالخرنفش. وهناك أقبل عليه الشعراء مهنئين مادحين. ومن هؤلاء الشيخ حمزة فتح الله الذي يقول من قصيدة طويلة :

إنَّا مُنهِـنِّني المُـكرمات وأهلَـها بجليفها من بعد حسن عزاء توفيقها البكرى فرع أرومة الصد يق زهرة دوحة الزهراء العالم النحرير والعكم الذى أحيا رسوم المجد والعلياء ومنها

يا ابن النبي إليك أوف د مخلص أمدوحة تمشى على استحياء غَالِيكُهَا جهد المقـل لأنكم في غنية عن مدحة وثناء

وفي أول مارس سنة ١٩٠٣ صدراً من خديوى بتعيينه نقيباً للأشراف، : مُحد عن الشعراء ، منهم أحمد نسيم الذي يقول :

فهل بهنيك نظماً أم بهنها ؟ خذ النقابة والعلياء تحملها إلى رحابك والرحمن يحميها

بشراك توفيق أنت اليوم راعها غابت زماناً وبانت بعدأن حجبت . كأنها الشِمس تمثيلا وتشبيها غانهض بها يا ابن آل البيت ماطلعت شمس الضحى نهضة لله تبغيها حتى يقول أبو بكر لصاحبه بشراك عباس أعطى القوس باريها ٤١ . . . . . والآن قد فرغنا من دراستنا لشعرالبكريين. وأهم خاصية لهذه المدرسة على كما مر بنا تقديس ذرية أبى بكر ؛ ودعوة الناس إلى الإيمان بالتعاليم البكرية التي تقدم ذكرها . ومن خصائصها كذلك تلك الروح الصوفية المتأثرة بابن الفارض وابن عربى . والميل إلى وصف الحدائق والبساتين على والجداول والبرك ، والأشجار والطيور والدواليب ، وغير ذلك من مظاهر الطبيعة . وهي بذلك قد أضافت إلى الأدب المصرى في العصر الذي مدن مدرسه ثروة طائلة من النثر والشعر والموشحات والأزجال .

# الفصل لثالث

## المدرسة العناوية(١)

سندرس في هذا ألفصل الشعر الذي قيل في آل البيت. وأول شاعر تصادفه هو بهاء الدين العاملي الذي وفد إلى مصر سنة ٩٩٢ وأقام بها مدة من الزمن ، وألف بها كتابه ( الكشكول ، وفيه قصيدة (١) من نظمه تمحت عنوان ﴿ وسيلة الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان ﴾ وهي :

على ساكن الغبراء من كل كيسًار تمستك لا يخشى عظائم أوزار وألقى عليه الدهر رمقود كضَّوار كغرفة كف أو كغبسة منقار وصاحب سر الله في هذه الدار على العالم العُسْلُوسي من دون إنكار وليس عليها في التعـّـلم من عار بغير الذي ترضاه سابق أقسدار

خليفة ربِّ العالمين فظُّلهُ هوالمروةالوثــَـتَىاللَّذِي مَن ْ بذيله إمام هدًى لاذ الرمان بظله علوم الورى فى جنب أبحر علمه إمام الورى طودالهى منبع الحدى به العاكم السفلي يسمو ويعتـِلى ومنه العقول العشر تبغى كالها أيا حُمِيَّة الله الذي ليس جاريا ويا من مقاليد الزمان بكفِّه ° وناهيك من مجد به خصه البارى

<sup>(</sup>١) كانت سياسة الدولة العُمَانية في ذلك الوقت تقضى بإبجاد فرق تتنافس فيما بينها على النفوذ ، وهي تقف بعيداً مطمئنة إلى سلطانها . فشجعت قيام حزبين كبيرين من المماليك هما : القاسمية والفقارية. ولم يكن عندها ما يمنع من قيامفرقة تناظرالبكريين، وبهذا نفهمالسر فيطهور النرعة العلوية إلى جانب النزعة البكرية . على أن النزعة العلوية بدأت بمدح أصحاب الأضرحة من آل البيت ، ثم أخذت تشتد يوما بعد يوم نتيجة لاضمحلال النفوذ العُمَاني وطهور المماليك كحكام حقيقيين للبلاد .

<sup>(</sup>۲) ص ۸۸،۸۸

أغث حوزة الإمان واعمر ربوعه وأنقذ كتاب الله من يد عصبة يحيدون عرس آياته لرواية وفىالدىنقد قاسواوعاثواوخبطوا وأنمش قلوباً في انتظارك ُ قرِّحت وخلِّص عباد الله من كل غاشم وعجِّل فداك العالمُون بأسرهم بكل شديد البأس عبل شمركل تحاذره الأبطال فى كل موقف أياصفوة الرحمن دونكك مــدحةً

فِلم يبق منها غير دارس آثار عَصْو او تماد و افى عتو وإصرار رواهاأ بوشميونءن كعب الاحبار بآرائهم تخبيط عشواء معثار وأضجرها الأعداء أيَّـة إضجار وطهر بلاد الله من كلكَفَّار وبادر على اسم الله من غير إنظار تجد من جنود الله خيركتائب وأكرَم أعوانُ وأشرَف أنصار بهم من بني همدان َ أخلص ُ فتية ﴿ يخوضون أغمار الوغي غير ُ فكَّار إلى الحتف مقدام على الهول مصبار وترهبه الفرسان في كل مضمار كدُرِّ عقود في ترائب أبكار

وقد أثبتنا هذه القصيدة كلها نظراً لأهميتها. فهي تسجـل الآراء الشيعية التي نشرها العاملي في مصر في ذلك الوقت . فصاحب الزمان هو خليفة الله الذي مد ظله على العالم . وهو العروة الوثقي ، ومن تمسك به نجا . وهو الإمام الهادي الذي حاز جميع المعارف والعلوم. وهو منبع الهدي ، وصاحب الأسرار الإلهية في الدنياً . ومنه تستمد العقول العشر كما ها . وهو حجة الله الذي تجرى الأقدار بإرادته ، ويمضى الزمان بمشيئته . ثم أخذ الشاعر يخاطب صاحب الزمان طالباً منه أن ينقذ الإيمان ويعيد إليه رونقه وبهاءه وجدته ، لأن ربوعه قد تهدمت وزالت ، ولم يبق منها سوى أطلال بالية . والقرآن أصبح في يد قوم عتاة عصاة ، أهملوا ما جاء فيه واتبعوا ما روى عن كعب الأحبار وغيره · ثم إنهم اتخذوا القياس في أحكام الدين ، واجتهدوا بآرائهم ، وضلوا سواء السبيل .

وبعد أن وصف الشاعر ماوصل إليه العالم من فساد وأنحلال ، التمس من

صاحب الزمان أن يظهر فإن القلوب متعطشة لرؤيته . وأن ينقذ العالم من الظلم والطغيان، ويطهر البلاد من الكفار . وسيجد في انتظاره جيشاً من جنود الله من بني همدان المعروفين بالإخلاص له ، والمشهورين بالشجاعة والإقدام. وخصص بني همدان لأن المتعارف عند فريق من الشيعة ومنهم الإثنا عشرية أن الإمام للمنتظر سيظهر في بني همدان . ومن العجيب(١) أنَّ رجال الدين في مصر لم ينكروا على بهاء الدين هذه الآراء مع ما فيها من تعريض بأهل السنة ، وما جروا عليه في الأحكام من القياس والاجتماد · . ومع قوله إن كتاب الله أصبح في يد عصبة من الكفار.

وله قصيدة أخرى ردد فيها المعانى السابقة نذكر منها:

صاحب المصر الإمام المنتظر من عما يأباه لا يجرى القدر محجية الله على كل البشر خير أهل الأرض في كل الخصال من إليه الكون قد ألتي القياد عجرياً أحسكامه فيما أراد إن تزل عن طوعه السبع الشداد خر" منها كل سامي السمك عال . شمس أوج المجد مصباح الظلام صف وة الرحمن من بين الأنام الإمام ابن الإمام ابن الإمام قطب أف لاك المعالى والكمال يا أمين الله يا شمس الهُ عنى يا إمام الخلق يا بحر الندى عِبًّا َن عِبل فقد طال المدى واضمحل الدين واستولى الضلال

ثم إنه خصص في كتابه ( الكشكول ) فصلا طويلا عن السيدة فاطمة ، ﴿ فَهُ كُثيرًا مِن مناقبها وفضائلها . وأورد أخباراً متفرقة عن الحسين ابن على وبعض كبار آل البيت .

وفي تلك الفترة جاء داود الأنطاكي إلى مصر، وكان كما نقل المحبي (٢) شيعياً مخالفاً لعقيدة الأشعرية ، وموافقاً لعقيدة الشيعة وهم الذين بايعوا عليًّا وقالوا بإمامته نصًّا ووصيةً . والحق أحق أن يتبع في بيان معتقــد (١) كان من مصلحة الدولة العثمانية أن ينقسم المصريون إلى فرق أخذ بعضها بحناق بعص،

(٢) الخلاصة ٢/٤٤٢ وهي تقف موقف المتفرج . الإنسان. وصاحب الترجمة من هذا القبيل ، فكم له من اعتقادات فاسدة ، وأقاويل كاذبة باطلة > وقد ذكر داود فى مقدمة تذكرته ما نصه ( · · · صلاة تزيد على حركات المحيط على من اخترت من النفوس القدسية لقوام الأدوار فى كل زمان ، والإرشاد إلى منهاج الحق وقانون الصدق > والنفوس القدسبة يراد بها الإئمة . والدور عند الإسماعيلية هو الفترة بين نبى وآخر .

والأقوال متضاربة فى أمر داود ، فن الناس من قال إنه كان ملحداً ،. ومنهم من قال إنه كان شيعياً . وظاهر مما ورد فى مقدمة تذكرته أنه كان يدين بمذهب الشيعة الإسماعيلية .

وعلى كل حال فإن الأفسكار الشيعية الفلسفية لم تجد رواجاً في مصر لوجود البكريين الذين كانوا ينشرون تعالميهم بين الناس ، ويؤثرون على كثير من الشعراء والأدباء بالمطاء الجزيل . ولوجود حكام يدينون بمذهب أهل السنة . وكانت الدولة المثمانية كما سبق أن ذكرنا تشجع العلماء على تأليف الكتب ضد الأفكار الشيعية .

وقد حدثتنا كتب التراجم عن شعراء مصريين كانوا ينظمون القصائد في مدح أشراف مكة أملاً في نوال عطائهم ، ولكن لم يصل إلينا شيء من هذه المدائح.

ويجب أن نذكر أن عواطف المصريين كانت ولا تزال مع أهل البيت. بالرغم من عدم رواج الفلسفة الشيعية بينهم .

张 茶 茶

وفى هذا العصر جددت أضرحة آل البيت فى مصر ، وانهمك الناس فى إقامة الموالد لأصحاب هذه الأضرحة . وأخذ الشعراء ينظمون القصائد فى مدح آل البيت ، وبخاصة الحسين . مثال ذلك قول عبد الله الشبراوى المتوفى سنة ١١٧٢ ه :

آل طه ومن يقل آل طه مستجيراً بجاهب م لا يُودُ حبكم مذهبي وعقد يقيني ليس لي مذهب سواه وعقد ُ

ى ومنكم نور النبــّوة يبدو بيتكم مهبط الود ولكم في العلا مقام رفيع ما لكم فيه آل ياسين نِدُ آ يا ابن بنت الرسول من ذا 'يضا هيكافتخاراً وأنت للفخر عِقْـــُهُ ' كل من رام حصر فضلك رغر فضل آل النبي ليس 'يعـــد'

فخصائص الشعر العلوى ظاهرة في هذه الأبيات . فالشاعر يذكر آل طه 4. ويقول إن حبهم دينه الذي يدين به ، وقد انعقد إيمانه على هذا الحب . وبيتهم نزلت فيه الرسالة والوحى . ويذكر نور النبوة وآل ياسين ، وابن. بنت رُسول الله . وكل هذا وغيره من مميزات الشعر العلوى .

## وله من قصيدة أُخرى إِ.

لست أخشى ريب الزمان وأنتم من يضاهى نفاركم آل طــه وعليكم سرادق العز ممتـــد كل فضل لغيركم فإليكم يا بني الطُّهر بالأصالة 'يسند أى بيت كبيتكم آل طه طهر الله ساكنيه ومجـد ولكم في الكتاب ذكر جميل وعليكم أثنى الكتاب وهل بعـ

عمدتی فی الخطوب یا آل أحمد ً بهتدی منه کل قاری ویسمد د ثناء الكتاب مجد وسودد

في هذه الأبيات إشارة إلى قوله تعالى ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم َ الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » والشيعة يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليـا والحسن والحسين وفاطمة ، وألقى عليهم عباءته وكان هو\_ معهم تحت العباءة ، وحينئذ نزلت الآية المتقدمة .

#### وقال:

لئن كان رفضاً حبكم يا آل أحمدر عرضت عليكم آل ياسين قصتي وعاداتكم إكرام من زار حـــَّيكم

فقد لذ لى في حبكم ذلك الرفض. ويحسن من مثلي على مثلكم عرض. وحاشا لتلكالعادةالخلفوالنقض بحُ يُمكُ بِمُعدُّ من الله أو بغض تذرُّل لعلياه السموات والأرض وقدصح في التاريخ حبكمو فرض

على حكم أفنيت عمري وهل لمن وها أنا يا آل النبي وحق مَن محب أتاكم آل طـه يزوركم

والبيت الأول مأخوذ من البيتالمشهور المنسوب للإمام الشافعي وه إن كان رفضا حب آل عجد فليشهد الثقلان أنني وافضى ولن نجد عندالتقبراوي في مدائحه لآل البيت أكثر من المعاني المتقدم مفلنتركه ولننظرفي شعر الإدكاوى المتوفى سنة ١١٨٢ه قال يمدح فاطمة الزهراء

على حيامن مات كانت له البُشرى على النار تحقيقا وأحبابها جهرا تدانى لها نار وأولادها 'طر"ا ومن شك في هذاعليه بالاستقرا يكون لهاقمضا ومسطبالأخرى لأجلرضاك الله يرضى فيابشرى إلىجنة المأوىالتي حسنت ذكرا لدى ذلك الجمع الذي عزأن يدرى لئلا يروا شخصا لمن ظهرت.مرا تفوت على من رام تعدادها حصرا مها عن نساء العالمين حات نشرا يرى دمها من أجل ذا لقبت زهرا دعاها لها طه ولو مكثت شهرا فياحسنها من كنية قدزكت نشرا إليه ويحبوها بمجلسه جبرا

أمناهيمن طه المكرم بضعكة أما هي كمن قد حرّم الله جسمها أما هي من قد أحصنت فرجها فلا وخير نساء العالمين بلا مرا وكان رسول الله يقبضه الذي وقال لها صلى عليه إلهــه وفي الحشر يأتي المصطغى وهو را كبُ البُراق وتأتى خلفه بنته الغراً على الناقة القصوى فتدخل تلوه وفى خبر يغـــدو المنــادى منــاديا ألا نـكسوا روسا وغضوا نواظرا وفي مدحها جاءت أحاديث جمة وخصت من المولى بأشيا تميزت فملا حيض يأتيها ولافى نفاسها ولا جوع تشكوقط من أجلدعوة وسر أبيها قد غـدت كنية لهـا روكان لها دوما يقوم إذا أتت وما بين عينيها يقبل مثلما وقد ضمها تحت الكسا وعليها وقال إله العرش إنى أحبهم وأحبب إلهى كل من قد أحبهم لقد ولدتها من تسامت خديجة فقد كرمت أما كما شرفت أبا هما كوكبا فضل وبدرا سيادة مصابها أبكى العيون وأوقع الذمصابها أبكى العيون وأوقع الذمس من قد سعى بما همو آل بيت الطهر طه الذين قد هما وبنجليها الكريمين والرضا وفي سورةالشورى العجائب فاتلها بها وبنجليها الكريمين والرضا توسلت يارب العباد بهم عسى

عصى لسانا قد حسلا وزكا طهرا ونجليها ضما به زادهم نحرا فطهرهم من كل مايوجب الإصرا ونوله ما يرجوه وارفع له ذكرا حليلة خير المرسلين عسلا قدرا وقداً نجبت شبلين سادا الملا الزهرا وريحانة المختار من فاز بالإسرا شباب جنان من عبيدو من أحرا (۱) أتاه العدا من سوء بغى غدا أمرا أباح دماء بالنفائس لا تشرى نفى الرجس عنهم ربنا فاقر إالذكرا نفى الرجس عنهم ربنا فاقر إالذكرا تنل ماتشا بل تغنم الفوز والأجرا على والمختار ذى الآية الكبرى أنال بحبيهم مرادى والنصرا

فإذا تأملنا في هذه القصيدة وجدنا الإدكاوي قد حشد فيها كثيرا من الأحاديث التي رويت في السيدة فاطمة . وبالرجوع (٢٦) إلى صحيحي البخاري ومسلم وجدت حديثين ها ﴿ فاطمة سيدة نساء المؤمنين ، أو سيدة نساء هذه الأمة » في رواية مسلم . وفي رواية البخاري ﴿ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة › وحديث ﴿ إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها › في رواية مسلم .

<sup>(</sup>۱) من حرا : من حرار . (۲) إرشاد الساري إلى صحيح النحاري 7/112. وصحيح مسلم ۳/۱ المطبعة المصريه

وعند البخارى ﴿ فاطمة بضعة منى فمن أغضبهاأغضبنى ﴾ وفى رواية عنده ﴿ ويؤذيني ما آذاها ﴾

وقول الإدكاوى ﴿ وسر أبيها كان يودعه لها ﴾ فيه إشارة إلى حديث ورد في البخارى ومسلم وممناه أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا فاطمة وأخبرها أنه سينتقل إلى الرفيق الأعلى فبكت . ثم أخبرها أنها ستكون أول من يلحق به فضحكت . وقد كتمت هذا الخبر فلم تبح به إلا بعد وفاة الرسول .

أما الأخبار التي أوردها الشاعر عن فاطمة وهي أنها لا يحيض، ولا يخرج منها دم عقب الولادة ، وأن الذي دعا لها بدعاء يقيها شر الجوع ، وأنها تركب ناقة يوم القيامة و تدخل بها إلى الجنة على أثر الرسول ، وأن مناديا ينادى الناس ليغضوا أبصاره حتى تمر بناقتها ، إلى غير ذلك ، فإن هذه الأخبار لم ترد فى الكتب الصحيحة ، وهى من غير شك من مخترعات الشيعة . ومع ذلك فالمسلمون أجمعون يشتركون في حب فاطمة ، وير تاحون إلى كل ما يقال ويروى من أخبارها . ولاعجب في ذلك فهي بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروى من أخبارها . ولاعجب في ذلك فهي بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى قول الإدكاوى « وفى سورة الشورى العجائب فاتلها » إشارة إلى قوله تعالى « قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى » فإن الشيعة فسروا القربى بأنها آل على ، وبذلك وجهوا الآية توجيها يخدم أغراضهم ، فى حين أن خصومهم قالوا إن قرابة الذي لاتقتصر على آل على ، بل تشمل كل من يمت إلى النبى بصلة القرابة من ناحية الآباء والأمهات، والمصاهرة والنسب. ومن هنا نرى أن شعراء العلويين فى مصر اتفقوا مع الشيعة فى تفسير

وفى قوله ﴿ وقد ضمها تحت الكسا وعليّها ﴾ إشارة إلى القصة التى رويت حول نزول آية التطهير من الرجس · وقد رجعت إلى الطبرى وهو للشهور بالأثر فوجدت كل ماأورده من أقوال في هذا الصدد يتفق

مع ماذهب اليه الشيعة ، اللهم إلارواية واحدة تنص على أن (١) الآية نزلت في فساء النبي . وخصوم الشيعة يأخذون بهذه الرواية . وأما شعراء العلويين في مصر فإنهم وقفوا إلى جانب الشيعة ، ولم تخل قصيدة من قصائدهم من الإشارة إليها .

وقد بكى الإدكاوى على ما أصاب الحسن والحسين ، ونوه بشأنهما ، ولعن معاوية وابنه يزيد الذين قتلا هذين الشهيدين . والشيعة يذكرونأن معاوية دس السم للحسن ، وقد تابعهم الادكاوى وغيره من الشعراء العلويين بحصر في هذا الزعم . أما غير الشيعة فإنهم برأوا معاوية من هذه التهمة ، و نظروا إليه على أنه كان أحد الصحابة . وعندى أن الذي يولى ابنه يزيد إمارة المؤمنين مع علمه بفسقه و فجوره لا يبعد عليه أن يسم الحسن .

وختم الادكاوى قصيدته بالتضرع إلى الله أن يميته على حب آل البيت لأن حبهم من الإيمان ، ولا يدخل الجنة إلا من مات على حبهم. كما أن بغضهم كفر يؤدى إلى النار . وقد اشترك جميع الشعراء العلويين في هذا القول ، كما اشتركوا في التوسل إلى الله بآل البيت ، والاستغاثة بهم في الشدائد . والملمات .

张 縣 錄

وقد التف شعراء العلويين حول شيوخ السادات الوفائية ، ومدحوهم يقصائد تعيد إلى الأذهان ما كان يقال في الخلفاء الفاطميين .

ومؤسس (۲) بيت السادات في مصر هو : مجل وفا ؛ الذي ينحدر من ذرية الإمام على وقد جاء إلى مصر من شمال إفريقية في أول القرن الثامن الهجرى ونزل بالاسكندرية وأقام بها مدة من الزمن . ثم انتقل إلى القاهرة وسكن

<sup>(</sup>١) ج ٢٢ ص ٢٢٦ المطبعة الميمنية بالفاهرة .

<sup>` (</sup>٢) رفع ثقاب الحفا عمن انتمى إلى وفاء الوفا ــ تأليف مرتضى الزبيدى .

بجزيرة الروضة . وقد قيل في سبب تلقيبه بوفا أن النيل توقف في إحدى السنين ، فتوجه العلماء والصلحاء إلى المقياس ودعوا الله لترتفع مياه النيسل كالمعتاد ، ولكن الله لم يجب دعاءهم . وبقي النيل على حالته من النقص . وقد أخبر السلطان بوجود ( مجل النجم » وصلاحه وتقواه . فأرسل اليه أن يتوجه إلى المقياس ويدعو الله ، ففعل . فلم يلبث أن ارتفع الماء وظهر الوفاء ، وصار الناس يقولون ( وفا ، وفا » وخوطب حينتذ بذلك وصار علما عليه.

وليس من المهم أن نقف عند هذه القصة لنحكم لها أو عليها، فالخرافات. موجودة في كل زمان ومكان .

واشتهرت ذريته باسم « السادات » وقد توفى مجدوفا سنة ٧٦٥ هـ. وكان كما ذكر منفردا فى التصوف ، وله ديوان شعر موجود ، ولكننا سنغفل الكلام على شعره لأنه لايدخل فى عصرنا الذى ندرسه .

ثم انتقلت عائلة السادات من الروضة وسكنت مصر القديمة . وفى القرن الحادى عشر كان لها مساكن بناحيتى الخرنفش وبركة الفيل . وقد ذكرهم عبد الغنى النابلسى الذى جاء إلى مصر سنة ١١٠٥ ه فقال (١٠ ه فقال وتوجهنا مع الإخوان إلى جهة بيت السادة الوفائية المشهورين بالمعارف الإلهية والحقائق الربانية . أهل النظم والنثر من التصانيف الفاخرة ، والدواوين الزاهرة . وكان منهم البدر الكامل ، والسر الشامل الشيخ يوسف ابن متعة البصر والسمع ، ونور الفرق والجمع ، الشيخ أبى التخصيص الوفائى، رفع لهم البحر والسمع ، ونور الفرق والجمع ، الشيخ أبى التخصيص الوفائى، رفع لهم النفور ونجد > .

فدخلنا إلى دارهم المعمورة التي هي بأنواع الهيبة والاحتشام مغمورة.
 فتلقانا الشيخ يوسف المذكور بكال البشاشة والسرور. وجاسنا عنده حصة

<sup>(</sup>١) ورقة ١٢٢ من كتاب الحقيقة والحجاز .

من الزمان حتى جيء لنا بماء الورد والبخور ، وحصل كال اللطف والإذعان ، وذكرهم الشهاب الخفاجي المتوفى (١) سنة ١٠٦٩ فقال « ومن البيوت العامرة بمصر بيت السادة الوفائية · سادات السادات ، لهم أنفس قدسية قد أفيضت عليها العلوم اللدنية . ما منهم إلا صاحب ديوان نافذ في سبيل البلاغة بسلطان » .

\* \* \*

ومن أعلام هذا البيت: عبد الخالق بن وفا. وفدذكره (٢) الجبرتى فقال « قطب زمانه ، وفريد أوانه ، كان على قد السلافه وفيه فضيلة وميل للشعر. وامتدحه الشعراء وأجازهم الجوائز السنية ، وكان يحب سماع الآلات » . ومما قيل في مدحه :

دع عنك حاتم طى وابن زائدة واترك حديث بنى العباس والخلفا وانظر بعينيك هل أبصرت من رجل في الجود يشبه عبدالخالق بن وفا

توفى سنة ١١٦١ه وتولى بعده فى خلافتهم: خداً بو الإشراق بن وفا .
واشتهر منهم أحمد بن إسماعيل أبو الإمداد ، سبط بنى الوفا ، وترجمله
الجبرتى بقوله ( الجناب الأعجد ، والملاذ الأوحد . علم المجد وناشره ،
وجالب متاع الفضل وتاجره ، تولى نقابة الأشراف سنة ١١٦٨ أ وسار فيهم
سيرة مرضية . وقد مدحه عبد الله الإدكاوى بقوله :

قالوا نقابة مصر أودى كفؤها وتسربلت بحدادهاواستخفت فأجبت كلا، بل لها الكفء الذى رتب العلا بفخاره قد حفت لما دعاها أذعنت واستبشرت وأتته طائعة وثم تتلفت وتبرجت فلذاك قلنا أرّخوا أدبا لأحمدها النقابة رُفت

<sup>(</sup>١) الريحانة ص ٣١١ طبع بولاق سنة ١٢٧۴ ه .

<sup>(</sup>۲) ج ۱ حوادث سنة ۱۱۲۱ ه .

ثم تولى مشيخة السجادة الوفائية سنة ١١٧٦ فمدحه الإدكاوي بقوله : قيل لي هل مدحت آل علي من بهم يكتسى الأديب الشرافه آل بيت الوفاء من خُـصِّصوا بالـ مجد والفخر والتَّـتي والإنافه قلت ما قدر مدحتي لكرام بهم تأمن الأنام المخاف له سأجلو عنطتي أوصافه ر خیلیاً وما دروآ إسعافه قدِّموه فقلت في الحال أرِّخ جده قد أولاه ركن الخلافه

غير أنى لفرعهم أحمد المج هو بيت الأفضال شمس للمالي منه أضحى دست الخلافة من صد توفى سنة ١١٨٢ ه .

ولعل أشهر أفراد هذا البيت هو : شمس الدين مجل أبو الأنوار . وقد ترجم له الجبرتى (١) ترجمة مطولة نلخصها فيما يلى :

﴿ نَادَرَةَ عَصَرُهُ ﴾ ووحيد دهره ؛ الشبيخ شمس الدين عجل أبو الأنوار ، آبن عبد الرحمن المعروف بابن عارفين ۽ سبط بني الوفاء ، وخليفة السادات الحنفاء، وشييخ سجادتها ، ومحط رحال سيادتها . وشهرته غنية عن مزيد الإفصاح ، ومناقبه أظهر من البيان والإيضاح ، .

< تولى خلافة بيتهم سنة ١١٨٢ » .

< ودرس على شيوخ عصره . وكان له اشتغال في بمض الأحيان بالمطالمة وللذاكرة في المسائل الدينية والأدبية . ومعاشرة الفضلاء ومجالستهم ، والمناقشة معهم في النكات واقتناء الكتب من كل فن . كل ذلك مع الجد والتحصيل للأسباب الدنيوية ، وما يتوصل به إلى كثرة الإيراد بحسن

<sup>. 19</sup>V - 1A0 , = E > (1)

تداخل ، وجميل طريقة مبعدة عما يخل بالمقدار ، بحيث يقضى مرامه من العظيم وجميل الفضل له . ويراسل ويكاتب ويشاحج على أدنى شيء، ويحاسب مولاً يدفع لأرباب الأقلام عوائدهم المقررة في الدفاتر ، بل يرون أن أخذها منه من الكبائر . وكذلك دواوين المكوس المبنى على الإجحاف . فكل حما نسب له فيها هو معافى . وكلما طال الأمل زاد المدد ، وخصوصاً إذا تقلبت الدول وارتفعت السفل كان الأسبق القديم في أعينهم هو الجليل العظيم . وهم لديه صغار ، لا ينظر إليهم إلا بمين الاحتقار . ولما انقرضت بقايا الشيوخ الذين كان يهابهم ويخضع لهم ويتأدب معهم ، وكانوا على طرائق الأقدمين في العفة والانجماع عن كل عمل يخل بتعظيم العلم وأهله ، والتباعد عن بنى الدنيا إلا بقدر الضرورة . وخلف بعدهم من هم على خلاف ذلك ، وهم أعاظم مدرسي الوقت فأحدقوا به ، وأكثروا من النرداد عليه وعلى .موائده ، وبالغوا في تعظيمه وتقبيل يده ، ومدحوه بالقصائد البليغة طمعاً ﴿ فَي صَلَاتُهُ وَجُوائَزُهُ القَلْمِلَةُ ، وحَصُولُ الشَّهْرَةُ لَهُمْ ، وزوالُ الْحُمُولُ ، والتعارف بمن يتردد إلى داره من الأمراء والأكابر . وزاد هو أيضاً وجهاً ووجاهة بمجالستهم ، ولا يريهم فضلا بسميهم إليه ، ويزداد كبراً وتيهاً . وبلغ به أنه لا يقوم لأكثرهم إذا دخل عليه . ومنهم من يدخل بغاية الأدب فيلم ثيابه . ويقول عند مشاهدته « يا مولاى يا واحد ، فيجيبه هو بقوله « يا مولاى يا دائم ، يا على يا حكيم » . فإذا حصل بالقرب منه بنحو ذراعين حبا على ركبتيه ، ومد يمينه لتقبيل يده أو طرف ثوبه . وأما الأدون فلا يقبل إلا طرف ثوبه . وكذ لك أتباعه وخدمه الخواس . وإذا كان من أهل الذمة : أو كبار المباشرين وقبلوا يده وخاطبهم في أشغاله وهم قيام وانصرفوا ؛ طلب الطست والإبريق وغسل يده بالصابون لإزالة أثر أفواههم · ولا يجيب . في رد التحية إلا بقوله « خير ، خير » .

« ولا يقطع غالب أوقاته مع مجالسيه وخاصة مسامريه إلا بانتقاد أهل مصره ، وغيبة غالب أهل عصره . وتُنبسط نفسه إلى ذلك ، وإليه يصغى » .

« وفى سنة ١١٩٠ ورد إلى مصر عبد الرازق أفندى رئيس الكتاب ومن أكابر أهل الدولة ، فنحته الدولة بواسطته مائة كيس لإصلاح زاوية أسلافه . وكان معينه فى ذلك الوقت أيضاً الشيخ محمد مرتضى الزبيدى » .

د ثم أرسل وزيره وكتخداه الشيخ إبراهيم السندوبي إلى دار السلطنة عكاتبات يلتمس فيها رفع ما على قرية زفتي وغيرها مما في حوزته من الالتزام من الضرائب التي تدفع إلى الديوان كل سنة . وكان إبراهيم المذكور غاية في الدهاء والحيل الساسانية ، والتصنعات الشيطانية ، والتخليطات الوهمية ، وتقلبات الملامتية . فتم مرامه بما ابتدعه من المخرقة والإيهامات الملفقة . ولم يدفع ما جرت به العادة من العوائد ، بل اجتلب خلاف ذلك فوائد » .

ولما حضر حسن باشا الجزايرلى سنة ١٢٠٠ ه و خرج الأمراء المصريون إلى الجهة القبلية ، واستباح أموالهم ، وقبض على نسائهم وأولادهم وأمر بإ نزالهم سوق المزاد وبيعهم ، زاهما أنهم أرقاء لبيت المال وفعل ذلك فاجتمع الأشياخ وذهبوا إليه فكان المخاطب له المترجم قائلا له : أنت أتيت إلى هذه البلدة وأرسلك السلطان لإقامة العدل ، ورفع الظلم كما تقول ، أم لبيع الأحرار وأمهات الأولاد وهتك الحريم ؟ فقال : هؤلاء أرقاء لبيت المال ، فقال له : هذا لا يجوز ، ولم يقل به أحد . فاغتاظ غيظاً شديداً » .

وكان إبراهيم بك الكبير قد أودع عند المترجم وديعة . وكذلك مراد بك أودع عند مجمد البكرى وديعة . وعلم حسن باشا فأرسل عسكراً إلى السيد البكرى فلم تسعه المخالفة و سلم ما عنده . وأرسل كذلك يطلب من المترجم وديعة إبراهيم بك فامتنع من دفعها قائلا « إن صاحبها لم يمت ، وقد كتبت على نفسى وثيقة ، فلا أسلم ذلك مادام صاحبها على قيدالحياة » . فاسته غيظ الباشا منه ، وقصد البطش به ، فعاه الله منه ببركة انتصاره .

للحق فكان يقول - يعنى حسن باشا - : لم أر فى جميع الممالك التى و لجيم الممالك التي و لجيم الممالك التي و الجيم المن اجترأ على مخالفتي مثل هذا الرجل ، فإنه أحرق قلبي .

« ولما رحل حسن باشا الجزايرلى عن مصر وعاد الأمر إلى المهاليك زادت عندهم مكانته . وآل إليه نظر المشهد الحسينى ، ومشهدالسيدة نفيسة والسيدة . ونيب وباقى الأضرحة المكثيرة الإيراد ، وأخذ يتشدد مع القائمين على هذه الآضرحة فى تحصيل أموالها ، ويسبهم ويهينهم ، ويضربهم بالجريد المحمى على . أرجلهم »

دوكانت مساكنه مطلة على بركة الفيل. وبها قاعة كبرى تسمى دأم الأفراح » مزخرفة بالنقوش الذهب والقيشاني الصيني بجميع حيطانها والرخام الملون. وبها الفسقية والسبيل والقمريات الملونة. فكشف حائطها وأدخل فسيحتها في رحبة الحوش ، وعمل بها فسقية بالرخام ، وسحاها الأنوارية ، فسيحتها في رحبة الحوش ، وعمل بها فسقية بالرخام ، وسحاها الأنوارية ، فسبة إلى كنيته وأمامها فسحة عظيمة . وأنشأ بجوار بيته مسجد اليصلي فيه يوذلك لبعد المساجد الجامعة عن داره . وتعاظمه عن السعى الكثير والاختلاط بالهامة . وأنشأ بستانا كبيرا ، وغرس به الأشجار والرياحين والمار . وأفنى عالمامة . وأنشأ بستانا كبيرا ، وغرس به الأشجار والرياحين والمار . وأفنى غالب عمره في تحصيل الدنيا ، وتنظيم المعاش والرفاهية ، واقتناء كل مرغوب غلنفس ، وشراء الجواري والماليك والعبيد والحبوش والخصيان ، والتأنق في الماكل والمشارب والملابس . واستخراج الأدهان والعطريات ، والمركبات المفرحة والمنعشة للقوة ،

« وتعاظم فى نفسه ، وتعالى على أبناء جنسه حتى إنه ترفع عن لبس التاج والحضور بالأزهر ليلة المعراج وكذا الحضور فى مجلس وردهم الذى هو محل عزهم . وصار يلبس قاووقا بعهامة خضراء تشبها بأكابر الأمراء، وبعدا عن التشبه بالمعممين والفقهاء والمقرئين »

﴿ وَلِمَا طَالَتَ أَيَامُهُ ، وَمَاتَتَ أَقْرَانُهُ ، وَالَّذِينُ كَانَ يُسْتَحَى مَنْهُمْ وَيُهَاجُهُمْ

وتقلبت عليه الأحوال ، واندرجت أكابر الأمراء ، وتأمر أتباعهم ومماليكهم الذين كانوا يقومون على أقدامهم بين يدى مخاديهم ، وأسيادهم جلوس بالأدب مع المترجم ، لا جرم كانت هيبته في قلوبهم أعظم من أسلافهم ، واستصفاره هو طم كذلك ، فكان يصدعهم بالكلام ، وينفذ أمره فيهم ، ويذكر الأمير الكبير بقوله ﴿ ولدنا الأمير فلان » وحوائجه عندهم مقضية ، وكلامه مسموع ، وشفاعته مقبولة ، وأوامره نافذة فيهم وفي حواشيهم وحريماتهم » .

﴿ وَاتَفَقَ أَنْ بِعَضَ أَعَاظُمُ الْمِبَاشُرِينَ مِنَ الْأَقْبَاطُ تَوَقَّفُ مِهِ فِي أَمْنِ وَأَحْضُرَهُ . ولعنه وكشف رأسه وضربه على دماغه بزخمة من الجلد . ولم يراع حرمة أميره . وهو إذذاك أمير البلد . ولما شكا إلى مخدومه ما فعل به ، قال للحاضرين : ﴿ وماذا تريدونَ أَنْ أَصِنْعُ بِشَيْخُ عَظِيمٌ ضرب نصرانيا ؟ ا فرحم الله عظامهم »

« واتفق أن جماعة من أولاد البلد ووجهائها اجتمعوا ليلة بمنزل بعض. أصحابهم ، وتبسطوا فأخذ بعضهم يسخر ويقلد بعض أصحاب المظاهر ، فوشى للمترجم ونقل له أنهم أدرجوه في سخريتهم . فأحضرهم واحدا بعد واحد وعزرهم بالضرب والإهانة »

د فكان من حين إلى حين يقع في بيته الضرب والإهانة لأفرادمن الناس. وكذلك فلاحو الحصص التي حازها والترم بها ، فإ نه زاد في خراجهم عن شركائه ، وفرض عليهم زيادات كان يحبسهم عليها شهورا ، ويضر بهم بالكرا بيج وبالجملة فقد قلب الموضوع ، وغير الرسم المطبوع ، بعد أن كان منزلهم محل سلوك ورشاد ، وولاية واعتقاد ، صار كبيت جاكم الشرطة يخافه من غلط أدبى غلطة ، ويتحاماه الناس من جميع الأجناس وجلساؤه ومرافقوه لا يعارضونه في شيء ، بل يوافقونه ولا يتكلمون معه إلا بميزان و ملاحظة الأركان . ويتأدبون معه في رد الجواب ، وحذف كاف الخطاب ، و نقل الضائر عن وضعها في غالب الألفاظ ، بل حتى في الآثار المروية ، والأحاديث النبوية ، وغير ذلك من المبالغات و تحسين العبارات ، والوصف بالمناقب الجليلة والأوصاف وغير ذلك من المبالغات و تحسين المبارات ، والوصف بالمناقب الجليلة والأوصاف الجليلة ، حتى إن السيد حسين المبراوي الخطيب كان ينشيء خطبا يخطب بها المجليلة ، حتى إن السيد حسين المبراوي الخطيب كان ينشيء خطبا يخطب بها المجليلة ، حتى إن السيد حسين المبراوي الخطيب كان ينشيء خطبا يخطب بها المجليلة ، حتى إن السيد حسين المبراوي الخطيب كان ينشيء خطبا يخطب بها المحليلة ، حتى إن السيد حسين المبراوي الخطيب كان ينشيء خطبا يخطب بها المهما المهما المبراوي الخطيب كان ينشيء خطبا يخطب بها المهما ال

يوم الجمعة التي يكون المترجم حاضرا فيها بالمشهد الحسيني ، وبزاويتهم أيام المولد ، ويدرج فيها الإطراء العظيم في المترجم ، والتوسل به في كشف المهمات وتفريج الكروب ، وغفران الذنوب ، حتى إني سمعت قائلا يقول بعدالصلاة: « لم يبق على الخطيب إلا أن يقول (١) اركعوا واستجدوا واعبدوا شيخ السادات ١١ »

\* \* \*

ولما دخل الفر نسيون مصر كانت للمترجم بعض المواقف المشرفة التي تمحمل بسببها كثيرا من الآذى . فقد حدث أن قبض بو نابرته على ابن القاضى التركى وحبسه فى القلعة . فتشفع المشايخ عند بو نابرته ليطلق سراحه وكان السادات حاضرا فضم صوته إلى صوت العلماء وأضاف (٢) قائلا : وإنه السادات حاضرا فضم صوته إلى صوت العلماء وأضاف (٢) قائلا : وإنه تقولون داعًا إن الفرنساوية أحباب العثمانية . وهذا ابن القاضى من طرف العثمانلي . فهذا الفعل مما يسىء الظن بالفرنساوية ، ويكذب قولهم وخصوصا عند العامة » فغضب بو نابرته من كلام السادات واستدعاه إلى عبلسه وعاتبه ولامه ، وحجزه مدة من الليل ، وأخيراً أطلق سراحه وأمره بالانصراف إلى منزله .

ولما نشبت المعارك بين الفرنسيين والجيش العثماني ، ودخل العثمانيون القاهرة وشرعوا في الاعتداء على أموال الناس وأرواحهم ؛ كتب السادات إلى عثمان كتخدا الدولة الرسالة الآتية :

' حسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير. وما هي موت الظالمين ببعيد.

<sup>(</sup>١) الجبرتي ٤/٢٧٤

<sup>(</sup>۲) الجبرتي ۳/۲۰۳

ظننتُ أنك عد من أسطو بها ويدى إذا اشتد الزمان وساعدى فر ميت منك بغير ما أملته والمرء يشرق بالزلال البارد

أما بعد ، فقد نقضت عهدى ، وتركت مودة آل جدى ، وأطعت الظامة السفلة ، وامتئلت أمر المارقين الثفلة ، فأعنتهم على البغى والجور ، وسارعت في تنجيز مرامهم الفاسد على الفور ؛ من إلزامكم الكبير والصغير ، والغنى والفقير إطعام عسكركم الذى أوقع بالمؤمنين الذل والمضرات ، وبلغ في النهب والفساد غاية الغايات . فكان جهادهم في أماكن الموبقات والملاهى حتى نزل بالمسلمين أعظم المصائب والدواهى . فاستحكم الدمارو الخراب، ومنعت الأقوات وانقطعت الأسباب . فلذلك كان عسكركم مخذولا ، وبهم عم الحريق كل بيت كان بالخير مشمولا » .

دكيف لا ، وأكابرهم أضمرت السوء للمرتزقة فى تضييق معايشهم وأخذ مرتباتهم ، وإتلاف مابأيديهم من أرزاقهم وتعلقاتهم . وقد أخفتم البلد بعد أمنها ، وأشعلتم نار الفتنة بعد طفئها . ثم فررتم فرار الفيران من السنور ، وتركتم الضعفاء متوقعين أشنع الأمور . فواغو ثاه ! واغو ثاه ! أغثنا ياغيات المستغيثين ، واحكم بعدلك ياأحكم الحاكمين ، وانصرنا وانتصرلنا ، فإننا عبيدك الضعفاء المظلومون ، يا أرحم الراحمين » .

هذه الرسالة كتبت عقب انهزام المصريين فى الوقائع التى جرت بينهم وبين الفرنسيين فى مدينة القاهرة ، والتى خرب بسببها معظم أحياء المدينة . وقد أرغم الأهالى شيخ السادات على أن ينفق على جانب كبير من المجاهدين . فلما انتصر الفرنسيون فرضوا غرامات على سكان القاهرة ، وفرضوا على شيخ السادات ٥٥٥ ألف فرنك .

فذهب إلى داره وصحبه بعض الجنود الفرنسيين لحراسته حتى لا يهرب، ثم اعتقلوه فى القلعة وكان فى نيتهم قتله، فشفع فيه عثمان بك البرديسى. واعتقلوا فراشه ومقدمه. وحبسوه فى حجرة مظلمة فكان ينام على التراب، و يتوسد حجرا . وضربوه ضرباً مبرحا يومين متتابعين . ثم أنزلوه إلى داره في حراسة شديدة . وكان لديه عشرة آلاف ريال فدفعها للفرنسيين . ثم باع يعض أمتعته ولكن هذا لم يف بالمطاوب . فرجعوا به إلى معتقل القلعة ماشيا وصاروا يضربونه خسة عشر عصا في الصباح ، ومثلها في اليل . وطلبوا نوجته وابنه فلم يجدوهما . فأحضروا مجل السندوبي تابعه وعذبوه حتى عاين الموت ، فعرفهم بمكانها ، فجاءوا بها وحبسوها معه ، وكانوا يضربونه في وجودها وهي تبكي وتصيح . ثم تشفع المشايخ في نقلها من عنده ، فنقلوها وبقي الشيخ على حاله و أخذوا مقد مه وفراشه وحبسوها ، وتغيب أكثر وبقي الشيخ على حاله وأخذوا مقد مه وفراشه وحبسوها ، وتغيب أكثر

ولما قتل كليبر وخلفه مينو سنة ١٢١٥ ه أفرج عن شيخ السادات فرجع إلى بيته بعد أن دفع ماسبق أن تقرر عليه ، واستولى الفرنسيون على ضياعه وأوقافه التي كان متنظراً عليها ، وحرموه من مرتباته ، وأمروه بعدم الاجتماع بالناس ، وألا يخرج من بيته دون إذن منهم ، كما أمروه بالاقتصاد في أموره ومعاشه ، وأن يقلل من أتباعه ،

\* \* \*

وكان السادات (۱۱ الوفائية يتشبهون بالملوك فيخلعون على أتباعهم الكنى والألقاب مثل أبى الفوز ، وأبى التدانى ، وأبى الإقبال ، وأبى العزم . وكانت لهم مواسم خاصة يحتفلون بها وهى :

(۱) الميعاد (۲) مولد المحرم (۳) مولد الحسين (٤) ۲۷ رمضان ، وفيسه يمنيح شييخ السادات أتباعه ومريديه الكنى .

والطريقة الوفائية التي تنسب إلى مؤسس هذا البيت هي شعبة من الطريقة

<sup>(</sup>١) انظر ببت السادات الوفائية بأليف توفيق البكري ص ٥٧ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٩٤ ، ٩٠ ، ٩٠ ، ٩٠ ، ٩٠ ، ٩٠ ، ٩٠ ،

الشاذلية ولهذه الطريقة حزب مشهور هو حزب الفتح، يقرأ في بيت الشيخ. كل أسبوغ . ولها خرقة صوفية خاصة • ولشيخ السجادة تاج خاص يلبســه في المواسم والأعياد •

أما الزوايا التي تتبعهم فهي :

١ \_ زاوية الرباط وهي بناحية الخرنفش • وكانت العادة قديما أن من يتولى مشيخة السجادة الوفائية يتوجه إليها وبمضى بعض الوقت في قاعة خاصة. تسمى « قاعة التجلى » حيث تحل فيه الأسرار الإلهية ، كما يزعمون؛ ثم يخرج في موك حافل إلى مسجد الحسين •

٢ ـ الزاوية الكبرى وهي شرقي الإمام الشافعي ، وقد هدمت في عهد الوالى العثمانى عزت محمد باشا سنة ١٩٩١ وبنى فى موضعها مستجد ضخم فخم بأم السلطان عبد الجميد الأول

\* \* \*

وقد سبق أن ذكرنا أن الناس كأنوا إذا دخلوا على شييخ السادات قالوا ﴿ يامولاى ، ياواحد ، فيرد عليهم بقوله ﴿ يامولاى يادائم ،ياعلى ياحكيم، والآن نريد أن نعرف السر في اختيار هذه العبارات دون سواها ، وقدوفر علينا مشقة البحث أحد شعراء السادات حيث قال:

> فكل لفظ أتى قطب الوفاء به إذكل من ذكر اسما فى تضرعه فاختار أسماء مولى مابها طلب لاخوف نار ولا في جنة طمعا

جعلت مدحك يامولاي أورادا ياواحد العصر يامن بالتقي سادا قل ياعلي تجده ناصرا أبدا يا دائم السر آباء وأجدادا وإذيقل قائل ماأصل خيرتها من دوُّن الأسماء للأستاذ أورادا يدريه محترزا من كان نقادا لله يطلب ممنى مابه نادى لأنه فاق أنجابا وزهادا بل يرتجى قربه لم يبغ إبعادا

أعلى المراتب تسليكا وإرشادا فقال بل واحد ما رمت إلحادا وفیه رد علی من رام تعدادا بكونه لمقام العبد قدعادا قطبا إلى أن وفي للحور ميعادا فقال بل دائم جودا وإمدادا

أعلى المقامات في التعبيد عندهمو يافوز مر • كان للرحمن عبادا وشيخنا القطب فوز الأولياء له ورب عبد غدارةا لطائفة لاجزء في الغير الله يملككه وأنه كرر المولى للذته فيه دليل على إثبات رتبته أو واحدا كان لكن لا دوام له ودائم لا زوال وهو قابله فقال لا ، بل على والسوى بادأ ومن تكن هذه الأوصاف فيه فقل هو الحكيم وقد وفيها إبرادا أمر الحكيم مطاع لاخلاف له كسلم تجدمنه إيجاداً وإنجادا وكل شيء ففيه حكمة بلغت فضلا وعدلا وإعداما وإيجادا

فالشاعر يقول إن الناس إذا ذكروا الله ِذكروه بأسماء وصفات تعبر. هما تنطوى عليه نفوسهم من رغبة أو رهبة . أما شييخ السادات فإنه اختار اسما لايدل على رغبة في شيء من الأشياء لأنه زاهد إلى أبعد حدود. الزهد، ولا يدل على خوف من النار أو طمع في الجنة • وكل ما يجول بخاطره هو أن يتقرب إلى الله ، وهذه أعلى مقامات العبادة · وقول شيخ السادات « ياواحد » تأكيد منه لوحدانية الله ، وأنه لايشرك به أحدا ، وإقرار منه بالعبودية • ولكن قد يفهم من الواحد أنه لادوام له ، فلذلك أكد دوام. الله بقوله « يادائم ، ثم رفع من شأن الله بقوله (ياعلى) ومن كانت هـذه صفاته فهو حكيم ، والحُـكمة ظاهرة في كل مايصدر عن الله وهو مطاع يجب أن نسلم إليه أمورنا

هذه هي الأفكار التي من أجلها اتخذ شيخ السادات شماره السالف الذكر في تحية الناس له ، وفي رده عليهم

وقد ردد شعراء السادات هذه العبارات في شعزه مثال ذلك قول أحدهم.

قلت يا مولاي يا واحد في وصفه يا دائم الفضل دواما يا على الشأن عن درك السِّوكي يا حكيما أحكم الأمر احتكاما

وقد من بنا أن شعراء مصر اجتمعوا حول شميخ السادات محمد أبى الأنوار ومدحوه بقصائد كثيرة . وقد جمع الحسن البدري العوضي جانباً كبيراً من هذه القصائد في كتاب اسمه ﴿ اللَّوائِحُ الْأَنُوارِيةِ ﴾ والآن نريد أن تلتى نظرة طويلة على هذه المجموعة من الشعر انرى ما فيها من الأفكار التي عكن أن تضاف إلى خصائص المدرسة العلوية .

فهذا شاعر يقول من قصيدة في مدح أبي الأنوار:

الجوهر الفرد الذى يوجوده أنس الزمان وبهجة الأقطار محيى رباع الفضل بعبد تهندم مروى رياض المجد بعد بوار قطب الوجود إمام كل موحد سعد السعود نتيجة الأعصار فانزل بواديه المقدس إنه. عَجلَى السرور ومنبع الأسرار

فالشاعر يقول إن شيخ السادات هو الجوهر الفرد . والشيعة يطلقون الجوهر الفرد على الحقيقة المحمدية .

وشيخ السادات أحيا رباع الفضل بعدما درست معالمها ، وعفت آثارها . وهو الذي أعاد للمجد رونقه وبهاءٍه .

وهو قطب الوجود ، وإمام كل موحد . وهنا تظهر النظرية الشيعية في

الإمامة والإمام. فشيخ السادات الذي هو رئيس البيت العلوي في مصر ، هو إمام المسلمين وهو الذي يجب أن يسمع له المسلمون ويطيعوا .

وإنك لتجد هذه الفكرة - أي فكرة الإمامة - أو على وجه أدق إمامة شييخ السادات واردة في كل ما مدح به من الشعر · مثال ذلك قول أحدهم:

جعلت بهذا المصر للخلق رحمة أزلت لهم عن كل مشكلة جنحا

وعش زينة للدهر إنك روحه فما دمت لايفني الزمان ولا 'عَجَى وإنك للدين القويم ابتهاجه وإنك منهاج الحنيفية السمحا وإنك للإسـلام أعظم ناصر فواليته وُدًّا وأوليته نصحا وإنك كهف المسلمين وركنهم وملجأهم في كل نائبة قبجا

فشيخ السادات هو روح الدهر ، وقرة عين الدين الذي أدخل عليه البهجة والسرور . وهو منهاج الحنيفية ، وحارس الإسلام والمسلمين . وقد حعله الله رحمة للعالمين.

## وقال آخر:

كَنَّاه مولاه أبا الأنوار إذ كُولاً م مولاه خـلافة آله يًا صفوة الرحمن من أقرانه يا من له نعم على عزار

وعلى بني العصر اصطفاك لرتبة تركت قلوب عداك فيها النار السيد السند الهمام المجتبى صدر الصدور المنتكى المختار الجوهر الفرد الذي لم تشتمل أبداً على أمثاله الأعصار الآية الكبرى لمن يجتار من نوره تتولد الأنوار فنما به شرف لها وفخار بعلاه آميّنا فمن يؤمن ينل عَـكنا ونار لظي لها الكفار

فالله اختار شيخ السادات لرتبة الإمامة . فهو الإمام المصطفى الذي اجتباه ربه . وهو الحقيقة المحمدية ، لا نظير له ولا شبيه . وهو العروة الوثقي والآية الكبرى ، والسراج المنير الذي يهدى الناس بضيائه . وهو مشرق الأنوار ، من آمن به فقد فاز بجنات عدن ، ومن كفر فجهنم مقره ومثواه

وقال آخر : \*

أنعم بها من روضة مأنوسة محفوفة بطوالع الأنوار

أحيا مآثرها الإمام المرتضى صدر الصدور ومطمع الأنظار

وقال آخر :

وأتى أبو الأنوار وارث مجدهم عز البرية فخرها وإمامها

وقال آخر:

يا ابن الأماجد يا إما م المؤمنين فتى وكهلا

فشيخ السادات هو الإمام المرتضى الذي ارتضاه الله واختاره . وهو إمام المؤمنين فتى وكهلا ، لأنه ورث الإمامة عن آبائه .

وانظر إلى قول أحدهم :

من عدو وحاســـد وغبيٌّ ا وهو خصمي وليس بالمرضي وحسودى الكذوب لاشك مغرى من خبيث من فتية الأموى"

الغياث الغياث يا ابن النبي " قَعدوي يحرف القول عمداً ومنها :

هو نجل السادات آل وفاء كرم الله وجههم بعسلي" آلُ بيت مُبَرَّ أُونَ من الرج س بنص في الحكم العربي -ملجأ اللائذين غوث البرايا مأمن الخائفين من كُل شي " يا إمام التحقيق في كل فن يا مفيد العلوم يا ابن الوصي "

أنت حقاباب المدينة للعلم بحكم الوراثة الشرعى فالآراء الشيعية ظاهرة في هذه القصيدة ظهورا لاخفاءمعه . فني الآبيات الأولى نجد تعريضا بالذين قعدوا عن نصرة الإمام على ، وتعريضابالأمويين وفي الآبيات الأخيرة نجد مدحاً لآل السادات الذين هم من ذرية الإمام على . وقد طهرهم الله من كل رجسكما نص على ذلك القرآن الكريم . وهم ملجأ اللائذين ، ومأمن الخائفين . وشيخهم الإمام ابن الوصى ، وهو باب المدينة العلم ، وهذا إشارة إلى الحديث الذي يرويه الشيعة وهو دأنا مدينة العلم . وعلى بابها > والشاعر يقول إن شيخ السادات ورث العلم عن على ، أي أن العلم انتقل في ذريته إلى أن تسلمه شيخ السادات الإمام المرتضى . والوصية التمالي ذكرها الشاعر هي الأساس الذي قامت عليه التماليم الشيعية .

#### وقال الخشاب:

لو يستطيع لجوده أغنى الورى والعالم العلوى من آلائه خلف النبى محمد ووصيه نور السراة الغرس من أبنائه لو كان في عهد النبى و بجوده أمسى مع السبطين تحت عبائه شهم عليه الله في تنزيله أثنى فأعيا اللسن حسن ثنائه

فالخشاب يقول فى البيت الأخير إن الله مدح شيخ السادات فى القرآن الكريم. وهكذا يقول الشيعة فى الأئمة . انظر إلى قول ابن هانىء الأندلسى ، فى المعز لدين الله الفاطمى :

شهدت بمفخرك السموات العلا وتنزل القرآن فيك مديحا فالقرآن الكريم مدح أهل البيت حين وصفهم بالطهروالبراءة من الرجس والخشاب يؤمن بنظرية الشيعة في الوصية ، ويقول إن أبا الأنوار هوالوصى ولو أنه كان موجودا في عصر النبي عليه السلام لأدخله مع الحسن والحسين حمت عبائه ، وقد سبقت الإشارة إلى قصة العباءة .

وانظر إلى قول محمد بن شبانة :

لني الوفا في الكون أعلى رتبة ورثوا السيادة عن على جدهم هذا هو النسب الذي يعلو على كيوان والبدر المنير الساري. كالشمس في أفق السماء ونورها نفع الأنام وبهجة الأعصار من مثلهم والعلم ميراث لهم كالجد عيدرة الرضا الكرار فهو الخيار بنو الحيار وجدُّهم فخر العلاء وأصل كل فخار من جاءهم يرجو الأمان بجاههم

بعدالنبي وصحبه الأبرار باب المدينة قاتل الكفار سلمت عقيدته من الأوزار

فني هذه الأبيات نجد محمد بن شبانة يردد الأفكار التي مرت بنا من . القول بوراثة آل السادات للإمام على ، والإشارة إلى حديث « أنا مدينـــة العلم وعلى بابها > وغير ذلك من المميزات التي انفردوا بها ، وأن من أحبهم سلمت عقيدته وصح إيمانه ٠

وشيخ السادات هو المهدى المنتظر الذي علا ً الأرض عدلا بعد أن. ملئت جورا • قال أحد الشعراء:

إذا لم يك المهدى هذا تيقنوا ببطلان ماقد يزعمون فلا مهدى فا ن لم يكن أبو الأنوار هو المهدى الذي ينتظره الناس فلا مهدى إذن. على الإطلاق •

وانظر إلى قول عبــد الرحمن الصفاقسي :

وقد بلغت آمالكم سورة الضحى وأوصافكم في سورة الفيل تذكر إذا جاء نصر الله تبت يد العدى وقابلها الخذلان من حيث تنصر وتبتى لهذا الدين كهفاً وملجأ وردأ به الإسلام يعلو ويظهر

 وتبته ج الآيام بالعدل والهدى وتصبح أهل الفضل بالفضل تفخر ويصبح داعي النصر في كل موطن ينادي على الكفار الله أكبر هنالك يعلو ديننا بمحمد على دين إبراهيم بالنسخ يظهر سلالة خير الخلق من آلهاشم ومن هو للسر الوفائي مظهر فقم يا أبا الأنوار لله حسبة فإنك في كل الأمور المظفر وكرن واثقاً بالله معتصما به على ثقة بالفوز والله ينصر فإنك داعى الحق والحق دامغ لباطلهم وهو الزهوق المتبرأ وإنك مهدى الزمان فلا تدع عصرك شيئاً ماله الشرع ينكر فلا زلت بالمعروف والخير آمرا وتنهىءن الفعل القبيح وتزجر

فني هذه القصيدة ترى فكرة مهدوية محمد أبي الأنوار واضحة وضوحاً تامل. وقد أشار الشاعر إلى ماورد في سورة الضحى من خطاب الله للنبي عليه السلام بأنه ماودعه وما قلاه . وأنه سيعطيه عطاء يرضي معه . وقال إن موقف محمداً بي الأنوار يشبه موقف النبي محمد في هذه السورة ، أي أن الله سيعطيه مايرضيه كل الرضا ، في حين أن خصومه ومنكرى مهديته سيهلكهم الله كما أهلك أصحاب الفيل ، وسينصره نصراً عزيزا مؤزرا ، فيعلو بهالدين، ويملاً الدنيا عدلا وهداية ". ثم التفت الشاعر إلى شيخ السادات وأخذ يحرضه على القيام للجهاد في سبيل الدين ، فهو داعي الحق ، ومهدى الزمان ، الآمر بالمعروف الناهي عن الفحشاء والمنكر .

وهذا شاعر آخر يقول إن شيخ الشادات هو الإِمام المعصوم : الإمام الهام ذو المجد والقد والرفيم ذو الآيات وعصمة الأئمة من النظريات الشيعية المشهورة .

ومن زار شييخ السادات فكأنَّعا زار النبي صلى الله عليه وسلم . قال أحد الشعراء: (م ١١ - الأدب الصرية)

لازم أبا الأنوار تحس بعيشة منه هنيئه ابن النبى فكل من وافاهقد وافى نبيئه وشيخ السادات هو روح الله · قال أحدهم :

شمس الشموس وسر مرآة السنا روح الإله المنتقى من وهبه جمعت له متقرق الفضل الذى للأولياء عناية من ربه وقال مرتضى الزبيدى :

هو روح الأيله في كل عبلى هو تاج الجمال والعلياء وكثيرا ماشبهوا شيخ السادات بالنبي محمد عليه السلام. من ذلك قول أحدهم:

رقیت سمی المصطفی وابن سبطه مراتب عز قد غدا فضلها جما تبوأت منها رغم شانیك منصبا مكان رسول الله فی هاشم قدما

أويذكرون اسمه كما يذكر اسم النبي محمد. مثال ذلك قول أحدهم: سريرته كسيرته وأسنى فياحسناه إذ يعنى ويقصد غذاك السيد السند المفدى أبو الإنوار سيدنا محمد. وقول الآخر:

ألا إن حزب الله حزب محمد ومن ذا لحزب الله فى الخلق يغلب و تظهر فى هذا الشعر روح التعصب لآل على و تفضيلهم على من سواهم ، من ذلك قول الشاعر :

مرن قال من خير الورى من آخر وأول أجبته مؤرخا خير الورى آل على وقول الآخر:

أقول لمن ضاهى وسيع رحابهم رحاب على لا يضاهيه مرحب

وشيخ السادات يعلم الغيب . قال الخشاب :

له قلم بعلم الغيب يجرى وبالأرزاق والقدر المتاح وزيارة شيخ السادات فريضة كالحج بل أكثر . قال أحد الشعراء : فلبيته سمى الأفاضل عندهم فرض كفرض الحيج في عرفات والحج مفروض علينا مرة ولبيتهم عدد من الكرات والعلوية ظاهرة ظهورا تاما في قول الشاعر:

أبنا على والخبير بمدحهم في محكم التنزيل دل كلامه هم صفوة الله التي في نوعنا زهر بنفح الطيب ساد عامه ونتيجةالسادات درة عـقدهم ومحمد بدء له وختـامه

وفي الشعر العلوي نجد كثيرا من الصور الدينية كالحجوالطواف والسعى . والوقوف بمرفات وغير ذلك . قال أحد الشمراء :

يا خير من حجت إليه ركائب الفضلا تقبل ركنه المحروسا وتراهمو يسعون في مرواته وصفاه لا يلقون منه عبوسا يقفون في عرفاتواسع فضله متأزرين من الخشوع لبوسا بحاك حط مفتت الأكباد من شط الديار وقد أناخ العيسا تهنا بعيد الفطر جاءك زائرا فقريته التسبيح والتقديسا

أرضيت ربك في قنوتك ليله وأغظت في أيامه إبليسا

وقال محمد بن شبانه:

مولى إذا حضر الأفاضل عنده نزلوا نزول الحيج في عرفات

يرجون غفران الذنوب جميعها من أكبر الآثام والتبعات

وهنا نجد وجه شبه كبير بين هذه للدائح وبين للدائح التي كان ينظمها

الشعراء في الخلفاء والأئمة ، وبخاصة أنها كانت تقال في عيد الفطر أو عيد. الأضحى كما كانت الحال مع الخلفاء.

وتكثر في الشعر العلوى الإشارة إلى الآيات القرآنية والاقتباس منها، مثال ذلك قول القائل:

هذا أبو الأنوار من أنواره أضحت لأسرار الحقيقة ترشد ضرب الإله بها المثال لنوره في الذكر من زيتونة تتوقد وقول الآخر:

له فى العالمين لسان صدق وحسن لقائه والله يحمد له قدم صدوق فى المعالى ومن مثل ابن خيرالخلق مسعد ومن يرجوه أو يأوى إليه فقد آوى إلى ركن مشيد وقال آخر:

فصل له شكرا وقم وانحر الفدا وكبر على الأعدا فشانيك أبتر. وقدزلزلوابالعاديات وأهلكوا بقارعة فيها مع الصرصرصر وألهاهمو بالعصر ويل لخسرهم وأحوالهم في سورة الفيل تذكر والأمثلة على ذلك كثيرة.

\* \* \*

وكان الشعراء في مدائحهم لشيخ السادت ينظرون إلى ما نظم في الخلفاء -والأئمة ، ويأتون بما سبقوا إليهمن المعاني والصور في هذا الباب .

مثال ذلك قول أحدهم: وأنى الخلافة بل أتتب به ومالها عنه مفر وهذا من المعانى القديمة. وأنظر إلى قول السفاقسي:

هل تفكون أسيرا من قياد أو تجيرون صديقا من معادى ؟ أوتوالون محبا صادقا وده في كل يوم في ازدياد ؟ أو تراعون حقوقا أوجبت أن تراعي حقها أهل الوداد ؟ يابني السادات قوموا سرعة وانفضواعن مضجعي شوك القتاد ياكرام الحي فاحموا حوزتي وامسحوا عن ناظري كحل السهاد أنتمو القوم الأولى عاداتهم نصرة العالى وإسداء الأيادي مبتغي العافين في يوم الندا ملجأ العاصين في يوم المعاد يا أبا الأنوار من أنواره أشرقت في كل أرجاء بهادي ياسمي المصطنى خير الورى ياسليل السادة الشم الجياد ياولى العهد من بعدهمو ياعهاد الخير من قبل العهاد أن هذا الشاعر قلد ابن هانيء الأندلسي في قصيدته التي مطلعها: امسحوا عن ناظري كحل السهاد وانفضوا عن مضجعي شوك القتاد بل إنه سطا على كثير من ألفاظه وعباراته ومعانيه والأمثلة على كثيرة .

وقد سلكوا مسلك القدماء في الغلو في المدح . مثال ذلك قول أحدهم سادوا الأنام فلقبوا سادتها من قبل ماذر الإله نفوسا . وقول الآخر :

فالناس بالتحميد شرف قدرها والله باسمك شرف التحميدا وقول غيره:

جلت مواهــــبه وحا رت في مناقبه الفكر

\* \* \*

وشيخ السادات هو الأمين على سر الرسول. قال أحدهم : وهو الأمين على سر الرسولومن سواه من سره زهر المني اقتطفا

تثنى عليه بقاع الأرض أجمعها وكل حي صفى ذكره ألفا وحب آل السادات هو الإسلام، وهو الدين الصحيح، والمعتقد الحق. الذي يؤدي إلى الجنة ، وسواه باطل يذهب بصاحبه إلى النار · قال أحدهم : فهواهمو ديني وعقد ولائي لست عنه أحول دنيا وأخرى وقال آخر :

مذ أتانا إلا المودة تتلى فهو فينا بفضلكم إعمارم. وقال آخر:

من الذين إله العرش طهرهم ومن أحبهمو لن يدخل النارا وآل السادات أمان الخائفين . قال أحدهم :

همو الأمان إذا جار الزمانوإن حار الأنام همو السادات آلوها

وامتازت مدائح الشعراء لشيخ السادات بالإشادة بكرمه للفرط الذى. أزرى بكرم حاتم وغيره . قال أحدهم :

أغنى عن الإكسير جابر فضله وكنى ذويه الحل والتكليسا هذا هو الإكسير لو يلتي على زحل الفقير أعاده برجيسا أحيا بغيث نواله أرض العطا فربت وأصبح روضها مأنوساء

وقال آخر :

يهب الجزيل إلى النزيل ويحتمى بجواره العافى من الأضرار غيث وغوث لايضام نزيله كفل للسلا بمحامد الآثمار.

وقال غيره :

أغنى ذوى الفاقات من كف لها التقبيل عاده. وسقاهمو من راحة سلمت ودامت في الزياده. فيها العطاء سجية ولحاتم منها استفاده

وقال آخر :

بحر إذا ذكرت مآثر جوده لاحاتم يبتى ولا همامها وقال غيره :

وبجود راحتك الشريفة أخصبت للمالمين منازل وديار

\* \* \*

وامتازت هذه المدائح كذلك بالإفراط فى الإشادة بعظمة شيخ السادات وقوة بأسه وهيبته . مثال ذلك قول أحدهم :

خرت لسؤدده الأذقان ساجدة وطاع عن علاه اللين والشرسُ وقال آخر:

لولا انحصار الملك فيكم لم تكن في بابكم كل الملوك عبيدا وقال آخر:

تطوف الملوك بأعتابه وتسعى لحرمة إجلاله وقال غيره:

إذا قابلت ماوك الورى تخر لهيبته ساجده

\* \* \*

وظهرت فى بعض هذه المدائم آثارالبيئة المصرية · مثال ذلك قول القائل: علت على غيرها أقطار مصر به فخراً وإشراقها بابن النبي جلير وقال غيره:

إذا شبهوا في مصر فضلك بالسوى لقد جهلوا والله عزة مقدارك وقال غيره:

لوجودهم في مصر أوفي نعمة عمت على البلدان والأمصار

خدمت علاه موانع الأسوار

سور على مصر رقيع مانع وقال غيره :

أنارت به مصر السعيدة وازدهت وأصبح فيهما للعفاة مقيل

وقال غيره:

وهم روح مصر وقطب رحاها وبهم تم فخرها والنظـام

وقال آخر :

عج بالمطي إلى حي حرم لهم من حله ما مسه إضرار عَـرِّج على سفح المقطم نحوهم تر مشهداً سطعت به الأنوار هو مشهد قد شوهدت أسراره وتعطرت بعبيره الأقطــار

هو كعبة طافت بها أهل النهى وسعت إليها بالسَّمفا الـنُزُّوار

وقال غيره:

والنيـــل في طاعاته مهما نهى مهما أمَن

وقال غيره:

أرى عَلَمًا جارا لهم وأظنه بأقطابهم قالوا عليه المقَطَّب تطاول أعلاه ليبلغ شأوهم فقال السما قـلُّصر لأني أقرب

المقطب أى القطم

وقد بقيت للمدرسة العلوية وستبقى ما بقى حب الناس لآل البيت . حقيقة إن مدائح الشعراء لآل السادات قد اختفت منذ أمد بعيد لأن هذا البيت قد فقد مركزه الآدبي ، ولكن الشعراء ما زالوا ينظمون القصائد في بعض أصحاب الأضرحة من آل البت. ويمتاز شعر هذه المدرسة بصدق العاطفة ، وهو عنصر أساسى من عناصر الإجادة . كما يمتاز بكثرة الإشارة إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والاقتباس منهما وبنوع خاص الآيات والأحاديث التى تمجد آل على وتقدسهم وترفع شأنهم ، وتثبت حقهم فى الإمامة . كما تمتاز المدرسة العلوية بكثرة نتاجها وجودته وبعده عن الصناعة اللفظية . وكان هدفها أولا التوسل بأصحاب الأضرحة من آل البيت والانتفاع بكراماتهم فى تحقيق الآمال ، والفوز ببركاتهم ، والتقرب إلى الذي صلى الله عليه وسلم بحدح آل بيته . وهذا الهدف ما زال قائماً إلى يومنا هيذا .

وأما الهدف الثاني وهو نشر التعاليم الشيعية التي تحصر الإمامة في أبناء على فلم يظهر بوضوح إلا في زمن الشيخ محمد أبي الأنوار. وذلك لأنه كان على جانب كبير من الثروة والجاه والنفوذ. وربما كانت له مطامع سياسية كان يحلم بتحقيقها. فقد رأينا بعض الشعراء يخلعون عليه لقب المهدى المنتظر > الذي سيملا الدنيا عدلا ورحمة بعد أن ملئت جوراً وقسوة ويبدو أذ الرجل كان على شيء من الاستعداد للقيام بدور سياسي. فقد وقف مواقف مشرفة من حسن باشا الجزايرلي في موضوع أموال إبراهيم بك. ومن بو نابرت في موضوع ابن القاضي التركي . وفي الرسالة الشديدة اللهجة التي بعث بها إلى عمان كتخدا الدولة . وفي انضامه إلى الشعب في ثورته ضد الفرنسيين ، وفي إنفاقه الأموال الكثيرة على المجاهدين .

وربحا كان حرصه على جمع الأموال والإكثار من العبيد والمماليك يخفى وراءه غرضاً بعيداً ؛ وهو الرغبة في الاستيلاء على مقاليد الحكم. وقد سخر الشعراء والأدباء ، ومنهم مرتضى الزبيدى ذو الكلمة المسموعة ؛ لنشر الدعوة لحكومة علوية ، وتمهيد الأذهان لقبول تلك الحنكومة وتأييدها ، وتعريف الناس بحقوق آل على في الإمامة ، وعلى ضوء هذا

نستطيع أن نفهم قول الجبرتى (... وصار يلبس قاووقاً بعهامة خضراء تشبهاً بأكابر الأمراء ، وبعداً عن التشبه بالمعممين والفقهاء والمقرئين عوقد كانت أحوال الدولة العنمانية في ذلك الوقت مضطربة كل الاضطراب والثورات تعصف بها ، والحركة الوهابية على أشدها . أضف إلى ما تقدم أن نفوذها في مصر كان قد تلاشي تماماً في تلك الفترة . وكان أمراء المماليك يهابونه ويخضعون لأوامره خضوعاً تاماً . ولكن قدوم الحملة الفرنسية وما تلاها من الحوادث التي انتهت بتولى محمد على حكم مصر قد قطع عليه أحلامه ، وسد كل طريق أمامه .

\* \* \*

وامتازت مدائح السادات خاصة بوجود شبه بينها وبين ما كان يقال. في الخلفاء والأعمة . ولا شك في أن بيت السادات قد وجه الشعر في فترة معينة وجهة خاصة من شأنها أن ترفع من مقام العلويين ، وتعيد إلى. الأذهان ما كان ينظم في زعمائهم وأقطابهم .

وينبغى أن نلاحظ أن المدرسة البكرية لم يكن لها نظير فى جميع أنحاء العالم الإسلامى. في حين أن المدرسة العلوية كان لها أمثال فى بقاع كثيرة حيثما وجد أشراف ينتمون إلى آل البيت. وبعبارة أدق إن شيخ البكريين لم يكن له منافس فى حين أن شيخ السادات كان له منافسون أقوياء فى كل مكان تقريباً. ولذلك فزعامته كانت محلية. وينبغى أن نعلم أن مجل أبا الأنوار ظهر فى وقت كان فيه شيوخ البكريين قد وصلوا إلى حالة شديدة من الضعف والتخاذل ، فلم تكن لهم تلك الهيبة التى تمتع بها أجدارهم منذ أوائل الفتح العناني إلى نهاية القرن الحادى عشر.

وقد توفى الشيخ محمد أبو الأنوار فى أوائل حكم محمد على . وكانت الدولة المثمانية قدعوضته عن خسائره الكثيرة التي لحقته خلال الاحتلال الفرنسي، فاستعاد ثروته فى مدة وجيزة . ولما مات وضع محمد على يده على تلك الثروة ، ولم يترك شيئًا لورثته ، لا من الأموال الطائلة ، ولا من الأطيان .

وإلى هنا ينتهي الكلام على المدرسة العلوية .

# الفعيشل الرايغ

# المدرسة الأميرية

سندرس في هذا الفصل الشعر الذي قيل في السلاطين والأمراء ، والولاة والحكام وأصحاب النفوذ والجاه من مدح أو هجاء أو رثاء ؛ محاولين أن نتبين مدى العلاقة بين هذا الشعر وبين المصلحة الشعبية ، وموقف الشعراء من هذه الناحية .

والملاحظ أن الشعراء المصريين كانوا قبيل الفتح العثماني ينطقون بلسان الشعب إلى حدكبير • فقد عرضوا بالسلطان الغوري لظلمه وعسفه • مشال ذلك قول ابن إياس :

من دولة الغورى ومرف جوره لقد حملنا فوق مالا نطيق وقد كنى من فلة الأمن وقطع الطريق

#### وقوله :

سلطاننا الغورى قد جار والصبر منا قد أعيا وصار فى ذا الجور عمال حتى خرب نصف الدنيا(١) وقوله:

سلطاننا الغورى غارت عينه لما اشترى ظلم العباد بدينه لازال ينظر أخذ أرزاق الورى حتى أصيب بأفة في عينه ومغ أن الشعراء قد عرضوا بالغورى هذا التعريض العنيف ، إلا أنهم

(١) لمشارة إلى قاعة خمه أسمها « نصف الدنيا » هدمها الغورى واستولى على مابها من الرخام سنة ٩١٠ هـ

جميماً وقفوا فى صفه حين خرج لقتال العثمانيين لأن المصلحة الوطنية كانت. تقضى عليهم بذلك . فمدحوه بالقصائد الجيدة ، وتمنوا له النصر على أعدائه.. مثال ذلك قول ابن إياس :

قل لابن عثمان إذا قابلتــه اقبـل نصيحة ناصح ودع الطيش واحذر تعارض شامنا بجهالة يخشى عليك اللدغ من ابن الحنش (١) وقال:

ياسليم شاه ُكن عن أخذ مصر بلد شرفت بخير إمام فهو شدافعي قطب ولى نجل إدريس عمدة الإسلام هي تدعي كنانة من غزاها قصم الله ظهره بالحسام ظابن إياس يناشد السلطان سليم أن يكف عن غزو مصر ، ويحذره تارة من ابن الحنش ، وأخرى من الإمام الشافعي . ولما تم الغزو العثماني وسقطت الدولة المصرية ناح الشعراء وبكوا ، مثال ذلك قول غد بن قانصوة :

كان فى مصر ماوك أظهروا فيها العجائب ذهبوا عنها وصارت دورهم فيها خرائب وهىأضحت بعد عز قرية فى حكم نائب وقال بدر الدين عمل الزيتونى من قصيدة زجلية طويلة:

نسأل الله أن يحسن العاقبه ويعيد الراج هو الخاسر يكشف العار عنا بأخذ التمار ويرد الكسره على الكافر اشتهى التار لقتملة الغورى ولعملى أبلغ الأوطار والتهانى ذاك النهار عندى ويغنو على وتر أوطار بعد هذا ما اخشى غراب البين إن زعق فى ديارنا أوطار

<sup>(</sup>١) ابن الحنش . هو ناصر الدين ٬ من أمراء الشام ، وكانٌ قد أوقع بالعُمانيين هزيمة كبرى بالقرب من دمشق .

وقال ابن إياس:

نوحوا على مصر لأمن قد جرى زالت عساكرها من الأتراك في وأتى إلىها عسكر سياهمو لا يعرف الأستاذ من غلمانه وأميرهم بين الأنام تحقرا جل الإله مصدقًا عما حــكي في سورة الروم العظيمة أخبرًا

ومصدة عمت بليتها الورى غمض العيون كأنها سنة الكرى حلق الذقون ولبس طرطور برى قد أوعد الرحمن وعدا صادقا أن ابن عثمان يلي وكذا جرى

ظبن إياس يبكى على سقوط مصر في أيدى العثمانيين ، وعلى اندحار الجيش المصري · وقوله من الأتراك أي من الماليكالاتراك. تم يعرض بعساكر العُمَانيين الذين امتازوا بحلق لحاهم : ويشير إلى ماجاء في سورةالروم منقوله تعالى « ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضغ سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد » وكان يطلق على العثمانيين اسم « الروم » لأنهم سكنوا بلاد الروم . ويقول إن الله أخبر في هذه الآية أنْ الروم ؛ أي العثمانيين ؛ سيدخلون مصر ويحكمونها • وهذا تفسير لم يقل به أحد من قبل ·

أما محد بن قنصوة فإنه أعرب عن ألمهوجزته لأن مصر فقدت سيمادتها واستقلالها ، وأصبحت ولاية عمانية يحكمها والى ينوب عن السلطان العماني.

والزيتوني يتمنى أن يُثأر للغوري من قاتليه ، ويرى أن عار الهزيمة لا يمحى إلا بذلك · فإن تحقق له هـذا فإنه يستحق التهنئة ويقيم الأفراح والليالي لللاح .

هذا هو موقف الشمراء من الغزو المثماني • فالي أي حد عبروا عن آلام الشعب وأحزانه ؟

لقد ارتكب العثمانيون من الفظائع مالم تر له مصر نظيرًا من قبل. قتلوا وأسرفوا في القتل · وخربواوأمعنوا فيالتخريب، ودمرواوأفرطوا في التدمير . هدموا القصور حتى زالت أحياءكاملة . واعتقلوا عدداكبيرامن الأعيان والعلماء والتجار ونفوهم إلى الآستانة ، ولم يرحموا في ذلك الشيوخ الكبار الذين أنهكتهم الشيخوخة وأضناهم المرض. ثم نقلوا عددا كبيرا من الصناع. ونهبوا مقادير عظيمة من التحف والنفائس. فلا عجب إذا تألم الشعب وحزن حزناً عميقا لهذه الأحداث الجسام التي نزلت به • ولاشك في أنالشمراء كانوا مصورين لنفسية الشعب إلى حدبميد .

ولما مات السلطان سليم فرح المصريون ورأوا في ذلك انتقاما إلهياً • انظر إلى ابن إياس حين يقول من قصيدة :

قلت هيهات رمت هـذا محالا بدعاء فبها يفوق النبالا بعد ما جار في الأنام ِ بقتــل من جيوش تدك منه الجبالا بانفراج الهموم جل تعالى صيرت رشده حقيقا ضلالا. وكنى الله المؤمنين القتالا

وأراد الخلود من ملك مصر طردته عنسا سهام الدياجي فاستجاب الدعاء ومن علينا وأتتنسا أخبساره بزوال زال عنا بموته بمجمرة دون حرب

فابن إياس يعبر عن فرح المصريين بموت السلطان سليم ، ويقول إن .سهام الدياجي - أي دعاء المظاومين - هي التي أهلكت سليا بعد أنطعي وبغي ، وظلم وأفرط في الظلم . فاستجاب الله دعاء المظلومين وأصيب سليم عجمرة أي ورم خبيث قضي عليه ، ولكن هل انقضي حكم العثمانيين بوفاة السلطان سايم ؟ كلا ، فنظرة الشعراء كانت محدودة بشخص الساطان المتوفى .

وكذلك نجد المصريين قد فرحوا لموت خاير بك أول من ولى حكم مصر من قبل العثمانيين • وذلك نظراً لما سار عايه في حكمه من الظلم الشنيع وعبر ابن إياس عن فرح الشعب بقوله :

اعجبوا مر نائب فى مصرنا خانه الدهر وجازاه العمل إ زال عنمه الملك والمال معاً وأتاه الموت يسعى بالعجل. وقال على لسانه:

أصبحت بقعر حفرة مرتهنا لاأملك من دنياى إلا كفنا يا من وسعت عباده رحمته من بعض عبيدك المسيئين أنا ولكن بعض الشعراء تجاهلوا المصلحة الوطنية وقبلوا أن يكونوا دعاة . للظالمين فسخروا شعرهم في مدح هذا الوالى وريما فعلوا ذلك لمنفعتهم الذاتية . أو دفعاً للشر . وهم على كل حال لم يعبروا عن رأى الشعب .

\* \* \*

ولما آل ملك العثمانيين إلى السلطان سليان ، مدحه الشعراء المصريون . وكان سليان قد اشتبك مع المسيحيين في عدة حروب وانتصر عليهم ، وأخضع بعض البلدان لحكه . فرأى المصريون في ذلك انتصاراً للإسلام على أعدائه لذلك فرحوا بانتصار سليان الذي أعمل سيفه في رقاب المشركين ، وأدخل بلاهم في حوزة الإسلام . قال عهد بن قانصوة من قصيدة :

أفدى سليان من مليك ليس له في الورى مقايس أنكرسا داسها وهدت من دوسه وهو خير دايس ومنه صارت غير دين مدارسا أمحت الكنائس وبعد في رودس ستبدو ومحتى أهلها النحايس وهو بسيف الله نصر في عنق المشركين مايس لقد نسى المصريون استقلالهم ، وأضحوا ينظرون إلى مصيرهم ، لا من الناحية الوطنية ، بل من الناحية الدينية . ولما كان السلطان العثماني هو القائم بالجهاد ضد المسيحيين ، وهو وحده القادر على حماية المسلمين ؟

لذلك كان احترامه واجباً مقدساً على كل مصرى . والخروج عليه كفراً وبغياً . نرى ذلك واضحاً حينا حاول أحمد باشا الملقب (۱) بالخائن الاستقلال بمصر سنة ٩٣٠ ه فقد خرج عليه الأمير جانم الحمزاوى ونصب علماً سلطانياً ونادى : من أطاع الله ورسوله والسلطان فليقف تحت هذا العلم . فلبي نداءه خلق كثير ، وبذلك استطاع أن يقضى على أحمد باشا ويعيد مصر إلى نقوذ السلطان .

وكان تقديس المصريين و'حترامهم للسلطان العثماني يزداد على ممر الأيام · انظر إلى قول أحد الشِعراء حين قتل السلطان عثمان وهو :

قتلتمـو عثمانكم وخنتمو إمامـكم ألم تخافوا فتنـة تاريخها فللامـكم

ونجد الإستحاق يصف محدثى الفتية فى عهدالوالى محمد باشا سنة ١٠١٦ ه بالخوارج، فيقول<sup>(٢)</sup> < فما وجدت الخوارج للحرب طاقة ، وقد وصف الشعراء هؤلاء الثوار بالبغاة وبالخوارج. قال أحدهم:

بشرى لمولانا الوزير محمد فهو الذى بذوى المفاسد يفتك وعلى البغاة له انتصار دائم تاريخه جمع الخوارج أهلكوا وقال آخر:

إن البغاة المارقين قد رمى رب العباد كيدهم فى نحرهم وقد راعى بونابرت حين جاء إلى مصر هذه الناحية وقدرها حق قدرها . فنراه يذكر في منشوراته السلطان المثماني مقروناً بعبارات الإجلال

<sup>(</sup> ۱ ، ۲ ) الإسحاق س ۲۱۷ ، ۲٤٠ ، ۲۱۷ المطيعه الشرفية سنة ١٣٠٠ هـ ( م ۱۱ الأدب المصرى )

والتعظيم · من ذلك ما جاء في منشوره الأول : « ومع (١) ذلك الفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني . وأعداء أعدائه ، أدام الله ملكه » ، « ومع ذلك إن المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره » إلى أن قال ﴿ والمصريون بأجمعهم ينبغي أَن يَشَكَرُوا الله قائلين بصوت عال : أدام الله إجلال السلطان المُماني » .

ولكن الشعر الذي قيل في السلاطين العُمَانيين قليل جداً لا يكاد يذكر. وذلك لبعد المسافة بين شعراء مصر وهؤلاء السلاطين . ومن المؤكد أن شعراء مصر لم يمدحوا أحداً من السلاطين كما مدحوا السلطان عبد الحميد الثاني .

أما العلاقة بين الشعراء والولاة فكانت تختلف تمعاً للظروف . فإذا اشتهر الوالى بالعدل والنزاهة والاستقامة لهجت الألسن بمدحه والثناء عليه وإذا سار على غير ذلك تعرض للهجاء . مثال ذلك أويس باشا الذي ولى مصر سنة ٩٩٥ ه فغي زمنه « حصلت (١) الفتن ، وتحركت العساكر ، وقتل من قتل ، وهرب من هرب . وحدثت المطالب وكثرت المناهب من وجوه شتى » فلما مات هجاه بعضهم بقوله :

أهلك الله أويساً إنه جار في الحكم ولم يخش الوعيد مذ أتى مصر تجبر واعتدى وبه الظلم تبـــدًى في مزيد أمَّهُ عِلَا يَفْيِدُ Y eX كان له عنه محمد خاب سمياً بوفاة أرخــو ها وخاب كل جبار عنيد

أهلك الحرث وكم من فتنة مذ دهاه الموت ما أفلته

<sup>(</sup>١) الجبرتي ٣/٥ طبع بولاق

<sup>(</sup>٢) الإسحاقي ص ٢٢٢

وكانكثير من هؤلاء الولاة يجيدون فهم اللغة العربية والأدبالعربي . عَذَكُر منهم عبد الله باشاً الكبورلي الذي ولي مصر سنة ١١٤٢ هـ فقد قال غيه الجبرتي ﴿ وَكَانَ مِن أَرْبَابِ الفَضَائِلُ ، وَلَهُ دَيُوانَ شَعْرَ جَيْدٌ عَلَى حَرُوفَ المعجم . ومدحه شعراء مصر لفضله وميله إلى الأدب . وكان إنساناً خيراً صالحاً ، منقادا إلى الشريعة . أبطل المنكرات والخمامير ومواقف الخواطي والبوظ ، وقدمدحه عبد الله الشبراوي بقصيدة :ذكر منها :

أقام العدل في مصر وأحيا معالمه بها بعد الدنور وساس الملك دهرآ فاستقامت بقوة عزمه كل الثغور ويقضى في البرية لا بظلم يعاب به القضاء ولا يجور تجمعت المحاسن فيه حتى لعمر أبيك فاق على كثير سجيته إقالة مستقيل وهمته إجارة مستجير وإن حادثته في العلم تلقى بحوراً موجها دُرّ النحور وإن ساومته شعراً فحدث عن ابن ربيمة ٍ أو عن جرير أدام الله دولته يمصر ومتمنا به دهر الدهور

في هذه الأبيات تأييد لما قاله الجبرتي عن هذا الوالي . قالشراوي يشيد بمدل الممدوح وكرمه ، وتمكنه من الشعر ، وإقباله على العلم . قال الجبرتي ﴿ وله ديوان وتحقيقات . وكان له معرفة بالفنون والأدبيات والقراءات . وللشييخ عبد الله الشبراوى في مدحه قصائد طنانة ، وقد رجعنا إلى ديوان الشبراوى فلم نجد به سوى قصيدة واحدة . فلعل باقى القصائد قد سقط من الديوان. ثم قال الجبرتي ﴿ وأَخَذَ المترجم عن العلامة الشيخ أحمد العاوى الكتب الستة ، والمواهب ، وألفية المصطلح رواية ودراية وإجازة ٠ .

ومن هؤلاء الولاة محمد باشا راغب الذي ولى مصر سنة ١١٥٩ « ينظم الشعر بالعربية . وألف رسالة فى العروض . وله كتاب « سفينة ودفينة الطالب » ومنتخبات الوزير محمد راغب . وقد مدحـه. الإدكاوى بقصيدة منها :

الوزير الماجد المف عضال وهدات الرغائب والذي من بحر كفيد به سحاب الجود صائب والذي من للعلم مند به والندى لم يخل طالب والذي قد مجلعت في ذاته أسنى المناقب

وقد وصفه الجبرتي بقوله ﴿ وكان إنساناً عظيما عالماً محققاً ﴾ ويكان محسناً إلى الأدباء والشعراء ، فلذلك مدحوه . أما مدة حكمه كلها فتن وقلاقل . وكان هو المحرض على هذه الفتن ، إذ شج المماليك ضد بعضهم الآخر ، فنشبت بينهم معارك دامية . وقد الشعراء ذلك لأن هذه الفتن كانت وبالا على المماليك وحدهم فقد أن وهذا يتفق مع مصلحة الشعب . وهذه الفتن والمعارك سبها التناا السلطان ، والطمع في المملك ، ورغبة طائفة معينة في الاستئمار البلاد .

وعن لهجت الآلسن بمدحهم على باشا الحكيم الذي ولى مصر الأولى سنة ١١٦٧ ه والثانية سنة ١١٦٩ ه وفيه يقول الجبرتى المامة أمناً وأماناً . والفتن ساكنة والأحوال مطمئنة > وقال « وسالمعهودة ، وسلك طريقته المشكورة المحمودة . فأحيا مكارم الأوأدر على رعيته الأرزاق بحلم وبشر ربي عليهما فكانا له وصدر رحيب لا يضيق بنازله ذرعاً > وقد مدحه الإدكاوي بنذكر منها :

ألا أيها الوزير ياساى القد رومن أيد الإنه فحاره والجليل الكبير والفاضل النحري رعين الملا وصدر الوزاره والمشير المشدار في دولة المجد اليه حقاً بكل إشاره والكريم المهيمن في ذات مولا ه إلى كل بائس ديناره والذي جمل الإله به الده ر فأضحى فريده مختاره والسنى الأخلاق والطاهر الأع راق لله ما أعز نجاره والوفى الحيني قولا وفعللا كم طريد لجا إليه أجاره والمثير الحروب في نصر دين الله ه بالسمر والظبي البتاره والمجلى الكروب إن أدهش ال أبطال وقع العسالة الخطاره فسل الفرقة الروافض تنبيد ك ببأس له يقد الحجاره من سطاه بالسنة اعتصموا من ه فأولاهم الأمان بشاره وسل المشركين كم شن فيهم وعليهم من غارة بعد غاره وسل المشركين كم شن فيهم وعليهم من غارة بعد غاره عياص قد هدها ونواص مدها كالتيوس وقت الجزاره عين بربح التجاره عين نصرة الديدن جزاء يني بربح التجاره

### ٤١ ....

وقد كان على باشا الحكيم قائداً مقداما ، حارب في إيران وأوربا وظفر بالنصر تلو النصر . لذلك رأينا الادكاوى يتغنى في شعره بهذه الانتصارات .

فها تقدم نرى أن شعراء مصر فى ذلك الوقت لم يكونوا مجرد مادحين مأجورين ينظمون القصائد فى مدح الظالمين. بل كانوا معبرين عن رأى الشعب فمدحوا من استحق المدح، وهجوا من استحق الهجاء.

ننتقل بعد ذلك إلى العنصر الثالث الموجه لهذه المدرسة ، وهو عنصر الماليك . وكان هؤلاء القوم في شغل شاغل عن الأدب وأهسله بالحروب والفتن والدسائس التي لم تخمد بينهم قط. وكانت الدولة العثمانية تعمــل على تمزيق شحل المماليك وإضعافهم بإثارة هذهِ الفتن فيما بينهم .

وكان الشعب المصرى يصاب من جراء هذه المعارك بخسائر فادحة متلاحقة في الأنفس والأموال فمن لم يمت قتلا مات جوعا، ومن سلمت داره نهبت أمواله . وقد ظهر أثر ذلك في الشعر و بخاصة عند الشاعر حسن البدري الحجازي الذي جعل هذه المعارك وما يترتب علمها مر · \_ تخريب وتدميب موضوعاً لشعره · مثال ذلك قوله في فتنة وقعت سنة ١١٢٣هـ و هو :

> أيوب والإفرنج والباشا كذا عدالصعيد بيك الأفسد قد فعلوا مناكرا شنيعة بأهلها تفت منها الأكبد ضرب مدافع ودور حرقت وسادة قد قتلت وأعبد وفى الرعايا القتسل والنهب فشا والجوع والظها ومالا يعهد وجملة القول عن الذي جرى لا تسأثن فشرحه لا ينفد والعلما أهمل الضلال والردى لهم أبناحوا كل مالا يحمد من صحبا فروا بليل لا هدوا نهبا ذريما ماعليه أزيد للبوم فيها مقعد ومرقد وبعده الافرنج جهرا قطعوا وكل من شايعه قد أخمدوا من قلمة ولمنة قد زودوا وابتهجت مصر وسر أهلها وانشرحوا وانبسطوا وعيدوا

> دامت عليها مدة مديدة في كل وقت هولها يجدد وبعد ذا أيوب والصعيد مع ودور أيوب جميعا تهبوا ودور من ناصره حتى غدا والباشا المعكوس قهرا أنزلوا تبارك الله مبيد من طغى ومن بغى ومن نكيرا يقصد

عرض حسن البدرى الحجازى في هذه القصيدة بالعلماء ووصفهم بأنهم . أهل الضلال . وذلك لأن كل فريق من المتخاصمين استطاع أن يأخذ من العلماء فتوى بجوار قتال الفريق الآخر تحت التهديد والوعيد . والباشا الذي أشار إليه الشاعر هو خليل باشا الذي أوقد نيران هذه الفتنة الكبري التي استمرت طويلا ، وعانى الناس فيهاكثيرا من البلاء .

وقد اشتهرت قلة من هؤلاء الماليك بحسن السيرة . نذكر منهم إسماعيل بك إبواظ المتوفى سنة ١١٣٦ هـ فقـبد وصفه الجبرتي بقوله ﴿ وَكَانَتُ أَيَّامُهُ سميدة ، وأفعاله حميدة ، والأقاليم في أمن وأمان من قطاع البلد وأولاد الحرام. وكان صاحب عقل وتدبير، وسياسة في الأحكام، وفطانة وفراسة في الأمور . ورثاه الشعراء بمراث كثيرة » نذكر منها :

وكان جديراً بالرئاسة والعلا وكان له حزم ورأى ومنعة ولكن إذا جاء القضاعمي البصر به غدر الجِيار جركس ماكرا فعها قليل سوف يجزى بما مكر أسر" له كيدا به كان حتفه فقطمه إربآ وسيق لجنــة فمن بعده الأذناب فوق الروس قد تقدمت الأنذال لما تأخرت ألا في سبيل الله قامت قرودها فأين جبان القلب من أسدالشرى وقال آخر من قصيدة :

یاعین جو دی بدمع هاطل ندما

فقد سار فينا سيرة سارها عمر بديوان مصر بئس والله ما أسر وقاتله ظلها يساق إلى سقر علت وعلى الأشراف قدجاء محتقر صناديدها هذا لعمري من الكبر ونامت سراحين المعارك في الحفر وهمات أم أين الذوات من الصور

على الذي كان في مصر لنا سندا

رجلا مهذبا مثله فی العز ماوجدا فلامته و أبدل الجورعدلاوالفسوق هدی اد أسى فقد فقدتم وحق الله كل ندی

یاأهل مصر بکاء واندبوا رجلا فکم أغاث فقیراً من ظلامته فالآن حق لکم ذوب الفؤاد أسی

ولما بلع خبر وفاته أهل مكة والمدينة حزنوا حزناً شديدا ، وصاوا عليه صلاة الغائب . ولا شك في أن هذا الشعر الذي نظم في رثاء إسماعيل إيواظ . يصور نفسية الشعب الحزين الباكي أحسن تصوير ، ويعبر عن حقده على قاتله والرغبة في الانتقام منه ، وفي القصيدة الأولى يتألم الشاعر لما وصلت إليه أحوال البلاد بعد مقتل إسماعيل إيواظ من اختلال الأمور، فقد ارتفع الأوغاد والسفلة ، وتصدر للحكم من لاضمير له ولا ذمة .

举 数 章

واشتهر بعض المهاليك بميله إلى الأدب وتشجيعه الأدباء . من هؤلاء الأمير كتخدا رضوان الجلني المتوفى سنة ١٩٦١ه وفيه يقول الجبرتي و واعتكف المترجم - يعني الأمير رضوان - على لذاته وفسوقه ، وخلاعاته وترهاته . وأنشأ عدة قصور وبالغ في زخرفتها وتأنيقها ، خصوصا داره التي أنشأها على بركة الأزبكية . فكان ينتقل في تلك القصور ولا سيما في أيام النيل ويتجاهر بالمعاصي والراح ، والوجوه الملاح . وتبرج النساء ومخاليع أولاد البسلد ، وخرجوا عن الحد في تلك الآيام . ومنم أصحاب الشرطة من التعرض للناس في أعليهم . فكانت مصر في تلك الآيام مراتع غزلان ، ومواطن حوروولدان فكا عما أهلها خلصوا من الحساب ، ورفع عنهم التكليف والخطاب . وقصدته الشعراء ومدحوه بالقصائد والمقامات والتواشيح وأعطاهم الجوائز السنية وداعب بعضهم بعضا فكان يغري هذا بهذا ، ويضحك منهم ويباسطهم . والخذ له جلساء وندماء ، منهم الشيخ على جبريل ، والسيد حمودة السديدي، والشيخ مصطفى المقيمي الدمياطي صاحب المدامة الأرجوانية في المدامح والشيخ مصطفى المقيمي الدمياطي صاحب المدامة الأرجوانية في المدامح والشيخ مصطفى المقيمي الدمياطي صاحب المدامة الأرجوانية في المدامح والشيخ مصطفى المقيمي المدامة الأرجوانية في المدامح والشيخ مصطفى المقيمي الدمياطي صاحب المدامة الأرجوانية في المدامح والشيخ مصطفى الموانية في المدامة الأرجوانية في المداعم

الرضوانية . وامتدحه العلامة الشيخ يوسف الحفنى بقصائد طنانة وللشيخ عمارالقيرواني مقامة مدحا في المترجم ومداعبة للسيد حمودة السديدي المحلاوي . وأجابه بأبلغ منها مقامة وقصيدة من رويها أديب العصر الشيخ قاسم بن عطاء الله المصرى ، والأديب الفاضل الشيخ عبد الله الإدكاوي ، والعلامة السيد قاسم التونسي وألف فيه الشيخ عبد الله كتابا ساء «الفوائح (۱) الجنانية في المدائح الرضوانية » جمع فيه مامدح به الأمير رضوان من قصائد ولطائف و تواشيح » •

وقال الجبرتى « وأنشأ - يعنى الأمير رضوان - قصرا فى الأزبكية له قباب عجيبة الصنعة ، منقوشة بالذهب واللازورد، والزجاج الملونوالألوان الزاهية ، والصنائع الدقيقة ، وبنى قصراً آخر مطلا على الخليج الناصرى وبوسطه بحيرة عملي بالماء من أعلى وينصب منها إلى حوض من أسفل ، و يجرى إلى البستان في ستى الأشجار ، وبنى قصرا آخر بداخل البستان مطلا على الخليج ، فكان يتنقل بين هاتيك القصور و بخاصة في أيام النيل ،

وإذا استمرضنا المدائح الرضوانية ألفيناها تؤخر بذكر الرياض والغياض والنسيم العليل ، والهواء البليل ، والأزهار والأطيار ، والأنس والطرب ، والفرح والسرور ، والحور والولدان ، والأدواح والأغصان ، والأشجار والأوراق ، والحسن والجمال ، والروائح الزكية ، والسكاس والطاس وغير ذلك مما أوحت به البيئة ، مثال ذلك قول مصطفى أسعد اللقيمي الدمياطي المتوفى سنة ١١٧٣ه

بشرى الربيع الزهى وافت بشائره وعن حلاه البهى نمت سرائره ونشر روح الصبا أهدى لنا خبرا منطيبه فاح في الآفاق عاطره

<sup>(</sup>١) منه نسخة خطية مدار الكتب تحت رقم١٤٨٧ – أعب

قال الشقيق حويت ُ الفخر أجمه والملك حق ُ الذي تسمو مفاخره

ومالتالقضب والأطيار قد صدحت وقد تبسم من أعجاب أزاهره وجاء في تُحدَّة الإبداع مبتهجاً يختال تيهاً به حقَّت عساكره فسر مقدمُه الحالي أخا شجن يهيجه من معاني الدوح ناضره وروحه بمعانى الحسن قد علقت وفي صفاه فكم تسعى خواطره وروضة لنحوم الزهر جامعة وزهرها مفرد في الحسن سائره قامت بها أمراء الدوح خاطبة مقام عز تسامى منه فاخره رام الخلافة كل إذ علا وسما من فوق منبره الزاهي منابره فالورد قام بدعواها فشوكته قوية حينما سُلَّت خناجره والْبَانَ وَافَى بِتَاجِ لِلْمَكَ مُنْتُصِبًا وَقَالَ مِن رَامِهِ حَكِمًا أَنَاظُرُهُ والأقحوان بدا يزهو ببهجته وحوله زمر قامت تنــاظره والنرجس الغض يرنو نحوها شزراً لأنه طالب للملك ناظـــره

وهكذا استمر الشاعر في سرد مناظرة بين الأزهار المختلفة ، ثم تخلص. من ذلك إلى مدح الأمير رضوان ٠

وله من تصيدة أخرى :

وهات لى حديث الازبكيه وما حوت أدواحها الركيه حسناً زهت أرجاؤها السنيه إذ لاح في غرتها البهيه قصور رضوان الملا والمجد

يا حبذا معاهد حسان يغنيك عن وصغي لها العيان قد حل فيها الحور والولدان حصباؤها الياقوت والمرجان فانظر تراها جنــة كالخلد

فَكُم بها من دوحة أنيقه وروضة أغصانها وريقـــه

وربوة أنهارها غديقه ومرجة أزهارها عبيقه من ترجس وسوسن وورد

٤١ . . . . . . الخ

والأمر الثاني في هذه المدائح هو احتواؤها على وصف القصور التي شيدها الأمير رضوان . مثال ذلك حمودة السديدى :

بناء كأن المجد هندس شكله بروض رياض راق فيه غدير وضاءت مبانيه على قبة السما وأضحت أيادى النصر فيه تشير إلى المين والإقبال والسعد وللني ووجه التهانى بالأمان جدىر ويشرح منا الصدر رونق حسنه *لقد* خلتــه دار النعيم لأنه

يفوق على أعلى السماكين نوره ﴿ كَذَا البدر من أنواره لمنير فلیس ُ یوی فی مصر مثل بنائه ولیس یحاکی حسن ذاك قصور كأن سناه بالدواء خبير به الحوركم 'زفّت لهن بدور

فالشاعر يقول إن هذا القصر بلغ أقصى درجات الفخامة والإتقان. والجال. ولا يوجد في مصركلها ما يضارع قصرالممدوح في العظمة والسمو والحسن . وهذا القصر كأنه الجنة لما به من أنواع الترف وأسباب السعادة واللذة ، ولما به من الحور والولدان ، والجداول التي تجرى من تحته ، والحدائق التي تحيط به .

والأمر الثالث هو الإشادة بمناقب الممدوح وخاصة ما عرف عنه من. كرم . مثال ذلك قول يوسف الحفناوي للتوفي سنة ١١٨٧ ه :

مولاي بل مولى الآنام وملجئي كرضوان ذي الجاه العلى الأرفع وآفى الرحاب بذلة وتخضع عند العطاء يريك بذل يمينه سمحاً سحائب جـوده لم تقلـع بطل إذا لمعت بوارق سيفه غربت صوارم كل شهم أشجع.

غوث العفاة وغوث كل مؤمل

تغنيه شدة بأسه وسطاه عن حمل الظّنبي بل ذاك أعظم موقع مولى إذا شاهدته وسمعته أغناك عن مرأى سواه ومسمع أنست به الأيام ما قد أسلفت من كل قرم أو جواد مسرع من أين للأمم السوالف سيد بالبشر يلتي الوافدين إذا دعى لو يبذل الدنيا استقل عطاءه لرفيع همته التي لم تشقع أو أين للجلني قرم مشبه يردى العتاة ببأسه المترفيع هيهات لم تلد النساء مثاله وسواه بالعليساء لم يتمتع وهكذا كل ما نظم في رضوان من المدح لم يخرج عن هذه المعانى واشتملت هذه المدائح كذلك على الغزل ووصف الحمر . مثال ذلك

في حب ريم من الأترابك منفرد في الحسن واللطف زان ا كلاً قيا الخلاق الخلاق الخلاق الماس من خفر يثني معاطفه إلا اختني منه غصن البان في الورق ولا بدا وجهه في ليل طرّته إلا أراك سناه الشمس في الغسق إن فاه مال إليه العقل مختطَف المسمع لشهي اللفظ مسترق بدر أدار من الصهباء شمس ضحى يلوح لألاؤها في الكاس كالشفق يسعى بها وسلاف التيه يعطفه ما بين مصطبح منها ومغتبق يلتى على كأسها من نور وجنته أشعة قد هدتنا أوضح الطرق

قول أحدهم:

راح إذا مازجتها الراح من فمه

وهذا الشعر من وحى البيئة . فقد انتشر الغزل فى فتيان الترك وفتياتهم فى ذلك العصر ·

تعود سكرى بذاك القرقف العبق

海安安

ومن أمراء المماليك الذين ظفروا بحظ وافر من مدائح الشعراء: عبد الرحمن كتخدا المتوفى سنة ١١٩٠ه صاحب المبانى الكثيرة التي أشرنا إليها حينا تكلمنا عن الحالة الاجتماعية. فمن ذلك قول الإدكاوى يجدحه ويهنيه ببناء شيده:

أشيوس أشرقن لى أم نجوم أم وجوه بها تزول الهموم وقدود تميد أم ذى غصون فى رياض أمالهن النسيم وجنان تزهو وإلا بناء شاده الماجد الهمام الكريم الذى عز أن يدانيت خلق فى المعالى وهل يدانى العظيم أوالذى مخص بالفخار ولكن بره الممقاة بر عميم هو عبد الرحمن ذو المحب الشامخ دامت له المعالى تروم سيدى هكذا تكون المبانى فاطرح ذكر ما بنته الروم مجلس زخرفته كف صناع أخمل الروض عقده المنظوم عجلس طائر السرور لديه أبد الدهر ساجع لا يريم عجلس فيه النواظر ملهى وبه الحظ والهناء مقيم بالبناء الجديد أسعدك اللهدة ولازلت فى نعيم يدوم بالبناء الجديد أسعدك اللهدة ولازلت فى نعيم يدوم

\* \* 4

وعن شجعوا الآدب الأمير جاويش الخربوطلى . ولما زوج بنته لعلى بك الكبير نظم الشعراء قصائد فى مدحه وتهنئته . فمن ذلك قصيدة للا دكاوى مطلعها :

وصل الحبيب وصح منه الموثق واغتاظ عادلى الجهول الأحمق ووفى بموعده لهذا لم أقل وعد الزيارة قلبه المتملق تم تخلص من الغزل إلى المدح فكان مما قاله:

أعنى أمير المجد مأمول الجدا من أمه لاشك فهو موفق ً ذاك الأمير على المقدار من بلواء علياه السيادة تخفق.

ذو العزة القعساء والهمم التي بذيولها راحي المني يتعلق .... الخ

أما بعد فليس هذا الفصل جديدا في الأدب، وإنما هو امتداد لما نظمه الشعراء في الخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء والوزراء.

ويبدو مما مر بنا في هذا الفصل أن هذا الشعر لم يندثر في خلال العصر العثماني كما يتوهم الناس ، بل ظل محتفظا بمكانته التي شغلها من قبل . وهو في معظمه جيد العبارة ، قوى الأسلوب ، بعيد عن التكلف ، يحمل طابع البيئة المصرية ،

## الفصيل الخامِن

### المدرسة الشعسة

هذه مدرسة قديمة عرفت في مصر قبل العصر العثماني . وفي مطلع هذا العصر نرى من شعرائها :

ابن إياس الحنفي المتوفى سنة ٩٣٠ فقد نظم شعراً كثيرا باللغة العامية في أغراض مختلفة مثال ذلك قوله:

كان ابن عثمان مذجا مصر مثل الضيف وحل وولى علينا كل صاحب حيف مباشرين يجوروا في الشتا والصيف أطراف اقلامهم تفعل فعال السيف

فنى هذين البيتين صور ابن إياس آلام الشعب وماءاناه من ظلم الحكام وعمال الخراج الذين لا ينقطعون عن تحصيل الأموال حتى استنزفوا دماء المصريين وأذاقوهم الجوع والخوف. وفي قوله ﴿ أَطْرَافَ اقلامهم تفعل فعال السيف ﴾ تصوير رائع لإفراط العال في إيقاع المظالم بالشعب .

٧ — ومن معاصرى ابن إياس ، زجال مشهور ؛ هو بدرالدين الزيتونى ( ٨٣١ — ٩٧٤ هـ ) كان أحد نواب السادة الشافعية ، فاضلا عارفا بصناعة القضاء والتوقيع ، ماهراً في الخطب ، فكه المحاضرة ، كثير العشرة للناس ، علامة في فن الأزجال ، والموشيحات ، والمواليا ، وكان وكان ، والقوما . وله قصيدة طويلة من فن الزجل في مائة وعشرين جبيتا ، رثى فيها السلطان الغورى وسرد ماحدث من المعارك بين الجيش المصرى والجيش العثماني ، نذ كر منها :

غربت شمس دولة الغورى وابن عثمان تجمو طالع ساير وبهذا رب السما قد حكم والفلك دار ولم يزل داير

خامس عشر من ربيسع آخر ورخوها من هجرة الهادى كان خروج السلطان بتجريده والأمارة في خدمتو موكبين وخروج الجميـع من القاهره في محفه خرج معو القاضي والخليفة المتوكل ولد يعقوب

تسعائة اثنين وعشرين عام شافع الخلق في نهار القيام لابن عمان طالب بلاد الشام بالمهاليك والطلب تتفاخر كان بتقدير الواحد القاهر وكاتب السر المنتخب مجمود هو عمل فعاو الجميسل محمود

وقد حرص الزيتوني على أن يسجل في هذه القصيدة كل ما شاهده منذ خروج الغورى إلى اللحظة التي قتل فيها. وحدثنا عن ألمه وحزنه لما حل بالجيش المصرى من هزيمة • ثم عزى نفسه بذكر القواد والملوك الذين ماتوا وذهب ملكهم وأصبحوا في ذمة التاريخ من أمثال سليمان الحكيم، والنمرود وكسرى أنو شروان، والاسكندر الأكبر، واللحظ أن حبه للتستجيل التاريخي قد غاب عايه .

ولما مات بدر الدين رثاه ابنه محمد بزجل نذكر منه :

یحق لی أن أرثی لموت والدی كان أفصح النظام وعقلور جیح في درج الاكفان للقيامة اندرج واجب على فقدو بعزمي أصيح كانوالدى فىفنالأزجال تقصدو حفاظ مصر والكل بيه يعتنون فقيه مدرس في جميع الفنون

وفى جميــع العلم مالو نظير

ومماهو جدير بالذكر أن استخدام الشعر الشعبي في الرثاء قد كثر في هذا العصر ، كما انتشرت النساء اللآتي احترفن التعديد وهو نوع من الشعر مازال حتى أيامنا هذه ينشد في المآثم . وفى الزجل المتقدم يذكر محمد بن بدر الدين الزيتونى بعض مناقب والده ومفاخره . فيقول إن والده يستحق الرثاء لأنه كان شاعراً مجيدا ، ذا عقل راجح ، وفكر سديد . وكان مشهورا بفن الزجل ، إليه تشد الرحال ، وكان الناس يعنون بسماع أزجاله وحفظها . ويصف والده بأنه العالم الذي لايشق له غبار، والفقيه البارع، والمدرس المجيد في جميع أنواع العلوم والفنون . ويقول إن موته خسارة كبرى ، يستحق أن يلظم من أجلها ويسكى رافعاً صوته بقدر ما يستطيع .

\* \* \*

وروى ابن إياس فى حوادث سنة ٩٠٩ه أن الناس خرجوا للفرجة على الاحتفال بسفر المحمل ، وكان احتفالا مشهودا . وصنف العوام رقصـــة وهم يقولون :

بيع اللحاف والطراحية حتى أرى دى الرماحية بم لى لحافى المخميل حتى أرى شكل المحسل

فقد بلغ من روعة الاحتفال وتهافت العامة على رؤيته إلى درجة أنهب كانوا على استعداد لبيع فراشهم وغطائهم وهما أعز ما يملكون ، أو هاكل مافى بيوت الفقراء من الأثاث ، وذلك ليتيسر لهم الخروج للتمتع بمشاهدة هذا الموكب الفخم ، وانطلقوا يرقصون ويغنون بهذا الغناء ،

وفى حوادث سنة ٩١١ هكثر الحريق بالقاهرة بسبب وجود الدريس فى منازل المهاليك ، وكانوا قد أفرطوا فى خزنه ، وشرع الوالى يقبض على الناس ويرغمهم على نقل الدريس بعيدا عن مواطن الحريق ، فتعطلت أعمالهم ، وصنفوا رقصة وهم يقولون :

اهرب يا تعيس والا يحملوك الدريس (م – ١٣ الأدب المصرى) فلم يجدوا أمامهم سوى الهرب من حمل الدريس ، إذ لم يكن في قدرتهم أن يفعلوا شيئاً غير ذلك ، فمن اختنى استراح ، ومن ظهر سيخر في نقل أحمال الدريس ، ويبدو أن العامة قد واجههم عناء شديد وبلاء عظيم في هذه الحادثة فتحركت مشاعرهم بهذا الغناء ،

وفى حوادث سنة ١٩٣١ه خلع المهاليك الوالى التركى عقب فتنة كبرى سالت فيها الدماء وتناثرت الأشلاء، وخربت دوركثيرة • وكان هذا الوالى هومدبر تلك الفتنة ، فلما خلع اجتمع عليه الأولاد الصغار وأخذوا يرقصون ويغنون بصوت مرتفع قائلين :

ياباشا ، ياباشا ياعين القمله مين قال لك تعمل دى العمله ياباشا ، ياباشا ، ياباشا ياعين الصيره من قال لك دبر دى التدبيره

张 裕 紫

ومنأ نواع المواليا التي عزفت في مصر قبل العصر المثماني وانتشرت انتشاراً كبيرا في خلاله:

١ - القرقيا: وهو ما يتناول الهزل

٣ - البليق: ويستخدم في الغزل

٣ – المكنفر : بكسر الفاء ، ويستخدم في الوعظ

فمن المكفر قول محمد سالم الحفناوي المتوفى سنة ١١٨١ه

يامبتغي طرق أهل الله والتسليك دعمنك أهل الهوى تسلم من التشكيك إن أذكروني لرد المعترض يكفيك فاجمل سلاف الجلاله دائما في فيك

وهذه المواليا في الوعظ والإرشاد ، فهو يخاطب من يريد الوصول إلى الله وسلوك طريق المتصوفة والانخراط فيصفوفهم، وينصحه بترك الاعتراض على الناس وبمداومة ذكر الله .

وقد استخدم محمد البكري المتوفي سنة ٩٩٤ ه الموشحات في الدعوة

تَنْشَرَانُ القَهُوةُ مِثَالُ ذَلِكُ قُولُهُ :

أدر القهوة في كاس البها قهوة البن وناهيك بها هي حل ما نهي عنها 'نهي فاسقني ياصاح

شنف الكاسات واسمع ماأقول إنها شرب الأجلاء الفحول أولياء الله أرباب الوصول لحمى الفتاح

ما علینا من عذول جاهل مقتری زور کلام باطل خامل خامل الذکر ومیت زائل داحمه من داح

فنى هذه الموشحات تصوير المنزاع العنيف الذى نشب بين أنصار شراب القهوة وخصومها . وقد حاول البكرى أن يتحدى هؤلاء الخصوم ، فطلب من الساقى أن يدير عليه القهوة فى الكئوس الجميلة . ثم ذكر أن شراب القهوة لذيذ جدا ، وحلال عند لل أرباب العقول السليمة ، والقهوة شراب الأكابر وذوى المراتب الرفيعة من أولياء الله المقربين إليه ، ويقول إنه لا يكترث بكلام الجاهل الذى يلومه على تعاطى هذا الشراب ، والذى يحرمه مستنداً إلى أدلة فاسدة وآراء باطلة ، وهذا الجاهل نكرة لا يعرفه أحد ، ولا يسمع به إنسان ، فكا نه فى عداد الأموات . وهذه الموشحة جيدة التراكيب قوية الأساليب ، واضحة العبارة ، مليحة الإشارة ،

ومن موشحاته التصوفية قوله:

طلعة المحبوب كل القمــر هــكذا هيمت كل البشر كيف لا تسرى بكل الصـور وهم هالات

وحدت معنداك عينى نظرا قال لى قلبى شهدت الأثرا ماترانى عين سعدى ما ترى وحدة بالذات

زال لبسی حیث نفسی أعربت وكذا شمسی بأفتی غربت مثلما روحی بروحی طربت والهویلذات

### ٠٠٠. الخ

فالبكرى يقول إن الله تجلى فى مخلوقاته فهوكالقمر الذى هام الناس. بحبه والمخلوقات تحيط به إحاطة الهالة بالقمر • وهو واحد بذاته وصفاته . ولما أدرك هذه الحقيقة زال من قلبه كل شك ، وامتلا و فرحاً وسرورا ، ونعم بهذه اللذة الروحية التى غرق فيها .

### \* \* \*

ومن الشعر الشعبى الذى وصل إلينا من هذا العصر مجموعة عنوانها « الروض الوضاح فى نهاية الأفراح ، المسمى باجتماع الشمل فى فن خيال الضل » وهذا النوع من الشعر التمثيلي الذى يشترك فى إلقائه بضعة أشخاص بمثلون. مو دنوعات مختلفة ، ويقفون فوق منصة مرتفعة وراء سيتار ، مستخدمين. ببعض آلات الطرب، ويرقصون ويغنون، ويقومون بحركات بهلوانيـــة كالتي تشاهد في الأراجوز . ومما جاء في هذه المجموعة :

عن خيال الضل دايم محتجب فانتبه يامن غفل عُنْـو ونام تلتقى هزلو وجدو شي عجب وعبارات شبه الاحلام في المنام والمرقص من ورا الستراحتجب والشخوص تحكي شخوص هذاالأنام

كان هناك مرقص وستائر وتماثيل دقيقة الصنعة، وصور تشبه صور الناس والحيوانات والمبانى والحداثق وغيرها .

ليلة سعيده عند ماقد رأيت أهل الأدب يحكو بدور الكمال لما طلبتونى إليكم أتيت للعب والتفريح وفن الخيال - يا سادتى أنى بكم اقتديت يا من حويتو الفخر والامتثال ربى يفرح قلوب الجميع بزيارة النبي الهادى ودار السلام ياسامعين قولوا مدد ياحسين والفاتحه اقروها لبنت الإمام فمن هنا نرى أن اللاعب قد بدأ التمثيل بتحية الناس الذين دعوء ليعرض عليهم ألعابه . وقد ذكر أنه ابي دعوتهم وحضر ليدخل على قلوبهم الفرح والسرور ، وليطلعهم على فن خيال الظل . وقال انه يتخذ من الخاضرين وقدوة حسنة له في حياته . فهم أهل الفضل والأخلاق الحميدة، ثم سأل اللهأن يوفقهم إلى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، وطلب منهم أن يلتمسوا العون

من الحسين ، وأن يقرأوا الفاتحة لبنت الإمام ، أي للسيدة زينب. ومنها :

وبعد هذا انتظروا أشياء عجب في الأدب والحظ والانشراح أشيخاص وحازوا كل معنى طرب كان السبب من مصر داالفن راح وحبى ظهر شكاو لأهل الرتب نالواالأرب بأهل الوجو والسماح يارب بالهادى نبينا الشفيم وبالصحابه الفائزين الكرام

تغفر ذنوبي يا كريم يامعين بفضلك وادخلنا بديار السلام ولما فرغ من المقدمة السابقة التفت إلى الحاضرين وأخبرهم بماسيشاهدون. من عجائب فنه ، وغرائب تمثيله . وذكر أن هذا الفن كان قد اختفي من. مصر مدة من الزمن ومدح الحاضرين وأعرب عن حبه لهم . ثم دعا الله أن . يغفر له ذنوبه وأن يدخُّله الجنة .

ثيم ذكر بعد ذلك أسماء الممثلين وهم : (١) نرجس بن تقادير (٢)الـكابس. (٣) أبو حردان(٤) أبو قراميط (٥) السكران

ولكل من هؤلاء الأشخاص دور يقوم به ، وموشحات ينطق بها ٠ وقد أضربنا صفحا عن ذكر متاجري على لسانهم لاحتو ائه على ألفاظ مكشوفة -وعبارات السب والشتم التي تسمع في الشوارع من السفلة والأوشاب.

ويغلب على هذه التمثيليات الغزل والشكوى من فراق الحبيب، ونداء. الليل وغير ذلك مماهو معروف الآن كما اشتملت على مدح الأو لياءوالوعظ والإرشاد ، والحث على التمسك بمكارم الأخلاق ، ففيها الهزل والخلاعة. والمجون إلى جانب الجد، ومن التمثيايات الجدية تمثيلية «فلاح في بطن تمساح» وقد وقف شعفص اسمه الكابس يخاطب الفلاح بقوله :

دور من الكابس للفلاح وهو في بطن التمساح:

يا أخى أعلمني على دى القصة لما بقيت في بطن تمساح كاسر ياهلتري غضبوا عليك إخوانك والامرابط كان سرو حاضر والا أبوك قلبو غضب من يمك والادعت أمكفي الظلام العاكر أنهض واعلمني صحيح واصدقني يامن رماه وعدو وأصبح نواح لما عليك قد اغتدى دا التمساح

قل لى على من أخرجك من بيتك

فالفلاح كما نرى قد وقع في شدة عظيمة ، وضيق مؤلم إذا أضحى محبوسا في بطن تمساح • وقد طلب منه الكابس أن يحدثه عن سبب وقوعه في هذه . المصيبة • وهل كان سبب ذلك غضب إخوانه أم غضب أحد من الأولياء ؟ أم غضب والده أم غضب والدته ودعاءها عليه فى جنح الليل . وطلب منهأن ينهض و يخبره الخبر الصحيح ، وأن يكون صادقا فى قوله عن السبب الذى أخرجه من بيته وأوقعه فريسة لهذا التمساح الجبار الذى التقمه وحبسه فى بطنه .

فيرد الفلاح قائلا (دور من الفلاح)

أبكى ودمع العين جارى على خدى
حالى صبح مسكين واللى انكتب وعدى
وقعت وقعة شين وعدى ولا بيدى
لكن أقول يارب يا باعث الأرياح

فالفلاح هنا يبكى بكاء مراً على ما وصلت إليه حاله من بؤس وشقاء ، ولكنه مع ذلك لم ييأس من رحمة الله ، بل يطلب الفرج ويؤمل فى النجاة ، وسرجو اليسر بعد المسر .

وبعض هذه التمثيليات يبدأ بمدح النبى ثم ذكر الخلفاء الراشدين ومشهورى الصحابة . وتنتقل بعد ذلك إلى الأغراض التي أنشئت من أجلها . وهي تصور بوجه عام وقوع بعض الناس في ضيق وشدة ، ثم استغاثتهم بالله والأنبياء والأولياء ، ورضاهم بالقضاء والقدر . ثم تنتهى بحدوث الفرج بعد الشدة .

禁 袋 帮

ومن الشعر الشعبى تلك القصائد التي لم يلتزم فيها أصحابها صحة اللغة والنحو والعروض كالقصائد التي وردت في سيرة الظاهر بيبرس والأميرة ذات الهمة وكقصيدة أبي شادوف التي شرحها يوسف بن عجل الشربيني المتوفى سنة ١٠٩٨ه. في كتابه « هز القحوف » نذكر منها :

ويقعد يجرف للحنك تجريف ولوكان بالكراتكانضريف ومن اللبن الحامض يرفوفيف ويعزم على أهل البلد ويضيف

على من جتو قصمة وهو بيحرت على من دعس بالعزم فى المش والبصل على من شرب مترد ملان مطنبر على من حتو أم الخلول لدارو

وفي هذه القصيدة الطويلة وفي شرحها من ذكر المقاذر والعورات ، والعبارات المكشوفة والألفاظ القبيحة مالا نهاية بعده. وقد تعمد الشارح أن يشنع على الفلاحين ويرميهم بكل موبقة ، ويصفهم بمختلف العيوب ، وكان الشربيني من الأشراف ، وبين هؤلاء وبين الفلاحين خصومة عنيفة مازالت حتى عصرنا هذا . انظر إلى قوله في مقدمة كتابه « وقبل الخوض في بحر هذا الكلام نذكر ما وقع لعوام بعض أهل الريف ، ووصف طبعهم الكثيف ، وأخلافهم الرذيلة ، وذاتهم الهبيلة ، وأسمائهم المقلبة ، وقصوفهم المشقلبة ، وقصانهم المشرمطة ، وأشعارهم الملخبطة ، ونسائهم المزعجات ، المشقلبة ، وقصانهم المرابيات ، فنقول :

«أماسوء أخلاقهم وقلة لطافتهم فن كثرة معاشرتهم للبهائم والأبقار ، وملازمتهم نشيل الطين والعقار . وعدم اكتراثهم بأهل اللطافة ، وامتزاجهم بأهل الكثافة ، كأثم خلقوا من طينة البهائم كما قال ذلك الناظم :

لا تصحب الفلاح لو أنه نافجة أرياحها صاعده ثيرانهم قد أخبرت عنهم بأنهم من طينة واحده

﴿ فَهُم لا يَخْرَجُونَ عَن طُورُ القَّحَافَةُ لَمَلاَزُمَهُمُ الْحُرَاثُ وَالْجُرَافَةُ . وَهُرَ قَصُوفُهُم حُولُ الْأَجْرَانَ ، وَطُرَدُمُ مِن الْمُلْقُ وَالْفَيْطَانَ، وَدُورَانَهُمْ حُولُ الزَّرِعُ وَنَاهُمْ فَى الْجُلّةُ وَالطّينَ. إِنْ عَامَلْتُهُمْ أَكُلُوكُ ، وَنَاهُمُ فَى الْجُلّةُ وَالطّينَ. إِنْ عَامَلْتُهُمْ أَكُلُوكُ ، وَإِنْ أَقْتَ لَمُم الشّرِعُ رَفْضُوكُ ، وَإِنْ أَلْنَتَ لَمُمْ وَإِنْ نُصِحَهُمُ أَبْعُضُوكُ ، وَإِنْ أَقْتَ لَمُم الشّرِعُ رَفْضُوكُ ، وَإِنْ أَلْنَتَ لَمُمْ وَإِنْ نُصِحَهُمْ أَلْمُورُهُمْ مَعْانَدُ ، الْجَانِ مُقْتُوكُ . العَالَمُ عندهُ حَقَيرُ ، وَالظّالَمُ عندهُ كَبِيرٍ . أَمُورُهُمْ مَعْانَدُ ، الْجَانِ مُقْتُوكُ . العَالَمُ عندهُ حَقَيرُ ، وَالظّالَمُ عندهُ كَبِيرٍ . أَمُورُهُمْ مَعْانَدُ ،

وليس عندهم فوائد . عندهم قابض المال أعز من العم والخال . سود الوجوه، إذا رأوا معروفا أنكروه ، كما قال الشاعر :

أهل الفلاحة لا تكرمهمو أبدا فإن إكرامهم في عقبه ندم يبدوا الصياح بلا ضرب ولا ألم سودالوجوه إذا لم يظلموا ظلموا>

وعلى هذا المنوال من الرغبة في التشهير بالفلاحين ، والتشفى منهم نسج المؤلف كتابه . ومع ذلك ففيه قوائد نذكر منها إيراده لكثير من الألفاظ والتعابير الريفية . وإيراده لبعض الأغانى التي نسبها لأهل الريف وتصويره لجهل الفلاحين وفقرهم ، وما كانوا يقابلون به إذا حضروا إلى القاهرة من الازدراء والاحتقار والسخرية . كما صور أخلاق بعض المتظاهرين بالدروشة وما صاروا إليه من فساد وانحطاط وبعد عن أحكام الدين . فما نسبه لشعراء الربف :

والله والله العضيم الفادر هو عالما بسرايرى وخبايطى إن عاود القلب المسوم ذكركم لأقطعو من مهجتى بأصابعى وعلق على (١) هذين البيتين بقوله « هذا الكلام من بحر الهلفطة ، والمعانى المشرمطة وتفاعيله : متخليطة متخليطة متخليطة . وعرضه بيقين من زنجية لشربين ، وطوله باحتياط من السرو لدمياط . >

« وأما شرح معانيه المستخمطة ، وحل مبانيه الملفمطة ، فقوله – والله العضيم القادر – يريد القسم غير أنه لم يقع الموقع لأنه ذكر الصفة بالضاد المعجمة لا بالظاء المشالة ، جريا على لغة أمثاله من أهل الريف . وقوله – هو عالما – بنصب عالما مع أنه مرفوع ؛ ليس على قاعدة النحويين ، إلاأن لسانه لم يساعده على ذلك ، لأن ألسنة أهل الريف تنصب المرفوع، وترفع المنصوب كما يقولون عبد الرجمن برفع راء الرحمن . وهدذا من باب عجرفة الكلام المناسبة لهؤلاء القوم »

<sup>(</sup>١) هز المعجوف ص ٥١ طع بولاق سنة ١٣٠٨

وقد يكون في كلامه هذا بعض الحقائق . وعلى كل حال فإن منزلة الفلاح. قد هوت إلى الحضيض في هذا العصر حتى أصبحت كلة «فلاح» سبة وشتمة من الشتأئم التي يوجهها بعض الناس إلى بعض . وغدت توحى بالخشونة والبعد عن الرقة والذوق واللطف . وأصبحت حياة الفلاح منذ العصر العثماني إلى عهد قريب موضوعا للسخرية والتهكم من بعض الكتاب .

\* \* \*

وقد نظم إبراهيم الشافعي سنة ١١٧٧ه قصيدة طويلة من فن الزجل ، مدح بها الأمير عبد الرحمن كتخدا ، عنوانها « مشارع خيرات حسان في مدح الأمير عبد الرحمن ، سجل فيهاكل ماشيده الأمير المذكور من المباني ، وما أنفقه من الأموال في أوجه البر . ومما جاء فها :

وكم عرايا قد كسا وكم غريب قد أكرمه بأرض الجزيرة لو سبيل تجاه بولاق فافهمه عليه سواق دايره منه الحسود قد انكمد بشاه ونظمه وعبد الرحمن أمير بفعل خير قد انفرد وربنا صار لو معين وأقى الأعادى بالكد

46 46 46

وكان بعض الشعراء يقلدون الموشحات الأندلسية ، وينسجون على منوالها . نذكر منهم إسماعيل بن خليل الملقب بالظهورى ، المتوفى سنة ١٢١١ه فقد نظم موشحة على وزن موشحة ابن خطيب داريا الأندلسي جاء فيها . نيت شعرى ياأخلاء الهوى هل أرى بدرى بحانى مؤنسى

# أم أتاسى من زمان قد قسا ورمى أحشاى سهما عن قسى

بارق في نحو ذاك المكنس

ياستي الله زماناً قد مضى في مغابي مصر في عيش خصيب حيث بدرى قد قضى لى ما قضى بالتدانى إذ غفت عين الرقيب شب من تذكارها نار الغضى في فؤادي وتلافي في النحيب واعترتني دهشـة حين جرى من دموعي سائلا في الفلس وغدا قلى كلما مذ سرى

جاد في مثواك منهل السحاب

يارياضا حسنها زاه يشيق كم مضى لى فيك من معنى أنيق حين كان اللهو مزهى الجناب هل ترى عيني عياك الشريق لابسا برد التهاني والشاب وأرى بدرى يناجيني على ذلك البسط الشهى السندس وأحسلي صبر دهري بالمني من معان زاهيات الملبس

وهكذا يستمر الشاعر إلى آخر تلك الموشحة الطويلة في أسلوب قصصي سهل ممتع . فيذكر الحان وأيام الصبا واللهو والعبث التي أمضاها ونعم بها بين حدائق مصر وبساتينها . ويحدثنا عن اتصاله بمحبوبته بميدا عن أعين الرقباء . ثم أخذ يتحسر على تلك الأوقات السعيدة الحلوة التي ان تعود . ووصف لنا ماتتركه في نفسه الذكريات من لوعة ، وما تذرفه عيناه من دموع وما أصاب قلبه من جروح ، ثم وقف يخاطب الرياض ، واصفا إياها بالجمال والفتنة ، ذاكرا الأيام الحلوة التي قضاها بين ربوعها ، متمنيا لو أن تلك الأيام قد عادت إليه مرة أخرى ليمتع نفسه بوصال الغيد، والجلوس معهن على الحشائش الخضراء السندسية ، تحت ظلال الأشجار الوارفة

ومن أشهر الزجالين في هــذا العصر الشييخ عاص الأنبوطي المتــوفي سنة ١١٧٣ه وأزجاله تتناول أنواع الطعام والشراب . فمن ذلك قوله :

أكلك من الضأن رطلين يزيد قلبك نفاسه وابعد عن الكشك يازين دا الأكل منو تعاسه وقوله:

أكل المطبق مع الفجر بالشهد والسمن السايم الليجيبو لو أجر في جنسة الخلد رايح وقوله:

ياطابخ الضائف اشتد واغرف أواني وسيعه عامر أتى لك وله يد في الأكل دايما سريعه وقوله:

أوصيك لا تأكل الفول يورث قلبك قساوه تقطع نهارك كالغول تائه وعندك غشاوه وقوله:

خشاف مشمش وعناب الشرب منهم دوايه من بعد ماكل كباب يارب حقق رجايه ومن نظمه ألفية الطعام على وزن ألفية ابن مالك في النحو عذكر منها:

يقول عامر هو الأنبوطى أحمد ربى است بالقنوطى وأستعين الله فى ألفيه مقاصد الأكل بها محويه

فيها صنوف الأكل والمطياعم لذت لكل جائسع وهائم طعامنا الضانى لذيذ للنَّـهـِم للمَما وسمنا ثم خبزاً فالتقم فإنها نفيســة والأكل عم مطاعماً إلى سناها القلب أم والأصل في الأخباز أن تُقمراً وجـوزوا التقديد إذ لا ضررا

فامنعه حين تستوى الخرفاك

ومن قوله على وزن لامية العجم للطغرائي :

فيم الإقامة بالأرياف لا شبعى فيها ولا نزهتى فيها ولا جذلى ناءُ عن الأهل خالى الجوف منقبض كمعدم مات من جوع ومن فشل فلا خليل بدفع الجوع يرحمني ولاكريم بلحم الضأن يسمح لي طال التلهف للمطعوم واشتعلت حشاشتي بحيام البيت حين قلي أريد أكلا نفيساً أستعين به على العبادات والمطلوب من عملي بالمدس والكشك والبيسار والبصل فإنه خلق الإنسان من عجل

أناجر الضأن ترياق من العلل وأصحن الرز فيها منتهى أملى أكلى غداء وأكلى فىالعشاء على حديّ سوى إذا اللحمالسمين قلى والدهر يفجع قلبي من ِمطاعمه ناديت هيا ولا تبطي ً بغرفك لي

وله على وزن لامية ابن الوردى :

اجتنب مطعوم عدس وبصل في عشاء فهو للعقل خَـبل ا تمس في صحة جسم من عِلَـلُ. زاكى ً العقل ودع عنك الكسل

وعن البيســـار لا تمن به واحتفل بالضأن إنكنت فتى مر • كباب وضاوع قد زكت أكلها ينني عن القلب الوجل

ويبدو أن الأنبوطي كان يمثل في عصره طبقة المتهافتين على الأكل ، المتطفلين على للوائد ، الذين لا هم لهم إلا حضور المآدب ، وإشباع نهمهم من اللحوم والخضار والرز والفواكه وغيرها . وقد كان الناس يخشون

الأنبوطى وأمثاله. فالجبرتى يقول فيه ( إنه الشاعر الهجاء المفلق ، لهيب شراره محرق » ويقول إن الناس كانوا يتحامونه ، وكان الشيخ عبد الله الشبراوى يكرمه ويكسوه اتقاء للسانه.

\* \* \*

واحتاجت للقاهى الكثيرة التى ظهرت فى ذلك العصر إلى المغنين مما دفع أفراد تلك الطائفة إلى الإجادة والإتقان ليحوز كل منهم قصب السبق فتنهال عليه الأرباح الوفيرة . واتصل المغنون بالشعراء يلتمسون منهم نظم للقطوعات الغنائية المناسبة للعصر الذى يعيشون فيه . وقد لبى الشعراء هذه الدعوة ونظموا كثيراً من الأدوار الغنائية التى تسيل رقة وعذوبة . وفى تراجم معظم شعراء هذا العصر نجد مثل هذه العبارة « وله موشحات وأزجال ومقطوعات عديدة مشهورة بين أرباب الفن والأغانى ، ومنتشرة بين الناس ، يتغنون بها فى أوقات سمره » ومن أشهر مؤلنى الأغانى فى ذلك الوقت عبد الله الشبراوى . قال :

والله مليح وجميل وكامل الاوصاف وأنا احبـه ملو قلبي وأهواه لطيف ظريف الشكل مالوش مثيل في رقته أما كلامه ما أحــــلاه وقال :

شفته على غفله قوى حبيته أسمر ومن طبعى أحب الاسمر ميلت ناغشته لقيت له رقبه ولطف زايد والبشاشه اكتر يا أهل الآدب والله وحق المختار ما شفت عمرى في الجمال مثله قر مصدور ما نظرتش حسنه في حد من بعده ولا من قبله وقد سجل الشعر الشعبي كثيراً من الوقائع التي جرت بين المصريين

.والفرنسيين إبان الحملة الفرنسية . من ذلك قول أحـــد الزجالين من ملحمة طويلة :

وباشهم خيم ببيت الألــفي على البيوت ماعاد لهم بيت يكني

حازوا بيوت الغز سكنــوا فيها عسكرهم بالأزبكيــه صــاروا وزيرهم خيم ببيت البكرى والكسارى حل ببيت الجلني عايم مقام دوبي سكن ببيت هانم والجند في الأسواق تراهم خطار حتى الديار تشتى فكن مستبصر هذى مواعظ جت لأهل الأبصار

ومنها وفيه إشارة إلى الثورة التي نشبت ضد الفرنسيين سنة ١٧٩٨:

ما خلتهم إلا عفاريت عمار

نادى منادى في البلد بالنهضه قالوا الجهاد مفروض على دى الأمه راح الخبر في الحال إلى بيت دوبي قايم مقام فاغتاظ وقام في همه هِم عليه زمزوم ودشوا راسه فمات وبعده اشتد كرب الزحمه وجات عساكر مسرعة لا تحصر وقاتلوا الإسلام وباعوا الأعمار يومين قتال والحرب زايد قدره

وعقب إخماد الثورة شدد الجنرال برتملي على الحركة الوطنية واضطهدها اضطهاداً عظيما . وقد عرف عند العامة باسم فرط الرمان . وإليه يشير الزجال المتقدم في قوله:

من بعد هذا الأمن دار الوالى مع الأغا والكلب فرط الرمان حاشوا خلايق في حبوس القلعه قد أسجنوهم والمقدر كان من كان فرغ عمره قتل في ليله ومن خلص من عزته قد هان اللي تقدم ذكرهم في الأدوار

وتمموا النكته بقتل السته يا عين عليهم بالمدامع جودى واجعلى دموعك عليهم غزار والمدرسة الشعبية ما زالت قأمة تؤدى رسالتها. وقد اتسعت دائرتها بعد ظهور المجلات الهزلية وأصبحت تتناول جميع نواحى الحياة من سياسية واجتماعية واقتصادية وعاطفية . وكثرت الأغانى كثرة لم يسبق لها مثيل وبخاصة بعد إقامة دور الإذاعة وتنافس المغنين في إلقاء، أدوار جديدة .

## دراسات تكميلية في الشعر

تكلمنا في الباب الثاني على مدارس الشعر وبيئاته . وفي هذا الباب سنتكلم على الشعر الذي نظمه الشعراء استجابة للفن الشعرى وحده . فن ذلك :

## الوصف

كثر في هذا المصر وصف الشعراء للحدائق والبساتين ، والثمار والمياه. ونستطيع أن نؤلف مجلداً ضخماً من آثار الشمراء والكتاب في حديقة الأزبكية وحدها ، وفي بساتين بولاق. وقد امتازت هذه القصائد الوصفية برقة أساليبها وسهولتها ، وجودة معانيها وصدق عاطفة ناظميها وبراعتهم الفنية . ففيها التشبيهات اللطيفة والعمور الجميلة . وفيها حيوية فياضة وشعور متدفق . مثال ذلك قول الشبراوي من قصيدة طويلة :

في كثيب من الجزيرة يختا ل دلالا في حـَّلة خضراءِ حيث مجرى الخليج والماء فيه يتثنى كالحيـة الرقطـاء ثم عج بي النهز عن أيمن ال قصر فني ذاك راحتي وهنائي حيث مالت نحو الظباء ظباء بقـدود تفـرى أديم الحـَشاء حيث تلقى المشاق بين صريع أو قتيل مضرج بدماء روضة راضها النسيم سحيرا باعتلال صحت به واعتـــــلاء (م - ١٤ الأدب المصرى)

وأصول الأشجار ترسب في قير لمد من الماء ضيق الأرجاء ولطيف النسيم يعبث بالغص بن فيهتز هـزة استهزاء وترى الغيصن تارة يتمطى في اعتدال وتاوة في انحناء وغدير أللجين ينساب طورآ باعوجاج وتارة باســـتواء قنوات كأنها الزرد المنب فحوم وقت الهيجاء تحت اللواء يا خرير الخليج تفديك نفسى فلكم نلت في هواك شفائي واحى ذاك الغرام بالإغراء مرس فرات ودجلة فيحاء وأعد لى حديث لذات مصر فحديث اللذات عـلِّني الْف أى عيش يطيب في مصر إلا عليح متوج بالبهاء نزِّه الطرف بين قد وخد وجبين وطلعية حسيناء فرعى الله أرض مصر وما ضمته من أهيف ومن هيفـاء إن مصر لأحسن الأرض عندى وعلى نيلها قصرت رجأتي

یا ندیمی جدِّد بذکراه وجدی هات حدث عن نیل مصر ودعنی

فالشبراوى فى هذه القصيدة يصف لنا جزيرة الروضة وما فيها موس حدائق وبساتين . ويقول إن هذه الجزيرة تختال دلالا عما فيها من أبسطة سندسية خضراء تأخذ بعجامع القلوب . ثم يتحدث عن مجرى الخلييج ويشبه الماء حين يجرى فيه بالحية الرقطاء . والرقطة بياض يشوبه نقط سوداء أو بالعكس . ثم أخذ يحدثنا عن جمال النساء اللاتي كن يخرجن في تلك الجهة ، وعن اجتماع العشاق الذين أضر " بهم العشق وأضناهم الغرام : ثم عاد إلى وصف للناظر الطبيعية بجزيرة الروضة. فالنسيم عليل ، والهواء نقى منعش . . والأشجار على حافات الجداول فجذورها راسبة في ماء ضحل . والنسيم يداعب الأغصان فتهتز استهزاء به . والأغصان تارة تنتد معتدلة وتأرَّة تنحني . وجداول الماء التي تبدو كالفضة تنساب مرة معوجة ومرة مستوية . وهي تشبه الدروع أو السيوف حينًا تعد للقتال في وقت الحرب ثم أُخذ يخاطب خرير الماء المتدفق في الخليج ، ويقول إنه كثيراً ماشفي ففسه من آلام الحب وأسقام الغرام بجوار هذا الماء وفي كنفه. ثم وجه الخطاب إلى ندعه الذي صحبه في تلك الأماكن والتمس منه أن يعيد على مسامعه ذكريات الأيام الحلوة التي أمضاها بين جزيرة الروضة ومجرى الخليج، لأن هذه الذكريات تبعث في نفسه اللذة والنشوة والارتياح ، ولأنها تجدد حبه القديم ، وتبعث غرامه إلى الحياة . ويقول إن نهر النيل عنده أَفْضَل أَنْهَار العالم ، لا يعادله دجلة أو الفرات أو أي نهر آخر على سطح الأرض . وهو يطرب طرباً عظيما إذا حدثته عن مصر ونيلها ، وجزيرة الروضة ومجرى الخليج . والحياة في مصر لا تحلو إلا في صحبة امرأة جميلة يمتع عينيه بمشاهدة قوامها للمشوق وخدودها الوردية وجبينها المشرق وطلعتها البهية . ثم دعا الله أن يحفظ مصر ومن بها منأرباب الجمال والحسن، وأهل الفتنة والملاحة .

وقد كان الشبراوي رحل لأداء فريضة الحج. والحجازكما لا يخفي بلاد صحراوية لا زرع فها ولا ماء . فهناك أدرك القيمة الكبرى لنهر النيل ولمياهه العذبة ، ولجزيرة الروضة وما بها من الحداثق والبساتين والحقول الناضرة ، والأشجار المورقة . وقارن بين بيئة الحجاز الصحراوية ، وبين بيئة مصر الخصبة الزراعية · ووازن بين الحجاز الذي يشح فيه الماء ويغلو . سعره ، وبين مصر ونيلها العظيم فانعكست هذه الحالة النفسية في شعره الذي يذكر فيه نهر النيل . انظر إليه حين يقول :

أعد ذكر مصر إن قلبي مولع عصر ومن ليأن ترى مقلتي مصرا وكرر على سمعى أحاديث نيلها فقد ردت الأمواج سائله نهرا بلاد بها مد السماح جناحه وأظهر فيها المجد آيته الكبرى رويداً إذا حدثتني عن ربوعها إذا صاح شحرور على غصن بانة

فتطويل أخبار الهوى لذة أخرى تذكرت فهااللحظو الصعدة السمرا

إلى أن يقول :

على نبلها شوقاً أصب مدامعي وأصبو إلى غدران روضتها الغرا إذا حذرتُني بلدة عن تشوق إلى نيل مصركان تحذيرها إغرا سأعرض عن ذكر البلاد وأهلها وأروى بماء النيل مهجتي الحرا

٠ . . . . . . الخ

وهذا كله انعكاس لأثر البيئة الصحراوية التي قاسي آلامها وأهوالها م وعلام فيها الماء حتى أضر به العطش . فإذ ذاك عرف النعمة الكبرى لنهر النيل فتغني لذكره في غير ملل ولا ضحر . بل إن تــكرار ذكر النيل كان يحدث في نفسه لذة لا تضارعها لذة ، ومتعة لا تعادلها متعة . إنه في هذه الأبيات يظهر للنيل قداسة تصل إلى درجة العبادة . وهذا لا يحدث إلا ممن كاد بهلكه العطش.

وكان الشبراوى يجمع بين وصف الطبيعة وما فيها من فتنة ، ووصف النساء وما فيهن من حسن وبهاء . ويدعو إلى عبادة الجمال أينما وجد ، جمال. الطبيعة وجمال الإنسان . وقد جاراه في مذهبه شعراء كثيرون .

وقال الشهاب الخفاجي :

مسدت على الخضراء ودا حتى تثاءب نوره وتمطت الأغصان قــــــان قـــــــــــان للروض أوقد فيه ندا سردت له النسمات سردا قد بات يلعب فيه نردا

قَـدَحت رعـــود البرق زندا في فمية الظلماء إذ وأتى الشقيبق بمجمسر وحبسابه مرن فوقمه فستى معاهد بالحمى من عنبر للمسك أهدى عجباً لدر ناصع أودعن فى مسك مندى فى ملك مندى فى طل عيش ناعم بنسيم أسحار تردى

وهذا وصف جميل. فني ليلة تراكم سحابها واشتد ظلامها ؛ سمع ضوت الرعد وتلاه البرق فكا نه زند أشعل نيران الحبوالغرام. وانتشرت الروائح الجميلة التي تفوق رائحة المسك ومر النسيم العليل يداعب الأغصانالتي كانت في نوم عميق ؛ فاستيقظت وأخذت تتمطى لتزيل عن نفسها آثار النوم . كا أن الأزهار طفقت تتثاءب وبدت مياه الجداول كأنها دروع نسجها النسيم العليل وأحكم نسجها حقا القدامترج الشاعر بالطبيعة وتفاعل معها لجاءت قصيدته صدى لما انطوت عليه جوانحه .

### وقال الصلاحي من قصيدة طُويلة :

ياطيب أنفاس الربيب ع فنى تنفسها عبير والجو مجمرة عليب ها من ضبابتها بخور وافت به رود بأسب رارى لها طرف خبير وسعت على طرق الجدا ول والنسيم لها سفير وطروس قامتها عليه ما من ضفائرها سطور ياطيب ما تملى الشعو روحسن مانقل الغدير ما ذاك إلا فرع ليه ل قد تبليج فيه نور والورق ساجعة لها من كل ناحية سمير والورق ساجعة لها من كل ناحية سمير والريح تعتنق الغصو ن بها فتعتبق الزهور وبدت شموس الراح تح ملها الكواكب والبدور

فقضيت منها ماقضيت توكان لى ولها أمور وضممتها عند الوداع وكل أنفاسى زفير وبكت عيون السح بحين تساقط الدمع الغزين تحتا متعا فتحلت ال أغصان منا والنحور

٠.٠ الخ

فالصلاحي قد مزج وصف الطبيعة بالغزل ،بل إنه تغزل في الطبيعة نفسها غزلا لطيفا يسيل رقة وعذوبة . ووصفه للطبيعة كما ترى يفيض بالحيوية و نرخر بالحركة والنشاط · فالجو معطر بأنفاس الربيـــــــم حتى كأنه يشبه مجمرة . البخور التي تفوح منها الروائح الشذية الجميلة . وهذه المجمرة قد حملتها إليه فتاة رائعة الحسن ، ومشت على حافات الجداول حتى وصلت إليه ، وقدسبقها النسيم مبشرا بقدومها بما يخمله من رائحتها الطيبة . وشعرها كأ نه الليــل في شدة سواده ، ووجههاالذي يظهر من خلال شعرها الأسويد كا أنه النورالذي يتبدى فى جنح الليل . وتحدث عن تغريدالطيور والحمر ومافعلته به ، ولقائه مع هذه الغادة ، وما جرى بينهما في ساعة الوداع حين انهمرت دموعه مع أنهمار الأمطار .

فإذا تركنا وصف الطبيعة إلى وصف الأشياء؛ وجدنا لشعراءهذاالعصر قصائد رائعة . مثال ذلك قول نور الدين العسيلي من شعراء القرن الحادي عشر يصف دولابا «ساقية »:

> ودولاب مرّرت به سحيرا يئن كائَّة الصب المروع، غدت أضلاعه تنعد سقها ويفني جسمه صب الدموع يدوركمن أضلالألف منه وذاق تشتت الشمل الجميع كساه الهم أثواب الخشوع

فقلت له فديتك من كئيب

فقد قربت لی حزناً بعیدا و نحانی نواحك عن هجوعی فقال: أما علمت بأن مثلى خليق بالصبابة وألولوع؟ فإنى كنت في روض رفيعا أبيت من الأزاهر في جموع ولى في المنتمى أعراق صدق أصول أنجبت أزكى فروع إذا ما الورد قابلني وحيا تضرج وجنتاه بالنجيم ويصفر البهار لدى ً خوفا كميفرة عاشق صب مروع وإن قصدت بنو الآداب ربعي أجود من النثار على الجميـع فقيضني الشقاء إلى غبي شديد البطش جبار قطوع فألقاني على رأسي صريما وأنت مشاهد حال الصريع وقطع لطف أوصالي بعنف وصاريدق عظمي في ضلوعي فصرت أرى الذي قد كان دوني أناف وصار ذا شأو رفيهم على قلبي أدور عناً وأبكى عليه أسى كمقلات هلوع فكيف ألام إن أدمنت نوحى وجدت بمدمع الطرف الهموع؟ وحالى ناصح أبناء جنسى فلا تعتمد بالجذع المنيم

علام أراك تبكى كل وقت وتهتف في المنازل والربوع ؟ فإن الدهر كالصياد كيدا وأسباب القضا شرك الوقوع

فهذه قصة لطيفة نظمها الشاعر في قصيدة رائعة مؤثرة ، تنتهى بمغزى مفيد، وعبرة نافعة وعظة بالغة • وانظر إلى هذه الصور الجميلة التي اشتملت عليها تلك القصيدة . فقد صور الشاعر الدولاب في صورة تزخر بالحيوية • صورة عاشق ولهان يتألم ويتوجع ويتأوه من ألم العشق وشدة الوجد ، وعنف الغرام ، حتى اعتل وساءت صحته ونحل جسمه ، فظهرت ضلوعه بحيث يمكن رؤيتها ، ويسهل عدها . وكاد جســده يفني من غزارة الدموع التي يسكبها، ومن الحزن الذي ألم به . وهو لا ينقطع عن الدوران كأنه يبحث عن حبيب فقده . ثم وقف الشاعر أمامه يسأله عن سبب بكائه الدائم ونواحه وعويله . وقال إن أنين الدولاب الحزين قد قرب إليه حزناً كان بعيدا عنه ، وأعاد إلى ذهنه ذكريات ألمية كان قد نسيها . وبذلك سبب له أرقا مستمرا ، وطرد النوم عن عينيه .

فرد عليه الدولاب شارحا أسباب نوحه وبكائه. فقال إن مثله جدير بالحزن والبكاء لأنه كان شجرة عظيمة في روضة غناء ، تحيط بها الأزهارمن كل جانب. إذا قابلها الورد حياها واحمر خجلا لرؤياها وإذا شاهدها البهار اصفر خوفا ورهبة . وإن ذهب إليها أهل الأدب أظلتهم بأغصابها المورقة ، ونثرت عليهم عمارها. فقيض لها سوء طالعها أحد الأشقياء الأغبياء الجبابرة فبطش بها بطشة كبرى ، وصرعها في غير رحمة ولا شفقة . واقتلمها مر خدورها وألقاها على الأرض ، وقطعها بمنتهى العنف ، فالذي كان في نظرها حقيرا ارتفع شأنه وعلا قدره ، وغدا عظيا إذا قورن بها في حالتها الزرية التي صارت إليها . فهي تدور وتبكي حزناً على نفسها ، ولا ينبغي أن يلومها إنسان إن هي سكبت الدموع مدرارا ، وختمت كلامها بإسداء النصيح أنبياء جنسها .

ومضمون النصيحة أنه لايجب أن يغتر الإنسان بنفسه ، ويعتقد أنه في مأمن من الدهروحوادثه ، والزمان وكوارثه . بل يجب أن يأخذ حذره على الدوام ، فالدهر كالصياد الذي ينتهز الفرص ليظفر بالفريسة ، والقضاء هو الشرك الذي يقع أفيه الإنسان . لقد وفق الشاعر في هذه القصيدة إلى حد بعيد ، وأجاد وأبدع .

### - ٢ -

## الغزل

لم يخل الإنسان في يوم من الآيام من عاطفة الحب للجنس الآخر. وقد امتاز الغزل في العصر العثماني بالرقة والسلاسة ، وانتشر انتشارا واسعا في الشعر الفصيح ، وفي الشعر العامي الذي يتمثل في الأغاني والموشحات والأزجال والمواويل. وإن الأغاني المصرية في ذلك الوقت كانت تدور كلها تقريبا حول الحبيب وبعده ، وهجره وصده ، وتمني لقائه ، والتحدث عن جمال عيونه ورموشه ، وقامته الممشوقة ، وخدوده الموردة . وكثيرا ما يمزجون الغزل بوصف الأزهار والأغصان ، والرياض والغياض ، والنسيم العليل والروائح الشذية ، والحديث عن الحمر . ويستعملون ضمير المذكر مع أنهم يتغزلون في الأنثى مثال ذلك قول الشبراوي :

فی مجلس من مافیه عیب سوی نمام عارضه و نفیحة ورده وتناثرت أزهاره لما رأی هذا الغزال محیحبا فی برده یاما أحیلی قده لما مشی فی مجلس تیها وجاد بوعده ودنا وأتحفنی وأطفأ لوعتی وشنی فؤادی من تابه بعده یا عاذلی دعنی فا قلبی معی أسلوه بل فی حکمه وبیده

فالشاعر هذا يصف اجتماعه مع حبيبته مستخدما ضمير المذكر. ويقول إنه في موضع بعيد عن الأنظار غير أن رائحة الحبيب الجميلة التي تفوح منه ، ووجهه المشرق الوضاء قد يدلان على مكانهما . ثم وصف ماشعر به من اللذة والنشوة حين أمضى مع هذه الغادة بعض الوقت ، وتصور العاذل أي اللائم في الحب يلومه في هواه ، فقال إنه لا يستطيع أن يتناسى حبه هذا ، لأنقلبه قد وقع أسيرا في يد المحبوب .

ويرجع انتشار حديث الحب في الشعر المصرى خلال العصر العثماني إلى عدة أمور :

١ — ميل المصريين إلى التفريج عن أنفسهم والتخفيف عن آلامهم الناتجة عن ظلم الحكام وقسوتهم . ولا شيء يفرج عن النفس أكثر من الحديث عن الحد واللقاء والعناق والتقييل وغير ذلك .

٢ -- ميل بعض المصريين إلى حياة الطرب واللهو، ولايتم ذلك إلا بذكر
 الحب والتغزل بجمال الإنسان وجمال الطبيعة .

٣ - ميلهم إلى إقامة الأفراح والموالد. وليس هناك ما يصلح للغناء في هذه المناسبات إلا أغانى الحب.

عن طبيعة الجو .
 عن طبيعة الجو .

وإنك لتجد العال المصريين ينومون بأشق الأعمال ، والعرق يتصبب من أجسامهم ، ومع ذلك ترتفع أصواتهم بترديد أغانى الحب ، وما ذلك إلا لرغبتهم فى التسرية عن أنفسهم ، وطرد الآلام التى تحل بهم .

وقد لاحظ بعض الغربيين أن الإباحية تختلط بالدين في شعرنا الغزلى ، الفصيح والعامى . قال إدوارد (۱) لين الذي زار مصر سنة ١٨٢٥ : « ولقد سمعت أغنية لم يؤذ سمعى مثلها في رخاوتها ورقاعتها . وفيها يصف عاشق مستهتر شعوره حين وقعت عيناه على فتاة جميلة فيقول : سبحان من صورك يا بدر . فهو يسبح الله ، ثم يمضى فيقذع في وصف مغامرته الغرامية . وقس على ذلك بقية أغابيهم . وفيا يلى أغنية عن الحب والحمر تعد مثالا خلط على ذلك بقية بالدين في الشعر العامى والشعر المنثور . ولما كان من عادة المصريين

<sup>(</sup>۱) إنجليري يتحدث عن مصر س ۸۱ وما بعدها .

استعال ضمير المذكر في أغانيهم العاطفية في الوقت الذي يخاطبون فيه الأنثى فقد عمدت في ترجمتي هذه الأغنية إلى الإنجليزية إلى استعال ضمير المؤنث بدلا من المذكر .وهذه هي الأغنية :

جاد بالوصال ، رشيق القوام
بعد 'بعده ودلاله ، بست اسنانه وخده
ورن الكاس في إيده ، وفاح المسك والعنبر ،
من اللى قوامه فاق غصن البان
فرش لى حبيبى فرش بالقصب
وقضيت الوقت في هنا موصول
ودلوقت اطلب من الله مولاى
يعفرنى ذنوبى وآثامى
وكل اللى قاله قلبى ، دى أعضائى تشهد على "
وكل ما يشتد كربى أنت يا ربى رجاكى
وأصلى على المخلوق الكريم ، اللى ضللت عليه الغمامه
وأسلى على المخلوق الكريم ، اللى ضللت عليه الغمامه
وحيشفع لنا يوم القيامه

قال إدوارد لين ﴿ وقد دخل على أحد أصدقائى وأنا أدون هـنه الملاحظات ، فقرأت عليه هذه الفقرات من الأغنية ، وسألته : هل يعتقد أنه من اللائق أن يجمع بين الدين والعربدة على هذه الصورة ؟ فأجاب قائلا: لا غضاضة مطلقاً . هذا رحل يحكى كيف اقترف إنما ثم يسأل الله العفو والمغفرة ويصلى على نبيه . فقلت : ولكن هذه أغنية كتبت لكى يتغنى والمغفرة ويصلى على نبيه . فقلت : ولكن هذه أغنية كتبت لكى يتغنى مها أناس يقترفون المنكر وما حرمه الله . انظر معى هنا : إننى إذا أغلقت صفحات الكتاب هكذا فإن الجزء منها الذي كتب فيه كيف ارتكب الرجل خطيئته سوف يلتصق وجهالوجه بذلك الذي كتب فيه اسم الله و بذلك يعلو ارتكاب الخطيئة على طلب المففرة » .

 فأجاب صديق قائلا: هذا هراء: اقلب الكتاب فاجعل أسفله أعلاه من ذلك الجانب، وحينذاك ينقلب الوضع فيصبح الاستغفار فوق الخطيئة ويعلو عليها . والله تعالى يقول : قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إذالله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هوالغفورالرحيم » .

وأنا لا أرى ما رآه إدوارد لين من اختلاط الإباحية بالدين في هذه الأغاني . والأصبح أن يقال إن الإنسان ينطوى على جانب روحاني ، وآخر حيواني . فإذا أراد الجانب الحيواني أن يظهر ويتغلب على الإنسان قاومه الجانب الروحاني ، وهنا نرى النزاع النفسي بين الجانبين . وحين ينتصر ` الجانب الروحاني يكون مصحوباً بالشعور بالذنب والندم على ما فرط من الإثم ، والرغبة في الرجوع إلى الله . يتضم ذلك مما جاء في الأغنية المتقدمة الجانب الحيواني مجراه الطبيعي شعر الإنسان بالندم فرجع إلى الله تائباً مستغفراً ، معترفاً بذنبه وضعفه . ومن الأمثال الشائعة بيننا «ساعة لقلبك وساعة لربك ، فني ساعة القلب يفرج المصرى عن نفسه بالتحدث عن النساء الجميلات . وما زالت أغاني الحب هي السائدة في عصرنا ، وهي التي يقبل الناس على سماعها

وانتشار الشعر الغزلي في العصر العثماني يشبه في أيامنا انتشار الروايات التي تدور حول الحب ، والقصص التي تتناول المشق . ومن لطيف الشمر الغزلي قول عبد الله الشيراوي :

منتهى الآمال عندى أهيف وجفون زانها ذاك السواد إن ذنبي عند مرن يعذلني يا أهيل العشق هل من منجد ما احتيالي في الهوى ؟ مَا عملي ؟

ودلال قــد نفي عنى الرقاد أن قلى في الهوى لو 'رّد عاد هل سلاالأحباب ذو وجد وساد؟ ليس لي إلا على الله اعتماد واختلاف وشقاق وعناد كلما قلت جفاه زال زاد فاعلموا أني راض بالفساد فدعوني لست أرضى بالرشاد صرت فيه ممثلة بين العباد

بين جفني والكري معترك فتنتى ظبى ظريف أهيف إن يكن عشقي له أفسدني ورشادی إن يكن فی ســـلوتی هو قصدی لست أسلوه و إن

فني هذه القصيدة نلاحظ المهولة في التعبير . ويقول الشيراوي إن كان. حبه ضرباً من الفساد فهو مرتاح إليه ، راض بأن ينظم في صفوف المفسُّدين ، ولا يرضى أن ينظم في سلك الراشدين المهتدين إن كان رشاده في ترك الحب.

## وله من قصيدة :

وأن الهوى أحلى نميا وأعــذب

وأصبو إلى الوجه الجميل إذا بدا وأسخط من ذكر السلو" وأغضب وعشق القدود الهيف عندى عقيدة وطبع عليه قمد ربيت ومذهب قضى الله أن الحب أعلى فضيلة

ويذكر الشبراوى فى شعره أنه عالم بفنون الفرام ، وأن علمه قائم على التجربة والاختبار . ويدعو الناس إلى أن يتلقوا عنه هذه الفنون دون سواه، فهو الخبير بها ، العالم بأسرارها . ويقول إن الحب في المرتبة العليا من مهاتب الفضيلة . وهو أحلى النعم وأعذبها وأجملها مذاقاً . وقد وقف قلبه على أرباب الجمال وأهل الحسن والفتنة . والهيام بالقامة الممشوقة والخصر النحيل دينه الذي يعتقده وسجيته التي نشأ عليها . فهو والحالة هذه يعبد الجمال ويهيم بالحسن حيث وجده . ويقول إنه اتخذ الحب دينه ، وموته في سبيل الحب مذهبه:

ألا إن ديني فاعلموه هو الهوى وموتى شهيداً في الصبابة مذهبي وقد وصف اجتماعاً له مع إحدى عشيقاته فقال:

عانقتـه فاسودت المقـل التي هي بلوتي واحمرت الوَجَـنات

وضممت قامته غلت كأنها قد عجلت لذاتها الجنات ياقلب إن زعم العواذل أنه في الحسن يوجد مثله قل هاتوا مازلت أجنى من لذيذ خطابه تحفا لها من طيبه نفحات وبلغت قصدى حيث جاء لمنزلي هذا الغزال ورقت الأوقات ودنا يودعني فلا وأبيك ما بقيت لدى التوديع في حياة

فهو يذكر ماجرى في هذا الاجتماع من الضم والعناق والتقبيل في شعر يكاد يلتهب بالعاطفة ، وأسلوب يسيل رقة وعذوبة .

\* \* \*

وقال يوسف الحفناوى ، وكان من شعراء الأمير كتخدا رضوان ، ملا الفؤاد هوى ووجدا رشأ لعينى السهد أهدى مترضح الأعطاف قد نشر الجمال عليه بُردا يختسال في حلل الدلا ل فيزدرى بالبان قدا ريم سسلاف حديثه أشهى من الصهباء وردا لدن القوام لقده الما أغصان تسجد إن تبدسي يرنو فيلعب بالنهى ويسومها بالفتك بُجهدا يرنو فيلعب بالنهى ويسومها بالفتك بُجهدا ملك غدت لجمال طلا عته ملاح العصر جندا بمجفونه النعس المرا ض لقتل مغرمه تصدى وسيوف ولخطيه اتخذ ن جوانح العشاق غمدا وسيوف وسيوف والخطيه اتخذ ن جوانح العشاق غمدا

وليوسف الحفناوى غزل كثير من هـذا النوع · وكله سهل العبارة ، مليم الأسلوب ، جميل الصياغة . حقا إن المعانى الواردة في هذه الأبيات

متداولة ومعروفة ، ولكن الشاءر استطاع أن يجيىء بها فى شعر موسيقى . مرقص مطرب فبدت كأنها جديدة .

وقال عبد الله الإدكاوى المتوفى سنة ١١٨٧هـ

عذاره لما بدا كالآس في الروض استقر سبى الرجال مثلما سبى لربات الحجر رأينسه أكبرنه وهو لهن قد بهر وقد قطعن أيديا وقلن ما هذا بشر وخده لما احتسى من كل من له نظر أرخى العذار ساترا وردا وحينا قد ظهر وظن ذاك مانعا فصار يخطف بالبصر في مصرأضحي مفردا جماله قد اشتهر

وهذا غزل بالمذكر . وفيه يشبه المحبوب بيوسف الصديق في روعة جماله . ويقول إنه أسر قلوب الرجال والنساء . ثم نظر إلى قصة يوسف الصديق ، وما جاء فيها من أنه لما دخل على النسوة أكبرته وقطعن أيديهن وقلن ماهذا بشر ، إن هذا إلا ملك كريم . وقد حافظ على الموسيقي الشعرية مع مافي هذه الأبيات من الاقتباس ، وهذا يدل على البراعة الفنية والملكة الشعرية . وقال :

ياشادنا ما أصيده عقولنا والأفئده ويارشا قوامه إذا انثنى ما أميده ومصلتا من لحظه على الورى مهنده ومصليا حشاشتى جمر اشتياق أوقده وباعثا لمهجتى سهامه المسدده وساترا صبح البها بالطرة المجعده

وسالبا منى النهى بالوجنة الموردة وساحرا بجفنه هاروت رأس الفسده

٤١ ...

ولم يكن الإدكاوى عاشقا لشخص معين ، وإنما كان كغيره من شعراء. عصره يعجب بالحسن ويفتن بالجمال • ثم يصور مشاعره وأحاسيسه في هذه. القصائد الرقيقة ذات الطابع الموسيقي الجميل •

وانظر إلى قول السبربائي المتوفى سنة ١٢١٠هـ

قد كنت فيا مر من أيامى مولما بالحب والغرام أهوى مليح القد والقوام ومن لماه العذب كالمدام وخده الوردى مثل الجمر

وأعشق الظبى الأغن الأغيد من قده مثل الغصون أميد ووجهه له الملوك سجد إذا رأته الأسد خوفا ترعد من لحظه وما حوى من سحر

لاسيا من كان في دلاله كيوسف الصديق في جماله أوغصن بان ماس في اعتداله أو بدر تم لاح في كماله في أربع بالشهر بعد العشر

وأشتهى مليحة الطباع جميلة الأخلاق والأوضاع ونزهة الأبصار والأسماع من كل فى أوصافها يراعى وحسنها قد حارفيه فكرى

كحيلة العينين كالحوراء إذا تثنت حار فيهـا الرائي حديثها أشهى من الصهباء إلى النفوس أو زلال الماء عند الهجير في اشتداد الحر

فالسبربائي في هذه المزدوجة الطويلة يذكر لنا ماكان عليه في أيام صماه من التهافت على ربات الحسن والجمال ، وماحدث له من هجر ووصل ٠ ويتحدث عن الأوقات السعيدة التي قضاها مع المحبوب بين الرياض في ظل الأشجار، وبالقرب من جداول الماء حيث النسيم العليل، والهواء البليل، والورد والياسمين ، ويعترف بأنه ارتكب المعاصى وغرق في بحار الشهوات .

### قال:

وكم إلى العصيان قد سارعت ولارتكاب الإثم قد بادرت وخالقي بالذنب قد بارزت وسيدى لأمره خالفت وقد نسيت وحشتي في قبري

### وقال الخشاب:

طرفى عليك عيل السهد مكتحل شوقا إليك وفيك الدمع منهمل أبيت ليلى سمير النجم أرقبه لاذقت بثى وجنح الليل منسدل تالله تالله قد أوهى الهوى جلدى وعيل صبرى وازدادت بي العلل لا كان يوم النوى، لاحان موعده يوم تسير به روحي وترتحل واحر قلباه ممن أشتكيه ومن حر الفراق ومن عينيك مافعلوا ومن لواعج أشواق أعالجها يضرمن في مهجتي نارا فتشتعل ملكت قلبي ولبي قد سلبت فلا فارفق بصن مشوق ذاب فيك أسى وامنن بلثمي خدا صين عن نظر فأنت مجلى سروري ياجلا نظري وأنت دائي دوائي بغيتي الأمل

رأ أراه ولاحول ولاحيل وكاديغشاه من وشك النوى الخبل لم تدن منه ولا من طيفه القبل قد سد باب اصطباری و ارتحات به فلست أسلوك حتى ينقضي الأجل (م ه ١ - الأدب المصرى)

وهذه القصيدة تنبض بعاطفة الحب الصادق. ويقسم الخشاب بأن الحب قد أضعفه وأسقمه وذهب بصبره. ويعبر عن آلامه وأحزا الهلافتراب موعد رحيل هذا المحبوب ويقول إن روحه هي التي سترحل عنه في هذا اليوم المشئوم، وأن نيران الحب ستزداد اشتعالا بين جوانحه، لأن المحبوب قد ملك عقله ولبه، ولا يرجى له شفاء مما به من الآلام والأسقام ولم تبق عنده قوة ولا إرادة ويطلب من المحبوب أن يجود عليه بقبلة فهو مظهر سروره وشفاء عينه و

وقد ذكر الجبرتى فى ترجمة الخشاب أنه فى زمن الاحتلال الفرنسى عشق شاباً من شبان الفرنسيين ، كان جميل الصورة ، لطيفا ، دمث الأخلاق ، ملما ببعض العلوم العربية ، مغرماً بالأدب العربى ، يجيد التحدث باللسان العربى، حافظا لكثير من الشعر ، فوجد كل منهما فى صاحبه تجانسا و توافقا ، فال كل منهما إلى الآخر ، ووقع بينهما حب شديد حتى كان لا يقدر أحدهما على فراق صاحبه ، واسم هذا الشاب « ريج » ومن قول الخشاب فى الغزل مهذا الشاب .

يهتز كالغصن ماس معتدلا أطلع بدرا عليه قد سدلا غيهب

يزرى بسمر الرماح إن خطرا ساحر جفن لمهجتى سحرا علم عينى البكاء والسهرا فكيف أبغى بحبه بدلا وليس لى عنه جار أو عدلا وجرى شعراء هذا العصر على سنة القدماء في الجمع بين الغزل ووصف · الحَمْر والدعوة إلى شرابها ، وذكر الغناء والطرب مثال ذلك قول الخشاب :

> أدريى في الربا القدحا وكن للعذل مطرحا ونبه صاح ساقيها فضوء الصبيح قدوضحا وثغر الزهر مبتسم وشادى الورق قد صدحا وخذها من يدى رشا مليح قد حوى ملحا غزال إن يليح للبدر أوغص ن النقا افتضحا وقبل فاه مرتشفا مداما تجلب الفرحا

> > . . . . الخ

. و قوله :

أدر السلاف على صدى الألحان ودع المذول بجهله يليحاني واستجل بكر الراح في ظل الر بي بين الرياض تزف والعيدان شمس لها من فوق خد مديرها شفق الصباح إذا بداالفيجران نور ولكن مهن سنا لألائها في الحد نار فؤادي الولهان

٠٠٠ اليخ

ورليس هنا مايدعو إلى الظن بأن هذا الشمركاه الذي قيل فىالغزلوالخمر والغناء واللهو ، والأنس والطرب ، هو من باب التقليد ، وبخاصة إذا علمنا أَنْ عناصر هذا الشعركانت موجودة في حياتهم الواقعية. فالخمارات متوفرة وكذلك الرياض والجمال الإنساني • أما من حيث أسلوب هذا الشعر فيمتاز بالسهولة والوضوح ، والطابع الموسيقي الجميل •

### ٣

## الإخوانيات

كان الأدباء والشعراء في هذا العصر يجتمعون في ندوات ليلية في منزل. أحدهم أو في منازل بعض الأعيان والأمراء . ويتسامرون وينشدون. للقطعات ، ويروون النوادر والنكات . وقد زخرت كتب التراجم بأخبار هذه المجالس . فذكر الجبرتي مثلا في ترجمة قاسم بن عطاء الله المصرى المتوفى سنة ١٢٠٤ هما نصه د واجتمع يوماً في مجلس به جماعة من الأدباء كالشيخ عمد بن الصلاحي ، والشيخ عامر الزرقاني . وكان الوقت مطيراً ، وقد جادت السماء فأعطت من قطر السحاب درا وعبيراً . فقال ابن الصلاحي مرتجلا :

لقدومكم ضحيك الغمام فعيلم العين البكاء ما ذاك إلا أنه لنوال كفك قد حكى فقال المترجم في الحال:

أفديك بالعينين يا نجل الصلاح مع الذكا هطل الغمام كأنه لعزيز جاهك قد شكا

وكان المترجم في مجلس من الأدباء ، فكتب إلى ابن الصلاحي يستدعيه لذلك المجلس ما نصه :

مولای یا نجل الصلاحی فُدیت مینا بالنواظرا امنن وصحیت جمعنا بجمیل ذاتک والمآثن و الحات الاکابر و اذا حضرت تفضیل فالطف عادات الاکابر نثر الفهام علی السربی من فیضه دیم الجواهر و نرید نحظی عند نظ قل بالفرائد والازاهر.

فكتب ابن الصلاحي مرتجلا قبل مضوره:

وكيف ودر القُطر در مبدد ونظمكو عقد من الروض مثمر

أتمانى وذيل الأنجم الــُزهـُـر يعثر وكفُّ الثريا للفراقد يســـتر وقد نثر الدر المنظم فازدرى عما كان من درّ السحائب يقطر فرك شوقاً كان من قبل في الحشا كميناً لأن الشيء بالشيء يذكر ٠. . . . . الخ

وكتب عبد الله الإدكاوي إلى مرتضى الزبيدي :

فذاك 'جل" مرام الخِل منك فلا بحت تسخو لمن يرجو بلا سبب

حسُبِّحت َ بالخير يا من لا شبيه له في العلم والحلم والإفضال والكتب يا منتهى أمل اللاجي ومنتجع الراً حبى وأكرم مسئول ومنتكب ها خِدُّك الصادق الود المحب غدا له اشتياق إلى لقيال يا أربي . فإن مننت به فهو المُـــــنى وإذا عاق القضاء ِ فأمر غــير مجتلب هذا وقد جاءني صبحاً بلا مهل رب النهاية(١) يبغيها مع إاطلب أمًا وأمَّا فيارب البراعدة يا معنى البلاغة يا روض الندَى آلخَصب عجل بإرسالها فضلا وتكرمة وإن صحبت بها شيئاً من الذهب

فآجابه مرتضى الزبيدى بقوله:

ربَّ النهاية يا روض العلا الخَــُصِـبِ أتى كتابك كالدر النظيم حسلا على نحور الحسان البيض بالحبب قَراشَ كسرى بجبر منك أعهده في الحالتين ومعنى ذاك غير خَسى عاق القضاء من الإيفاء ما وعدت من الدراهم في عُلف مع السبب رب البلاغة قل رب النهاية إن 

لا زلت في تسنّن الإفضال والأدب یری اصطباری فإنی فیه ذا طلب غال على" وهذا عذر ذي أرب

<sup>(</sup>١) يريد كتاب نهاية الأرب التلقشندى .

إن شاء ربى فإنى ما تيسّر لى ندفع له ثمنكًا يرضى بلا تعب. أمًا وأمًّا فهذا سر" نكتته فلا برحت ترينا الدر بالذهب باعی قصیر ونظمی لا ُیرَی ثمناً فاستر حباك إله العرش بالرَّحَـب

فن هذا وغيره ندرك أن الشعر استخدم بكثرة في هذا العصر ليقوم مقام النثر في الإخوانيات . فاستخدم في الدعوة إلى المجالس والسهرات ت كما استخدم في المطالبة بالحقوق والإجازات العلمية وتقريظ الكتب. فمن أمثلة تقريظ الكتب قول الظهوري المتوفي سنة ١٢١١ ه :

لله درّك من بليغ ماهر جمع الماني في بديع كتابه سحر العقول بلفظه وبنطقه وأُبان في معناه عن أنسابه كَلِم كنظم العقد يحسن تحته معناه حسن الماء تحت حبايه أعددت للبلغاء تأليفاً غدا في فنه يسيمو على أترابه وأراك نلت من الحجا حظاً غدا لا يستطاع وصوله من بابه أوفْت بك الهمم العلية منزلا مستصعباً صعباً على خُـطَّابه والله يرعى سرح كل فضيلة حتى يروّجـــه على أدبابه ألبست عصرك من بيانك حُـلة فشي اختيالا في بها أثوابه

٠. . . . الخ

وامتاز شعر الإخوانيات كما ترى بالسهولة والعذوية ، والبعد عن. التكلف. وكانوا في هذا النوع من الشعر يحتذون أسلوب الرسائل النثرية. مثال ذلك قول محمد البكري المتوفى سنة ٩٩٤ ه :

يقبّل موطىء النعل الكريم ويخدم 'سدّة القدر العظيم ويسأل ربه عوداً قريباً لرؤية ذلك الوجه الوسيم 判 . . . . .

2

## التوسيل

التوسل من أغراض الشعر التي عرفت قبل العصر العثماني . وفي هذا العصر نظم الشعراء القصائد في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وطلب الشفاعة منه . وكانوا يمزجون التوسل بالمديح النبوى . مثالُ ذلك قول الشبراوي من قصيدة طويلة :

رسولَ الله ضاق بي الفضاء وجل الخطب وانقطع الإخاء رسول الله إنى مستجــير وبي وجل شديد من ذنوبي وما أدرى أعَـفُو أم جزاء وماكانت ذنوبى عن عناد ولكن بالقضا غلب الشقاء وظنى فيك ياطه جميل ومنك الجود يُعهد والسخاء وحاشى أن أرى ضياً وذلا ولى نسب بمدحك واتباء وأنت أجل من ركب المطايا وشيمتك السماحـة والحيـاء وكم لك يا رسول الله فضل تضيق الأرض عنه والساء و أَقَلْنِي من ذنوب أَثقلتني فأنت لعلَّتي نعم الدواء وخذ بیدی فإنی عبد سوء علی کسب الذنوب له اجتراء وكن لى شافعاً في يوم حشر إذا ما اشتد بالناس البلاء

بجاهك والزمان له اعتداء

فالشبراوي يذكر ذنوبه التي ارتكبها ، ويشكون من الزمان والناس ، ويقول إن الدنيا ضافت في وجهه ، وأن الشقاء قد غلب عليه . ثم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم بقوله إنه أعظم الناس طراً . ويعرب عن أمله في أن يظفر بشفاعته ، ويلتمس من النبي أن يقيله من ذنوبه الكثيرة التي أثقلت كاهله واعترف بأنه عبد سوء، وأنه كانجريئًا في ارتكاب المعاصي . وللشبراوي عدة قصائد في هذا الموضوع ، وكلها تدورحول للعاني المتقدمة.

وقال محمد البكري من قصيدة طويلة في مدمح النبي عليه السلام ، والتوسل به :

له مولاه قـــد قرّب ً فعنه قبط لا يحجب بمدحته وإن أطنب فإنى ضاق بى المذهب ومن لی فی الوری پنسب وخلِّمني وخمتَّمني بسر" منك لا يسلب وإلا من له أذهب فن تنصره لا يغلب بك استشفعت فاشفع لى فين ذنبي لك المهرب

ألا ياخير مبعدوث ومنن بالعيين أبصره ويا من لا يغي شــخص أقدلني عشرة عظمت وكن لى 'ثم أولادى أغث ياسيدى لَمَسنى ىك استنصرت فانصرنى

وتمتاز هذه القصيدة بالسهولة والوضوح والموسيقية الجميلة، وصدق العاطفة .

وقد كثر في هذا العصرالتوسل بيعض أصحاب الأضرحة من آل النيت . وكانت تساحات الموالد مجمعاً للشعراء يفدون علمها من كل صوب ، وينشدون قصائدهم في مدح صاحب المولد والاستفائة به ، والتوسل إلى الله به . ويمكننا أن نقول إنالشعراء جميعاً قد اشتركوا فيالمعاني والآراء أو الأفكار · فهم يذكرون ما يعانون من الضيق ، ومن نكد الدهر ، وقلة النصير ، وانعدام المعين . ويلتمسون من صاحب الضريح أن يأخذ البيدهم '، وأن يشملهم بعطفه و بره . مثال ذلك قول الشبراوي متوسلًا بالحسين :

يا ابن الرسول بأمك الزهرا البتو ل وجدك المأمول عند الناس وشقيقك الحسن الشهيد المرتضى الطاهر الأخلاق والأنفاس وبحق حرمة جدك المبعوث من أزكى المناصر رحمة للناس الحب أسسها أشد أساس عولت في الإقمال والإيناس بكريم أخلاق وطيب غراس إصباح أو يدعوك في الإغلاس من غاسق يسطو ومن خـــنّناس أَذِكَى الورى خُلُقاً وأنداهم يداً وأعزهم شرفاً بلا إلباس منك السّرضا والأمن بعدالياس

عطفاً على" فإن لى بك نسبة وعليك بعــد الله ثم نبيــه فلقد خصصت وأنتأشرف سمد حاشي يخيب مؤمل يرجوك في الـ یا رب غوثاً بالذی عــوذته أدعوك ياخير الأنام مؤملا

وتمتاز قصائد التوسل بصدق العاطفة ، وتدفق المشاعر ، وتوفر الإحساس . وهذه هي عناصر الإجادة في الشمر . فسلامة الآراء أو فسادها لا يقدم ولا يؤخر ، وإنما العامل الأول والأخير هو الإحساس الذي يعمر عنه هذا الشعر والعواطف التي يترجم لها . ولا شك في أن التكلف لا وجود له في هذا الميدان ، لأن الشعراء كانوا يؤمنون عما يقولون ، وكانوا يعتقدون أن هذه القصائد التي ينظمونها في التوسل تعود عليهم بالخير العميم ، والنفع الجزيل. وكانوا يذهبون إلى الأضرحة وينشدون قصائدهم أمامها في ذلة وخشوع وخضوع ، معتقْدين أن أصحاب الأضرحة يسمعونهم ، راجين أن تتحقق آمالهم ببركة هؤلاء الأولياء ، وتستجاب دعواتهم .

وفي كثير من هذه القصائد تمجد الشاعر يذكر بإسهاب ما يلاقيه من الجحود والإنكار، والنسيان والإهال. انظر إلى الإدكاوي حين يقول من قصيدة طويلة في مدح السيدة نفيسة والتوسل بها:

> فبحق جدك ياحسد بة لى فكوني منحده أَشَكُو إليك زمان سو ء صرت فيه على حده

لا مسعف لا منصف لا ماجد يولى يده كل على أمواله أقفال شيح مرصده بل كل دينار علي بحصون حرص موصده (۱) لا يسمحون بها سوى في ظلم أو في مفسده لا يصنعون يدا تكو ن لدى الإله مخلده ما وفق الرحمن من بم باخلا أو اسدده (۲) بل من رأى منهم طري قا للمكارم سدده (۱)

### . . . اليخ

فالإدكاوى صور لنا فى هذه القصيدة موقف الناس منه ، وما كابده بسبب ذلك من ضيق و نكد ، وغم وبؤس . وقد كرر هذه الصورة فى قصائد أخرى . فالشعر الذى نظم فى هذا الفرض يعطينا فى كثير منه فكرة واضحة عن حياة الشاعر الخاصة .

<sup>(</sup>١) موصدة : مقعلة (٢) سدده : أرشده (٣) سدده : أغلقه .

# البائب إزابع بعض مشاهير الشعراء

١

عبد الله الشبراوي (١٦

A1411 - 1.47

هو عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين الشبراوى الشافعنى ٤ الإمام الفقيه المحدث للتكلم الماهر ، الشاعر الأديب . نشأ فى بيت علم ودرس على شيوح عصره ، ومال إلى نظم الشعر منذ صباه . وقد ورث ثروة طائلة عن والده فبنى لنفسه قصرا نفها بالقرب من مسجد الرويعي . ومن . آثاره الأدبية :

١ -- الإتحاف بحب الأشراف . مطبوع

٢ - شرح الصدر في غزوة بدر ، ألفه بإشارة على باشا الحكيم ،
 وذكر في آخره نبذة من تاريخ مصر وأسماء ولاتها إلى عصره . وطبوع
 ٣ - منائح الألطاف في مدائح الأشراف، وهو ديوان شدره . مطبوع

\* \* \*

وقد تكلمنا على الشبراوى فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب ودرسنا بعض قصائده . والأغراض التى تناولها الشبراوى فى شعره هى :

<sup>(</sup>١) ترجم له الجبرتى ١ / ٢٠٨ طبع بولاق .

ا \_ الغزل : ويمتاز بالرقة والسهولة وصدق العاطفة · وقد ذكرنا فيما مضى أن الشبراوى لم يعشق شخصا معيناً ، وإنماكان يعشق الجمال حيثما وجده؛ في الإنسان أو الطبيعة · ومزج الغزل بوصف الطبيعة .

٢ ــ المدح : كان الشبراوى متصلا اتصالا وثيقاً بالولاة ، يحضر مجالسهم
 ويخصونه بهداياهم ، فلهيج بمدحهم ، كما مدح بعض الأشراف .

٣ ــ المديح النبوى • وقد ذهب الشاعر لأداء فريضة الحج سنة ١١٣١هـ ونظم بعض القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وأنشدها أمام ضريحه

٤ - التوسل ببعض أصحاب الأضرحة من آل البيت •

٥ \_ الشعر الغنائي : وله موشحات وأبيات اشتهرت بين المغنين في عصره

٦ ـ الوصف : وله قصائد في وصف نهر النيل والخليج المصرى ٠

章 辩 《

وفى سنة ١١٢٧ه أسندت إليه مشيخة الأزهر . قال الجبرتي ( وقد بلع منزلة رفيعة عند رجال الدولة والأمراء ، ونفذت كلمته ، وقبلت شفاعته ، وصار لأهل العلم فى عهده رفعة ومقام ، ومهابة عند الخاص والعام »

وكان محسناً إلى الشعراء والأدباء، فلذلك أحبوه ومدحوه • فمدحة عبد الله الإدكاوي بقصيدة جاء فيها:

حاوى الفيخار جملة مجموعه ومفرده إن ذكروا وصف الكما ل كان فيه أوحده أوذكروا حسن الوفا فمثله لن نعهده أو دقة الفهم فقل أدرك منها مقصده

. . . اليخ

وكان الشاعر عامر الأنبوطي إذا جاء إلى القاهرة نزل في ضيافته فيحبوه بكرمه وعطفه ، وإحسانه وبره . ومات فى العاشر من ذى الحجة سنة ١٧١ه ورثاه الشعراء ، فمن ذلك قول الإدكاوى :

عين جودى بمدمع مسفوح واندبى أوحد الزمان ونوحى

# ۲ عبد<sup>(۱)</sup> الله الإدكاوى

3.11 - 3X11A

هو عبد الله بن عبد الله بن سلامة الإدكاوى المصرى الشافعي. الشهير بالمؤذن .

ولد بقرية إدكو بقرب رشيد سنة ١١٠٤ه وبها حفظ القرآن. ثمانتقل إلى القاهرة والتحق بالجامع الأزهر ودرس على شيوخ عصره، وظهر ميله إلى الأدب.

وانضم إلى حاشية الأمير عُمان بك ذى الفقار ، وصار من أخص أتباعه ولما ثار الجند وأبعدوه إلى خارج البلاد ؛ آواه السيد عبد الخالق بن وفا .

قال الإدكاوى فى ديوانه (وقلت مادحا جُمَع الأفضال وأوحد أهل. السكال سيدى عبد الخالق بن وفا ، أدام الله له الاصطفا ، وله موقع ينبغى التنبيه عليه ، وتحسن الإشارة إليه ، فيه أكبر دلالة على ولاية الممدوح ، وأنه بلاشك من عين العناية ريان ممنوح، وهو أنى كنت من اللاجئين لحضرة عثمان بك ذى الفقار ، والملارمين له غالب الليل والنهار ، فقامت عليه الأجناد، وأخرجوه من البلاد ، فصل حينئذ الضرر لكل من لاذ به ، وتعلق بسببه

<sup>(</sup>١) الجبرني ١/٢٥٣

فصادفت حضرة الممدوح في بيت رجل من الأعيان ومعه إنسان يوصى عليه رب ذلك المكان ، فأوصى عليه وأكد وقال : هذا رجل يقوم عندى مقام الولد . فالتفت إليه وقبلت يديه وقلت له : وص بى يامولاى ذلك المخدوم لأكون من رعايته غير محروم - فكان جواب ذلك الإمام الملحوظ أن قال لى: أنت بحمد الله محفوظ ، فوقعت عندى كلمته هذه موقع الإيجاء ، واطها أننت من سائر الأنحاء ؛ وانقضت تلك الفتنة ، ولم يخصل لى منها بلطف الله شىء من تلك المحنة ، حينتذ مدحته بهذه القصيدة ، وذكرت بها اللفظة المفيدة ) ومما جاء فيها قوله :

من نحاه دام فى حفظ وأمن كرب تعيى أخا العزم وتضنى صفة ثابتة فى كل ذهن لهمو التصريف فى 'حر وقبن

هو عبد الخالق المولى الذى قطب ذا العصر الذى تجلى به فطب ذا العصر الذى تجلى به نجل سادات همو أهل الوفا هم ملوك الأرض سادات الورى النخ

وذكر الجبرتى فى ترجمة الإدكاوى مانصه ( • • وظهر ميله إلى الأدب فانضوى إلى فخر الأدباء فى عصره السيد على أفندى برهان زاده نقيب السادة الأشراف ، الذى أسبغ عليه كرمه ، ورتب له ما يكفيه فى معيشته ، وحج بصحبته بيت الله الحرام ، وزار قبر نبيه عليه الصلاة والسلام ، وذلك سنة ١١٤٧ه وعاد إلى مصر ، وأقبل على تحصيل الأدب ، ونظم ونثر ، ومهر وبهر ورحل إلى رشيد وفوه والإسكندرية مرارا ، واجتمع بأعيان كل منها ، وطارحهم ومدحهم >

وبعد وفاة السيد النقيب تزوج وصار صاحب عيال، وتنقلت به الأحوال وشعر بالألم لفقد النقيب الذي كان له معينا في حياته •

ولما ضاقت فى وجهه السبل لجأ إلى الشيخ السُبراوى ولازمه وقام بخدمته ومدحه بغرر قصائده • وكان الشبراوى يعترف بقضل الإدكاوى ويحترمه •

ولما توفي الشبراوي سنة ١١٧١هـ انتقل إلى شيخ وقته الشمس الحفني ولازمه في حله وترحاله ومدحه بشعره . وقد رتب له الحقني ما يغنيه

وبعد وفاة الحفني اضمحل حاله، وعاني البؤسوالفقر، واعترته الأمراض ولزم داره مدة أيام حتى وافاه الحمام سنة ١١٨٤ه وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بالمجاورين

وكان خطاطا ماهرا ، وقد اشتغل في أواخر حياته بنسخ الكتب للأمراء والوزراء والأعيان وكلفه مرتضي الزبيدي بنسخ بعض الكتب

واتصل مدة من الزمن بالأميركتخدا رضوان الجلني ومدحه شعراً ونثرا وقد تأثر ببيئة الأزبكية الماجنة الخليعة فنظم شعرا كثيرا في الخلاعة والمجون • ومن قوله وقد أخرج من فمه دما وتحركت عليه الصفراء

جنیت علی نفسی جنایة جاهل لظنی أن الجهل فیه سرورها طغت عندى الحمرا فين صرفتها تمردت الصفرا وزاد شرورها فأخرجها شيئا فشيئا ملاطفا إلى أن خبت نيرانها وزفيرها البيضا معاتبة على تعديهما جهلا وزاد نفورها

وقال يصف ما وصل إليه من سوء الحال:

وأما الأرز نعرفه ولكن له عنا انحراف واعوجاج وأما السمن سمناه ودادا فقال وداد مثلكمو خداج وأما البيت عنه لا تسلني فبومته لها دوما هياج بأكلى أو حماري أو قطاطي فأهرب خائفا وبي اعتلاج

وقد اجتمع بأعلام الأدباء والشعراء الذين وفدوا على مصر ' ومدح الولاة والحكام والوزراء والأمراء الذين عاصرهم ونال جوائزهم، ولعله كان مسرفا متلافا، فقد مات فقيرا ، ومن آثاره الأدبية التي ذكرها الجبرتي : ١ -- الدرة الفريدة والمنح الربانية في تفسير آيات الحكم العرفانية .

٢ - مختصر شرح بانت سعاد .

٣ - الفوائح الجنانية فى المدائح الرضوانية . جمع فيه قصائد الشعراء الذين مدحوا الأمير رضوان . ثم أورد فى خاتمتها ماله من المدائح فيه نظماً و نثراً . منه نسخة خطية بدار الكتب .

٤ - هداية المتوهمين في كذب النجمين .

ديوان شعره ، المسمى « بضاعة الأريب فى شعر الغريب ، وهو عجلد ضخم ، منه نسخة خطية بمكتبة سؤهاج . كما أن الجامعة العربية نقلت ، غنها شريطاً .

والإدكاوى من أغزر شعراء عصره نتاجاً . وهو شاعر مجيد إذا طرح. التكلف جانباً وترك نفسه على سجيتها .

٣

## ابن الصلاحي(١)

114. -- 112.

هو العالم الأديب الماهر ، الناظم الناثر ، محمد بن رضوان السيوطى ، الشهير بابن الصلاحى . ولد بأسيوط على رأس الأربعين كما ذكر الجبرتى ، ونشأ هناك . وأمه شريفة من بيت شهير بأسيوط . ولما ترعرع جاء إلى القاهرة وحصل العلوم . وحضر دروس الشييخ محمد الحفنى ولازمه وانتسب إليه ، فلاحظته أنواره — كما يقول الجبرتى — ولبسته أسراره . ومال إلى فن الأدب فأخذ منه بالحظ الأوفر . وكان خطه في غاية الجودة.

<sup>(</sup>١). الجرني ١/٥٢٠

والصحة . وكتب نسخة من القاموس المحيث ، وصفها الجبرتى بأنها في منتهى الحسن والإتقان والضبط .

قال الجبرتى « وله شعر عذب يغوص فيه على غرائب المعانى ، وربما يبتكر ما لم يسبق إليه . وقد أجازه الشيخ الحفنى بما نصه :

نحمدك الله يا عليم يا فتاح ، ياذا المن بالعلم والصلاح . ونصلى ونسلم على أقوى سند ، وعلى آله وصحبه معادن الفضل والمدد .

أما بعد ، فإن المولى العلامة ، الرحلة الفهامة ، الحاذق الأديب ، واللوذعى الأريب ، مولانا الشيخ مجمد الصلاحى السيوطى ، قد حاز من التحلى بفرائد المسائل العلمية أوفر نصيب ، بفهم ثاقب ، وإدراك مصيب . فكان أهلا للانتظام في سلك الأعلام بإجازته كما هو سنن أئمة الإسلام . فأجزته بما تضمنته هذه الوريقات من العلوم العقلية والنقلية المتلقاة عن الأثبات وبسائر ما تجوز له روايته ، أو تثبت لديه درايته . موصياً له بتقوى الله التي هي أقوى سبيل النجاة . وألا ينساني من صالح دعواته في أويقات توجيهاته . فه الله و نفع به ، و نظمه في عقد أهل قربه . وأفضل الصلاة والسلام على أكمل رسل السلام ، وعلى آله أئمة الهدى ، وصحبه نجوم الافتدا » .

· ﴿ كُتبه محمد بن سالم الحفناوى الشافعي ، أمامن جمادى الثانية سنة ١١٧٨ »

وكان ابن الصلاحى يجتمع فى ندوات ليلية مع أصدقائه من الشعراء والأدباء ، وبخاصة قاسم بن عطاء الله المصرى ، ويتطارحون الشعر ، ويتناشدون القصائد ، ويرتجلون المقطوعات ، ومن غرر قصائده التى مطعما :

مل بى فقد وقد الهجير إنى بظلك مستجير وعدتها سبعون بيتاً. وقد أوردناها فى نهاية الكتاب. وله فى الإخوانيات شعر غير قليل و إلا أن ديوانه لم يصل إلينا و (م ١٦ الأدب الصرى)

# قاسم بن عطاء الله المصرى

### 14.8 - ...

قال الجبرتي ﴿ مَاتَ الْفَاصَلِ النَّحَرِيرِ ، الذي وقف الأدبِ عند بابه ، ولاذت أربابه بأعتابه ، النبيه النبيل ، واللوذعي الجليل ؛ قاسم بن عطاء الله المصرى الأديب > وكان قاسم من شعراء الأمير رضوان كَتَخدا الجلني.

قال الجبرتي ﴿ وَلَقَاسُمُ أَخْبَارَكُثْيَرَةً مِعْ شَعْرًاء عَصْرُهُ . وَلَهُ مَدَاعَبَاتُ معهم يطول ذكرها » وقد داعبه محمد شبالة المتوفى سنة ١٢٠٠ ه بقصيدة جاء فيها :

سبحان من قسم النُّحو سُ لقاسم وأذل هامــه ا

وكساه ثوب جناية يخزى بها يوم القيامه هو ردء من هجم البيو ت وردء من خطف العهامه و يحيس من طبع النحا س بكفه وطلى ختامه يحتال في نشل الحريد ر ولو تحصن في دعامه ويسل كحل من من خوفه ينغي منامه لو حل فی حرم الوزید در مصاحباً ورأی غلامه لمضى به لأخى الهوى في غفلة يقضى مرامه بالشال عمم رأسه ولحيلة تأتى أدامه ٤١ . . . . .

فأجابه قاسم بقصيدة منها:

أداميه براميه

جل الذي قسم الشقــــا لشبــانة وله 

موروثة عن جده من قبل أن تبنى القامه إن كان ذا وجه المطيع ع فأين أصحاب الندامه لو كان يصلح للصلا ة لحق للقرد الإمامه

ولا يخفى أن قصيدة شبانة أقسى هجاء . فقد اتهم قاسماً بأمور شنيعة كالسرقة والاتجار في الأعراض .

قال الجبرتي إلا وللمترجم قصائد ومقاطيع ومدائح وموشحات وأزجال وتواريخ لا تُحصى ولا تسبر ، ولا تعد ولا تستقصى . وقد تقدم بعض منها في تراجم الممدوحين . ومنها المزدوجة التي مدح بها الأمير رضوان كتخدا عزبان الجلني . والموشحات المشهورة بين أرباب الفن والأغاني ، وهو شيء كثيراً جداً » ولم كن الذي وصلنا من آثاره الأدبية قليل جداً .

وكانت البلاد تعانى مجاعة شديدة سنة ١١٩٨ غاحشاً . فلما أهل عام ١١٩٩ قال قاسم بن عطاء :

يا أهنل مصر استبشروا فالله فرج كر وأتى الرخاء مؤرخًا عام بفضل الله سم

قال الجبرتي « فكان الفأل بالمنطق ، وأخذت الأشياء في الانحلال قليلا » توفي يوم الجمعة خامس شوال سنة ١٢٠٤ هـ .

٥

# السـبربائي

### A 171. -- ...

هو شمس الدين بن عبد الله بن فتح الفرغلي المحمدي الشافعي السبريائي ، نسبة إلى سبرباي ، قرية بالغربية قرب طنطا ، وبها ولد . ويرجع نسبه إلى الفرغلى المحمدى ، من ولد محمد بن الحنفية المدفون بأ في تبيح من بلاد الصعيد .

تفقه على علماء عصره ، ودرس على شيوخ وقته . فأدرك من كل فن الحظ الأوفر ، ومال إلى فن الميقات والتقاويم ، وألف فى ذلك وصنف ، والشعر فاق الأقران ، ومدح الأعيان .

قال الجبرتى « وذكرت كثيراً من أشماره فى بعض تراجم الممدوحين. ومنها المزدوجة المسماة بنفحة الطيب فى محاسن الحبيب ، التى نظمها باسم الأمير حسن بك رضوان. وقد ذكرتها فى ترجمة الأمير المذكور ».

« وصاحبناه وساجلناه كثيراً عندما كان يأتينا مصر وبطندتا في الموالد المعتادة. فكان طوداً راسخاً ، وبحراً زاخراً ، مع دمائة الأخلاق، وطيب الأعراق ، ولين العريكة ، وحسن العشرة ، ولطف الشائل والطباع. وكان يلى نيابة القضاء ببلده. وبالجملة فقد كان عديم النظير في أقرائه ، لم أر من يدانيه في أوصافه الجميلة. وله مصنفات كثيرة » .

« وسليقته في الشعر عذبة رائقة ، وكلامه بديع مقبول في سائر أنواعه من المدح والرثاء ، والتشبيب والغزل ، والحماسة والجد والهزل . وله ديوان جمع فيه مدائحه للنبي صلى الله عليه وسلم سماه عقود الفرائد ، وقد قرظه الشيخ عبد الله الإدكاوي سنة ١١٧٩ بقوله :

وله في رئاء شيخه القطب الحفني قصائد طنانة . وله جملة أراجبز ، منها

أرجوزة فى تاريخ وقائع على بك – يعنى على بك الكبير – ومحمد بك ـ وهو محمد بك أبو الذهب » .

وقال الجبرتي في ترجمة حسن بك رضوان المتوفي سنة ١١٩٢ هـ ٠

« وكان أميراً جليلا مهذباً ، كريم الأخلاق ، لين الجانب ، يحب أهل الصلاح والعلم . وعاشر بالمحلة صاحبنا الفاضل اللبيب الأديب الشيخ شمس الدين السبربائي الفرغلي وأحبه واغتبط به كثيراً وأكرمه ، وحجزه عنده مدة إقامته بالمحلة . ومنعه من الذهاب إلى بلده إلا لزيارة عياله فقط في بعض الأحيان ، ثم يعود إليه سريعاً . ويستوحش لغيابه عنه ، فكان لا يأتنس إلا به . وللشيخ شمس الدين فيه مدائح ومقامات وقصائد . من ذلك ما ضمنه في مزدوجته « نفحة الطيب في محاسن الحبيب » .

ولم يصل إلينا ديوانه ، ولا شك فى أنه كان مجلداً ضخماً . توفى فى شهر ربيع الأول سنة ١٢١٠ هـ ببلده ودفن بها .

٦

## الظهورى

#### - 1711 a

قال الجبرتى «هو النبيه الأريب ، والفاضل النجيب ، الناظم النائر المفوه ؛ إسماعيل بن خليل بن على بن عبد الله الشهير بالظهورى المصرى الحنفى . كان إنساناً قانعاً بحاله ، يتكسب بالكتابة وحسن الخط، وقد كان جوده وأتقنه على يد أحمد أفندى شكرى . وكتب بخطه الحسن كثيراً من الكتب والمصاحف » .

وكان يشتغل بتجارة البن ، وله حاصل لهذه التجارة بوكالة البقل بقرب

خان الخليلي . وله معرفة جيدة بعلم الموسيقي والألحان وضرب العود . وهو شاعر مجيد ، له مدائح وقصائد وموشحات ، فمن موشحاته تلك التي حذا فيها حذو ابن خطيب داريا الأندلسي ومطلعها :-

لیت شعری یا أخلاء الهوی هل أری بدری بحانی مؤنسی

وكان الظهورى مغرماً بقضاء أوقات طيبة بين ربوع الأزبكية وبين حدائق القاهرة وبسأتينها على عادة الشمراء والأدباء في ذلك العصر . فمرة يذهب إلى جزيرة الروضة ، ومرة إلى بولاق . أو يتجول على شاطىء الخليسج أو على شواطىء بركة الأزبكية . ثم رحل إلى أطواب من قرى الصعيد واستقر بها مدة من الزمن · فنظم جملة قصائد أعرب فيها عن شدة شوقه وحنينه إلى الفاهرة ومغانها . ووازن بين حالته الأولى في القاهرة وحالته بقرية أطواب. فمن إحدى هذه القصائد :

> فكم نلت فيها من سرور وبغية وليلاتنا فيها وطيب حديثنــا . . . . الخ

سلام على مصر سلام شج حنَّا تبلغها أيدى النسيم لها عُنسًا وأزكى تحيات على الروضة التي عليها لسان الجو بالمزن قد أثنى وحياً إلهي نيلها وظــــ الألها وخلجانها والقرط إذا شنفت أذنا ومقياسها مني إليه تحيية معنبرة الأرجاء عاطرة عرنا إذالعيش طلق والهوى ضاحك سنتا وجَيب الدجي ينشق عن بدر هاد ُجنا

ومن قصيدة أخرى :

سلام على مصر ديار أحبتي سلام مُعنى هام عشقاً بحسرتي. ومنها:

> خليلي قوما واسألا الروضة التي وللرصد حيوه مع اللهو ساعة

ما اخضل نبت في عرار وزهرة فذلك أقصى ما يبرِّد غلتي ومقياسها ياصاح لاتنس فضله بدا مثل شيخ لابس لعمامة ومنها ينعى سوء حظه:

وأنزلنى حظى بأطواب قرية أقمت بها مابين بوم وحدأة ويبدو من بعض شعره أنه كان يميل إلى اللهو والمجون. وقد شرح لنه مذهبه فى الحياة فى قصيدة مطلعها:

هل العيش إلا في اكتساب مآثم أو العمر إلا في اقتناء محارم أو إلغنم إلا في ارتساف مباسم أو إلغنم إلا في ارتساف مباسم . . . . النخ

فهو يرى أن الحياة الحقة هي في الانغماس في الشهوات ، والأخذ بحظ عظيم من اللذات .

قال الجبرتى « وللمترجم مقامة وقصيدة يداعب الشيخ عنتر الرشيدى ، أعرضنا عنها لما فيها من الهجو والذم » ولم يصل إلينا من آثاره الأدبية سوى القليل .

٧

#### الخشاب

#### · · · - · 7714

هو السيد إسماعيل بن سعد الشهير بالجشاب . كان أبوه نجارا شم اشتغل بتجارة الخشب .

بدأ حياته الدراسية بحفظ القرآن. ثم تلقى على شيوخ عصره الفقه وأصول الدين وعلوم اللغة . وعين شاهدا بالمحكمة الكبرى . وفي أثناء ذلك عكف على قراءة كتب الأدب والتصوف والتاريخ . وحفظ كثيرا من الشعر والنثر والمعارف الصوفية . قال الجبرتى « فصار نادرة عصره ، و نظم الشعر الجيد »

ولما دخل الفرنسيون مسر، ورتبوا ديواناً للنظر في قضايا المسلمين، تعين الخشاب كاتبا بهذا الديوان، يسجل تاريخ الحوادث اليومية وأجروا عليه مرتبا شهريا. وقد جمع بين هـذه الوظيفة ووظيفته الأولى، وهي الشهادة في المحكمة.

ونشأت بينه وبين الشيخ حسن العطار صداقة متينة ، ومودة أكيدة ، وكان لايفارق أحدها الآخر في غالب الأحيان . وكثيرا ماأمضيا سهرتهما مع الشيخ عبد الرحمن الجبرتي المؤرخ المشهور ، متحدثين في الفنون الأدبية والتاريخ .

والشيخ حسن العطار هو الذي تولى ترتيب ديوان الخشاب بعد وفاته · وقد اشتهر هذا الديوان بين المتأدبين بمصر فى ذلك الوقت ،وأقبلوا على مطالعته واقتنائه ، وطبع بالجوائب سنة١٢٩٨ هـ

وقد جمع الخشاب ثروة طائلة. وشيد لسكناه قصراً فحماً بجهة بين القصرين وعاش فى رغد من العيش حتى أصيب فى أواخر حياته ببعض الأمراض. ولما مات صلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل. ودفن بمقابر الحسينية.

# الباسيالحامس

# لفصيال لأولُ النيششر الفني.

استخدم بعض كتاب هذا العصر النثر الفنى فى تأليف الكتب. ومن أشهر هؤلاء الكتاب: شهاب الدين الخفاجى الذى ألف كتابه (ريحانة الألبا > على عط كتاب الخريدة للعاد الأصفهانى. وكان الشهاب مستوعبا للأدب العربى، متمكناً من اللغة. فلذلك جاء أسلوبه قويا، وانقاد له السجع والجناس والطباق والمقابلة انقيادا تاما. فلا ترى فى أسلوبه ضعفا ولا تكلفا ولا غموضا، ولا إسفافا. انظر إليه حين يقول فى ترجمة داود الأنطاكى:

خریر (۱) بالفضل بصیر ، کا نما ینظر خلف ستارة الغیب بعین فکر خبیر . لم تر العین ، بل لم تسمع الآذان ، ولم تحدث الرکبان بأعجب منه مسائلة الرکبان ، إذا جس " نبضا لتشخیص مرض عرض أظهر من أعراض الجواهر کل غرض . فیفتن الأسماع والأبصار . و یطرب بجس النبض مالا یطربه جس الأوتار .

يكاد مرف رقة أفكاره يجول بين الدم واللحم لو غضبت روح على جسمها ألف بين الروح والجسم فسبحان من أطفأ نور بصره وجعل صدره مشكاة نور ، فإنها لا تعمى

<sup>(</sup>١) ص ٢٧١ طبع بولاق سنة ٢٧٣ هـ

الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . وله في كل عام سهم مصيب المومنطق محلى بتهذيب التهذيب . وكنت قرأت عليه الطب وغيره في سن الصغر فسمعت منه مايغار له نسيم السحر ، ويطرب من لطفه نغمات الوتر . ينثر فيه نثار العلوم على عرائس المنثور والمنظوم . وكان يقول : لو رآنى ابن سينا لوقف ببابي ، أو ابن دانيال لاكتحل بتراب أعتابي ، إلا أنه على مذهب الحكاء ، ومشرب الندماء ، ولذا كثر كلام الناس في اعتقاده ، ونقل رشيح قطر من خفي إلحاده . ثم لما كثر اللغط فيه ارتحل للبيت العتيق فطافت به المنية من كل فيج عميق . »

هذا هو أسلوب الشهاب الخفاجي. وهو يمتاز إلى جانب ما قدمنا من. أنواع المحسنات اللفظية بالتضمين من القرآن الكريم والأمثال والحكم. والشعر.

\* \* \*

ومن كتاب النثر الفي في ذلك العصر (١): يوسف الحفناوي ، وله من فصل في مدح الأمير كتخدا رضوان الجلني :

« وكيف وأمامهم ملك شدت الجوزاء لخدمته مناطقها ، ومدت العلياء على هامته سرادقها ، وستى الأمال والأرواح من سلافة جوده وآدابهماصير أربابها خدما لأعتابه ، وأوقف الألسنة والأذهان على نشر نواله الكامل ، الأمير رضوان ، لازال سعده قائماعلى طول المدى ، فإنه عين المكارم وقرتها ، وضياء جبهة للعالى وغرتها . التالى لسان حاله لمن يباهى ويناضل : تأخر فأين الثريا من يد المتناول ؟ >

« المولى الذي جمل الأيام عبيدا لأتباعه ، والمواهب ، والأرزاق خدما

<sup>(</sup>١) العوائح الحنانية في المدائح الرصوانية.

لأشياعه . وساس بسديد رأيه الإمارة فأحسن سياستها ، وأدار على الرعية كأس حلمه ممزوجاً ببأسه فأحكم رياستها . وصارت القاهرة بدولته لأعدائها قاهرة >

وىمن نهجوا هذا النهج: يوسف بن مرعى الحنبلي المتوفى بالقاهرة سنة الله في أحد (١) مؤلفاته:

﴿ إِنَ الله سبحانه وتعالى قد أوجد هذا العالم إيجادا جميلا، وفضل بني آدم على كثير ممن فضل تفضيلا، وخص الأنبياء بمزيد الفضل والكرامات حتى غدوا بذلك أنوار الكائنات، وأسرار الموجودات، وجعل العلماء لهم وارثين ولآثارهم مقتفين في بيان شرائع المكلفين، لاسيا المجتهدين؛ رضوان الله عليهم أجمعين، فهم في الفروع مختلفون، وفي الأصول متفقون، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلجون.

فاختلاف الأئمة رحمة لهذه الأمة ، والجميع على هدى ، فهم من الشريعة الغراء يستمدون ، وللملة الزهراء يعتمدون، وهم أفضل أتباع المرسلين، وخير من آمن وصدق النبيين ، ولاسيما أئمة المذاهب الأربعة الجتهدين ، ففضلهم مشهور قديما وحديثا ، وعلمهم منشور تفسيرا وحديثا - - النح ،

واستخدم النثر الفي في مقدمات الكتب، مثال ذلك قول عبدالرءوف المناوى المتوفى سنة ١٠٣٠ه

« وبعد ، فإنى (٢) لما شرحت فيما مضى الجامع الصغير من حديث البشير النذير ، كوى قلب الحاسد لما استوى ، فجهد أن يأنى له بنظير فرجع إليه بصره خاسمًا وهو حسير ، فلما آنس من نفسه القصور والتقصير عمد إلى الطعن فيه بالتطويل وكثرة القال والقيل
 الطعن فيه بالتطويل وكثرة القال والقيل
 المناطق الم

<sup>(</sup>١) تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة والمجتهدين . مخطوط رقم ١١٢٠ تاريخ

<sup>(</sup>٢) التيسير بشرح الجامع الصغير ص ١ طمع بولاق سنة ١٢٨٦ هـ

« فلقطع ألسنة الحسدة المتعنتين ، وخوف انتحال السارقين أمن في بعض المحبين أن أختصر اللفظ اختصارا ، وأقتصر في المعانى على مايظهر جهارا ، فعمدت أختصر ، وطفقت أقتصر ، ثم عن لى أنه كيف يليق إهال هاتيك النكت البديعة اللطيفة ، والتحقيقات المنيفة الشريفة لخوف السارقين والمنتهمين، وقصور الأغبياء والمتعنتين، فإن لم ينتفع به الحاسدون والقاصرون فسينتفع به المنصفون الكاملون ، وإن انتحل منه عتاة خائنون ، فمن خوان الكرام ينتهبون ، ولمثل هذا فليعمل العاملون »

إن هذه الناذج التي اخترناها بعيدة كل البعد عن الإسفاف والإغراق في التكلف الذي يفسد المعانى ، ويجمل العبارات أشبه بالألغاز . وما ورد فيها من أنواع الحسنات اللفظية هو مما يجيء عفو الخاطر على أقلام الكتاب في مختلف العصور . وليس في الناذج المتقدمة مايدل على تضحية المعانى جريا وراء الصناعة اللفظية . وهذا هو عنصر الإجادة .

法 株 类

ومن النثر الفنى الذى عرف من قبل العصر العثمانى واستمر إلى العصر الذى ندرسه ، نوع متكلف يستغرق الكاتب فى إنشائه وقتاً علو يلا . و يحتاج فيه إلى جهد عقلى كبير . ولكن هذا النوع كان قليلا جدا ، ولو جمع لما تجاوز صفحات تعد على أصابع اليد وكان الغرض منه امتحان مقدرة الكاتب . مثال ذلك قول عبد الله الإدكاوى :

عبد الله عند الله أوجه أوجه . دلت معاينة معانيه على على "رتبته. وينته حلية خلته . ووفاني ووقاني شرعيب عيى بعيب ، بعين حاسد حاشد فهنا نجد تشابها في رسم الكلمات مثال ذلك ﴿ عبد الله ﴾ و ﴿ أوجه » و ﴿ أوجه » و الأولى بمعنى الغاية والذروة والثانية من الوجاهة

ولم يتعاط هذا النوع من النثر فيما وصل إلينا من النصوص سوى عبد الله الإدكاوى .

\* \* \*

وكان المؤلفون في هذا العصر يختارون لكتبهم عناوين يتوفر فيها السجع وهذا أمر عرف من قبل العصر العثماني ، ولكنه في هذا العصر ساد ، وانتشر حتى أصبح كأنه من المحتم على المؤلف أن يختار لمنوان كتابه عبارة مسجوعة ، مثال ذلك « الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود » المناوى و « بلوغ الأرب لمعرفة أمثال العرب » له ، و « الإتحاف بحب الأشراف » للشبراوى ، وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى ، ومن النادر أن نجد كتابا خلا عنوانه من السجع

ومن الأُغراض التي استخدم فيها النثر الفني في هذا العصر:

#### ۱ المامات

أقبل الكتاب في هذا العصر على تحرير المقامات ، واستخدموها في الأغراض التي يستخدم فيهاالشمر، فنجد مقامات في المدح ، وأخرى في العتاب وغيرها في الفخر والهجاء والمجون والرثاء والوصف ، مثال ذلك قول الشهاب الخفاجي من مقامته الرومية التي دبجها في وصف أحوال أهل الاستانة وذكر عامائها :

« أنبأنا النعمان بن ماء السماء ، عن شقيق، وقد نظمني وإياه سلك المحجة بوادي العقيق ، قال : خرجت مختبطا ورق الكرم ، وقد صوح ربيع الآمال والهمم حتى عز الحطيم ، ورعى الهشيم ، فطوحتى الطوائح بأرجوحة الأماني وهزتني الأشعبية إلى ماجد يبارز الزمن الجاني ، سمح السحية، بسام العشيات

رحب النادى إذا ضاق لبب العيش والتقت حلقات الملمات ، جناه ليد الأمل دانى إذا اقتطف ثمر اللهو وريحان التهانى . نزهة النفس وشحامة الأنس، تعصر من شحائله شعول الفرح على رغم أنف الإبريق والقدح ، فما روض الجميال الرائع ، وما ورد الخدود فى أكمام البراقع ، وما جآذر الأعاريب ، وشمس الحسن فى سحب الجلابيب .

ولقد دعرت ندا الكرام فلم يجب فلا شكزن ندا أجاب وما ُدعى فلم أزل أداً بفى الإسآد<sup>(۱)</sup> والإعناق، وأقلد خلافة الخضر ومساحة الآفاق ولا أبرح فى ملاعب الفضاء كرة لصولجان القدر والقضاء » •

وللشهاب مجموعة مقامات وردت في كتابه « ريحانة الألبا » فليرجع إليها من شاء · وكلها على هذا النحو والأسلوب ، وهذه المقامات لا تعتمد كلها على الخيال ، بل هي تصوير لواقع الحياة التي رآها وشاهدها ولمسهابيده وأحاط بها وعرفها · وقد أجاد التصوير ، وأتقن الوصف ، ووفق في السبك قال في وصف الآستانة « — فإذا هي جنة ملئت بالحور والولدان ، وحفت بالمشهوات إذ حفت بالمكاره الجنان ، من كل شادن سرق التفاتة الغزال ، وتسللت لترى لطفه الصبا والشمال ، لولا خوف الوشاة والعدا ، تساقطت القبل على ورد خده سقوط الندا . جرى فيه ماء النهيم والهيف ، وحار فيه الرأى فلو رآه سيل تلمة لوقف ، فاق ذكاء سناً وسناء ، إفلو حاكته حازت الشرف صيفاً وشتاء

« إذا جاده صيب الحياء والخجل أنبت ورداً يجتنى بأنامل أهداب المقل. في كتيبة حسن إن غزا القلوب قتلها « هزوا القدود وأرهفوا الأجفانا > وإن هجمت على الصب عيونها « فاطلب لنفسك إن قدرت أمانا > يوسف حسن ودلال ، ليس له أخ يحسده على الجمال

<sup>.(</sup>١) الإسآد والإعباق : ضربان من السير

ماقد" فيه القميص من أدبر بل قد فيه الفؤاد من قبل إن قطم النسوة الأكف فقد قطع قلبي بطرفه الكمل

ومن وراء تلك الظباء العين ملائكة من الكرام الكاتبين ، غاليتهم اللهاد ، وعبير نشرهم يفوح على جمر الذكاء الوقاد · . النخ ،

فتأمل حلاوة التعبير ، وبراعة التضمين ، وقوة الأداء

ومن كتاب المقامات فى ذلك العصر: مجد بن قانضوة، وله مجموعة مقاءات بالمتحف البريطانى ، ويوسف الحفناوى ، وعبد الله الإدكاوى ، وأحمد السجاعى ، وحسن العطار ، وغير هؤلاء كثيرون .

٣

# الىسائل

#### (١) الرسائل الرسمية

ما يكتب إلى السلطان: امتاز هذا النوع من الرسائل بميزات هي:

ا - وصف السلطان بصفات تكاد تجعله فى مرتبة الإله ؛ فهو الخنكار الأعظم ، والخاقان الأفخم ، ظل الله على الأرض ، شاهنشاه العالم

٢ الإشارة إلى حروب السلطان ضد الكفار، والدعاء لهبالنصرالدام

٣ ــ التعبير عن السلطان بمثل قولهم: الحضرة العلية الفخيمة، أو الحضرة السنية الخاقانية ، أو الذات العاية الشاهانية

٤ - الإشارة إلى عدل السلطان وفضله على الرعية

٥ – تقديم فروض العبودية للسدة العلية الخاقانية

ومن كتاب الرسائل في ذلك العصر :

الغرائب ومعدن الرغائب وهى ليست كل ماكتب، ولكنها مختارات بخط الغرائب ومعدن الرغائب وهى ليست كل ماكتب، ولكنها مختارات بخط شخص اسمه « على الملاح » منها شريط بمكتبة الجامعة العربية نقلا عن نسخة خطية عكتبة سوهاج .

و تمتاز رسائله باشتمالها على المحسنات اللفظية من جناس وسجع ، وطباق ومقابلة ، وتضمين واقتباس . كما تمتساز باحتوائها أحيانا على تعبيرات واصطلاحات صوفية ، مثال ذلك قوله من رسالة إلى السلطان العثماني :

أهدى إلى السدة العالية ، والعتبة المتعالية ، ومقام السلطنة الرفيع سلاما يتمطر فردوس الجنان بشميمه ، ويتضوع رضوان والحور والولدان بنسيمه، ممزوجا بأنفاس الملائكة المتقربين ، ساريا بنفحات الأقطار المواصلين ، تمده الرحموتية واللاهوتية بأسرارها ، وتصاحبه الحقيقة المحمدية الأجمدية النبوية بأنوارها ،

وأسأل الله الواحد الأحد ، الذي ليس له قبل ولا بعد، أن يؤيد بسلطان عظمته وكبريائه ، وعزة ألوهيته وبهائه عبده الذي أيده وتوجه بتاج الملك على كثير من عبيده ، وأفاض عليه من مزيده . حبيب أولياء الله عز وجل ، والراقى بإذن الله إلى المقام الأجل . واحد أقطار ما تحت الريح من سلطنة وجلالة . أوحد ملوك تلك الجهات ، بل هو البدر وهم حوله هالات . المؤيد بنصر الله فلا يرهب أحد سواه المحروس بحراسة الله في جميع مامنحه وأعطاه . سلطان سلاطين تلك الديار ، الفاتك بأعداء الله بكل سنان وحسام بتار . عرب ممالك الكفر والفساد ، مذل جيوش الطغيان والعناد ، قامع عباد الصليب ، المتذلل بين يدى الملك العظيم القريب الرقيب .

٢ ـ ومن كتاب الرسائل كذلك: مرعى بن يوسف الحنبلى المتوفى بالقاهرة سنة ١٠٣٢ه وله من تموذج رسالة إلى السلطان:

الخدكار الأعظم ، والخاقان الأنحم ، ذو المفاخر التي شهد بفضلها الخاص والمعام ، والما ثر التي ترتفع على الثريا وتكاثر الغهام ، والأخلاق التي رام النسيم أن يحاكى لطفها فأصبح عليلا ، والمعالى التي تحيل الملوك أن يتشبهوا بها فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا . الجامع لسيرة أنامت الرعايا في مهاد الأمان ، وسريرة تكفلت أياديها بكف عوادي الزمان ، وعدل سوى بين شريف الخليقة ومشروفها ، وإحسان سير الهبات تجرى لذوى الحاجات إلى حروفها المفتخر على سلاطين الدنيا بفخامة مملكة ترد الأبصار حسري، وسرير سلطنة إذا استوى عليه أحيا ذكر السلف الصالح وأمات ذكر كسرى . إذا سار بين المواكب فا هو إلا القمر حف بالكواكب ، بصوارم سيوف تعطف حروفها أعناق المعتدين ، وأهلة ترسل نجوم سهامها على شياطين البغاة والمتمردين ورايات تخفق قلوب الأعداء لخفقانها ، وتخفض رتبهم لرفع شانها . لايرتاب مؤمله في أنه البحر والعساكر أمواجه ، ومراحه الدر التي يظفر بها طلاب العرف وأفواجه »

فإذا تأملت في هذه الرسالة وجدتها تشتمل على : (١) وصف السلطان بأنه أجدر من تولى الملك (٢) وأنه حامى حمى الإسلام، ومجدد بنيان الهدى (٣) الإفراط في وصفه بالعدل والكرم (٤) الإشادة بقوة جيوشه وعظمة مملكته (٥) الإشادة بسمو أخلاق السلطان وتفوق شخصيته ونقاء عنصره.

<sup>(</sup>۱) بديع الإنشاء والمراسلات، طبع الجوائب سنة ۱۲۹۹ه (م ۱۷ — الأدب المصرى )

أما أسلوبها فاحتوى على كثير من المحسنات اللفظية ، من سجع إلى جناس ، إلى طباق ، إلى مقابلة ومع كل ذلك فلن تجد فيها ضعفا أو إسفافا أو إخلالا بالمعنى في سبيل اللفظ .

وتظهر العاطفة الدينية قوية جدا في كل ما يكتب إلى السلطان •

\* \* \*

مَا يَكْتُبُ إِلَى الوزراء وولاة مصر : امنازت هذه الرسائل بوصف الوزير بكل منقبة وفضيلة ، مع الإسهاب فى ذلك بحيث تستغرق هذه الأوصاف حوالى عشرة أسطر . مثال ذلك نموذج لرسالة كتبها مرعى بن يوسف الحنبلى :

الوزير المعظم، والمشير المفضم و مدبر أمور جمهور الأمم ، الجامع بين مرتبتى العلم والعسلم والحائز لفضيلتى السيف والقلم . قرة عين المملكة والوزارة ، تاج السلطنة والإمارة . طراز المملكة الملكية ، سيف الدولة السلطانية ، ولسان الصولة الخاقانية ، وصفة الحضرة العثمانية . رافع أعلام العدل والإنصاف ، خافض ظلام الجور والاعتساف ، مؤسسس قواعد الإقبال برأيه الصائب ، مشيد أركان الصولة والإجلال بفكره الثاقب . صاحب العزة والإجلال ، على حمى الإسلام بالديار المصرية ، ومشيد تخوم العدل بالأقطار اليوسفية .

وقد ظلت هذه الرسائل تكتب بالكيفية المتقدمة حتى العصر الحديث . وهذه مقدمة رسالة بعث بها السلطان عبد الحميد الثانى إلى الخديو عباس حلمى الثانى سنة ١٨٩٢م

الدستور (۱) الأكرم والمعظم ، الخديو الأفخم المحترم . نظام العالم ، وناظم مناظم الأمم ، مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب ، متمم مهام الأنام

١١) المتطم في ١٤ - ١٨٩٢ - ١

جالرأى الصائب ، ممهد بنيان الدولة والإقبال ، مشيد أركان السمادة والإجلال. مرتب مراتب الخلافة الكبرى ، مكمل ناموس السلطنة العظمى . المحقوف بمصنوف عواطف الملك الأعلى ، خديو مصرالحائز لرتبة الصدارة الجليلة فعلاء الحامل لنيشاننا الهمايوني المرصع المجيدي ، ولنيشاننا العماني من الطبقة الأولى . وزيرى سمير المعالى عباس حلى باشا أدام الله إجلاله ، وضاعف بالتأييد اقتداره وإقباله .

#### \* \* \*

ما يكتب إلى قاضى العسكر: تمتاز هذه الرسائل بالإشادة بمكانة . قاضى العسكر الدينية ، و بما تحلى به من الفضائل التي أهلته لتولى هذا المنصب . مثال ذلك بموذج من رسالة كتبها مرعى بن يوسف الحنبلى : شيخ الإسلام ، ملك العلماء الأعلام . سيد الأثمة الفخام ، وفحر الموالى العظام . ومرجع الخاص والعام ، وملاذ الأفاضل الكرام ، و نعمة الله تعالى في هذا الزمان على الأنام ، قد تشرف الفضل بانتسابه إليه ، قاضى العساكر المنصورة الذي أوقف جنود العدل بين يديه . جلت معانيه البديعة أن يحصرها بيان ، أو يسطرها قلم ببنان . المرتضى لأحكام الشريعة ، ومن هو لسد أبواب المكاره أقوى ذريعة ،

#### \* \* \*

وكتب الخشاب على لسان أحد القضاة رسالة إلى الدولة العليه ، يستعنى من قضاء المدينة ، وكان قد وجه إليه وظهرت الاضطرابات والفتن فى الحجاز بهجوم الوهابيين ، جاء فيها :

نحمد الله اللهم على نعمك الهامى على ممر الدهور سحابها ، المنسدل على اللهرية بعدل هذه الدولة جلبابها . حمدا يكون على حلل تلك النعم البهية طرازا . ويهيىء لملة الإسلام ببقائها نصراً وإعزازا .

ونصلى ونسلم على سيدنا محمد الذي بهرت آياته العقول وضوحا و إعجازا، وبلغ غاية الكمال حقيقة فغدا نهجه لنجاة من تبعه مجازا. وبين للخليقة أحكام دينه امتناعاً وجوازا. وعلى آله وأصحابه وخلفائه الذين فضلوا على سائر البرية اختصاصا وامتيازا، فكانوا في المحل غيوتاً وليوتاً، إذا اهتزت رماحهم في الوغى اهتزازا.

أما بعد ، فإنا نبتهل إلى الله تعالى فى بقاء هذه الدولة التى لم تزل أعلام. نصرها المرفوعة فى الخافقين خافقة ، ونجوم مجدها بآ فاق الملك متلاً لآت الأنوار مشرقة ، وشهب أسنة رماحها للسياطين رجوما ، ولوامع أضواء آرائها فى ظلام الخطوب نجوما ، وبروق أسيافها فى غياهب العثير تتألق. إعاضا ، ونفوس أعدائها ترد بجداول نصالها أنهارا من الردى وحياضا ،

و نهى إلى هذه الدولة العلية المثانية السنية السنية أيد الله أحكامها ، وأبد إحكامها. ورفع على هام السماك أقدامها. و نصب فوق المجرة أعلامها، ومنحها من الظفر والنصر مالا يدخل تحت الحد والحصر.

إنه قد ورد الفرمان الشريف، الواجب له القبول والتشريف ، خطابا الى خادم سدة تلك الحضرة المظفرة المنصورة ، التى لم تزل بأعين العناية على مدى الأيام ملحوظة ومنظورة . العبد الفقير أحمد المبتلى بقضاء مصر المحروسة المتضمن إلباسه خلع الإقبال والقبول بتقليده قضاء مدينة الرسول ولا جرم إنها كلة يفتخر بها على الفخر ، ومحمدة يبقى ذكرها بقاء الدهر وكيف لا ، وقد و جُنه إلى مهبط التنزيل، وتشرف بخدمة مدينة من شأنها أكرام النزيل . غير أنه لخلو راحته وفقد استراحته لما توارد عليه من الشئون . الموجبة لاضطرابه واضطراره ، وتعطل أمور مئونته فى إقامته وأسفاره ، المعجز عن النهوض بأعباء هذا المنصب الجليل لفقد التحصل وتعذر التحصيل ، يعجز عن النهوض بأعباء هذا المنصب الجليل لفقد التحصل وتعذر التحصيل . لاسيا والأقطار الحجازية مختل نظامها ، مستول عليها من البغاة طغامها ..

، وقد خلعوا من أعناقهم ربقة الإسلام والمسلمين ، وكادوا أن يطمسوا بماشرعوه .
من شرائمهم الباطلة معالم الدين ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ويذود عن حرمه هذه الطائفة مقهورة مدحورة . فلقد جاوزوا الحد ، وعاملوا أهل تلك النواحى بالمخالفة الأشد ، ولكن الله وعد المؤمنين التأييد ، ويوشك أن يهلك تلك العصابة بأسيافكم ويبيد.

والملاحظ في هذه الرسالة الإسهاب ، وتكرار الفقرات والجمل المتحدة المعنى ، والحرص على السجع والجناس . وقد بدأت بالتحميد والصلاة على النبي في عبارات كثيرة ، لأنها صادرة عن قاضى العسكر . فوظيفة القاضى: الدينية هي التي جعلت الرسالة تبدأ بمقدمة يشيع فيها الروح الديني

# ب\_الرسائل الإخوانية

كان الشعراء والأدباء في هذا العصر يتبادلون الرسائل بكثرة فيابينهم. وكثيرا ماتجرى المكاتبات بين أهل البلد الواحد مع قرب الدار وتجاور السكن، وذلك لشغفهم بالكتابة القنية

حدث أن أبا المواهب البكرى المتوفى سنة ١٠٣٠ه كان يتريض فى الحية بولاق ، وتاقت نفسه إلى مسامرة الشاعر المشهور نور الدين العسيلى، فوجه إليه رسالة طويلة وصف فيها بولاق وطيب هوائها ، ورقة نسيمها ، وجمال حدائقها . فما (١) جاء فيها :

سيدنا البر الذي يجرى بحر الفضائل من برّه ، ويعذب الورد والصدر يها يصدر من صدره . ويفيض إحسانه نهرا لراجيه وآمله . وتبتدر الأنام التلقى تيار أنامله ، وتتزاحم على سيف زخار علومه تزاحم رقاب أعدائه على سيفه وخصومه ، ويخضر خضرة الدّو ، وقد أسبل عليها من صوب مدده

<sup>(</sup>١) الريحانة س ٣١٩

برَد الجو ، لينام الأنام مر ظله بوريفه ، وتأمن من صروف الدهرَيِّ وحيقه .

علم سيدنا لازالت أمواج فضله تنثر لآلىء الإحسان وتنثل ، ولافتى منهر الله إذا كان غيره نهر معقل ؛ أن مدينة بولاق هى مجتمع البحور ، ومدارد فلك السرور . . الخ

كان أبو المواهب مغرماً بهذا النوع من الأساليب التي تزخر بالسجع والجناس والطباق والمقابلة ، وبلاحظ أن الرسالة اشتملت على ذكر البحر والبر ، والورد والصدر ، والأمواج ، والظل الوارف ، والسيف بمعنى الشاطىء ، والزرع والخضرة وغير ذلك ، وهذا كله من أثر البيئة البولاقية وما كان فيها من الحدائق والبساتين الممتدة على شاطىء نهر النيل

\* \* \*

وكتب عبد الله الإدكاوي إلى بعض أصدقائه :

دغب سلام يشوق عزفا، ويروق ظرفا، وتجيبات تمييد عطفا: وتزيد لظفيا . وثنياء يمدكفا ويعد عرفا، وأشواق تطول وصفا وتقول ألفا.

فالمعروض بين تلك الأيادى الهامع جود جودها وكفا ، العزيزة المنال عن الأنداد والأكفا . من المحب الذي ازداد شوقه ضعفا ، وقل صبره ضعفا . هو أتنا طلبنا لبارق جوابكم لحظا وأدرنا طرفا ، واستمحنا إشراق شمس فرائدكم الذي عز أن يخفى ، واستمطرنا صوب عرفانكم الأصنى ، وألفاظكم البديعة الرائقة المرصوفة رصفا ، وآثار يراعتكم المصفوفة نقوشها صفا صفا ، وتمار بدائعكم المذللة غصونها . يراعتكم المخلفة نقوشها صفا صفا ، وتمار بدائعكم المذللة غصونها . فلحانين قطفا . فطال أمد الانتظار ولم نرمن جياد معانيكم في ..

ميدان الطرس طرفا ، ودرر آثار بنائكم الزاكية وصفا حرفا . فهناك أشفقت من أن أحنى ، فكتبت هذه الألفاظ وقد زحف جيش الشوق بمعركة الفؤاد رحف ، وفرت أفراس اصطبارى كسفا كسفا . وأحبل عزمى تلت : ويسألونك عن الجبال قل ينسفها ربى نسفا . راجيا إن أجاب بما به الخاطريشنى ، فأغدو منشدا حين أوتى ما أحاذر وأكنى :

﴿ يَا نَعْمَةُ مِنْ وَارْدَ جَلِّبِ الَّهِ ۗ إِينَاسَ بِالْعَهِدُ الَّذِي وَفَى ﴾

فأنت ترى أن الإدكاوى التزم فى رسالته كلها السجع الذى تنتهى حروفه الآخيرة بالفاء. وذلك ليظهر براعته وقوته وتفوقه. ويبرهن على أنه ملك زمام اللغة فانقادت له طائعة

ولم يكن الرسائل الإخوانية من غرض سوى إظهار قوة منشئها البيانية، ومقدرته في الكتابة الفنية.

ومن رسالة للخشاب(١) وجهها إلى مرتضى الزبيدى .

الاستاذ أدام الله تأييده ، وحلى بوجوده جبين الدهر وجيــده ، ذو الانفاس الركية ، والأخلاق المرضية ، والطلعة السنية ، والمشاهـــد القدسية .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد ، فقد ورد كتاب السيد للرتضى ، والحسيب المجتبى ، رافع ألوية العلوم ، ومحرر دقائق المنطوق والمفهوم ، فإذا هو روض ألفته العصون ، وعروس حسنها عن عين الحواسد مصون ورأيت من سحره الحلال ، وسلساله الزلال ما بهر العقول ، وأحجم عن مثله أولو المعقول .

١١) ديوان الحشاب ص ٣٨٩ طبع الجواثب

إلا أن السيد. لازالت سحائب جوده هاطلة ، وأعناق مناظريه من حلى آدابه عاطلة \_ أغلظ فى الخطاب ، وجاوز حد العتاب . ومع كونه ليس له فى فضله من مبارى لم يقل لعا لعثارى . وتوهم أنى أبسط لسان الإساءة إليه ، وأعاتبه وأنم عليه . إن بعض الظن إثم .

والآنسب بمن أحيا الإحياء (۱) وعم نفعه الأحياء ، ودانت له الرءوس ، وحل مشكلات العباب (۱) والقاموس أن لايكحل عين الود بالقذى ، ويتبع صدقاته بالمن والآذى . وهبه وهبنى ألف بدرة ، أيليق بمثله أن يعمل فيها فكره ؟ فلقد كنت أجل شانه أن يجرك بمثل ذلك لسانه . وغاية ما أوجب هذا الامتنان ، وفتح باب المذاكرة فى هذا الشان ، أن غرضنا منه المواصلة ، لا حصول الصلة . ومقصودنا من شيمه المجاوزة لا قبض الجائزة . فلقد ذهب بى عا الله عنه \_ كل مذهب ، وعصفه بريح الصد مذهب ، حيث خيل أنى بمن يتوهم أن الشعر بالشعر ربا ، وسلك فى مسلك من يرى ذلك من أراذل الأدبا ، ولله در القائل :

إذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت إلى العلياء من جانب الفقر

وهبنى بعثت إليه أستمطر ندى يديه فبنو الهم أكفا ، وأولاد رسول الله بالندى أحرى . ولقد همت أن لا أحير جوابا ، وأن لا أسطر في شأن هـذه الحادثة كتابا . وتمثلت بقول صاحب لامية العجم ، فهو من جملة الحكم :

فإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول فى الدنيا على رجل ثم عن لى أن أتنصل إلى الأستاذ علة يقبل ، وأعلل نفسى فى بقاء وده بعسى ولعل ، والسلام .

<sup>(</sup>١) أحيا الإحياء : ااراد أنه شرح كتاب إحياء علوم الدين للغزالي .

<sup>(</sup>٢) يشير إلى شرح القاموس المحيط للفيروز بادى الذي وضعه مرتضى الزبيدي . وكدلك شرح العباب في اللغة.

فهذه الرسالة وإنكانت قد اشتملت على المحسنات اللفظية إلا أنه لم يظهر فيها ما يدل على أن الكاتب ضحى بالمعنى فى سبيل اللفظ. ولن نجد فيها الإغراق فى التكلف الذى يصل بالأسلوب إلى درجة الإسفاف والضعف، والإبهام والغموض. فأسلوبها يمتاز بالسهولة والوضوح وقد أنشئت لمغرض معين ، وهدف محدد وضعه الكاتب نصب عينيه ، وأراد أن يصل إليه من أقرب الطرق وأقصر المسالك . فقد حدثت جفوة بينه وبين عريضى الزبيدى . فأراد الخشاب أن يزيل تلك الجفوة ، وأن يعيد الصفاء بينهما فأنشأ الرسالة المتقدمة لهذا الغرض .

و يمكننا أن نضيف إلى أغراض النثر الفنى المتقدمة: تقاريظ الكتب، وكانت تظهر فيها المحسنات اللفظية. مثال ذلك ما كتبه عبد الله الإدكاوى تقريظا لكتاب د دوحة الكتاب في فنون الآداب > لمن اسمه نجيب، وهو.

أسمت سرح فكرى في خلال هذه الدوحة المثمرة ، وأدمت لمع نظرى في ظلال هذه الروضة المزهرة . فرأيتها دوحة طوت في منشورها من فنون الكتابة بغية كل محتاج ، ونشرت في طيها ذكر قوم كانوا لايامهم كالمدر في التاج . فعين الله على جامعها فلقد أجاد في هذا الجمع ، ومتع الناظر ببدائع ما أودعها مثل ما شنف السمع . وليس ذلك بغريب ولا عجيب إذا استفاد البلغاء من نجيب . . . .

وإلى هنا ينتهى الـكلام على النثر الفنى

# لفصل ليب في النثر المرسب

النثر للرسل هو الذي لا يلتزم فيه صاحبه المحسنات اللفظية ، وإنما يضخ نصب عينيه الموضوع الذي يكتب فيه . ويحصرهمه في سرد الأدلة والبراهين. التي تؤيد وجهة نظره . ومن أغراض النثر المرسل في هذا العصر :

1

# نقد المجتمع

كان نقد المجتمع وإظهار ما فيه من عيوب من أغراض النثر المرسل فى. ذلك العصر. مثال ذلك ماكتبه الشعراني فى كتابه ﴿ تنبيه المغترين ﴾ وهو ::

د. . فأين حال هؤلاء من مشايخ هذا الزمان الذين يسافرون من مصر أو الحجاز أو الشام إلى الروم والعراق ليسألوا أن يرتب لهم السلطان جوالى أو مسموحا أو مرتبا ؟ مع أن أحدهم يجد في بلده ما يكفيه . وكان الأولى بهم لو عرض عليهم ذلك أل يردوه ، ولا يزاحموا جند السلطان في مال المصالح كا درج عليه سلفهم الصالح . بل لم نر أحدا من مريدى المشايخ الذين أول أدركناهم يسافر من بلده في طلب الدنيا فضلا عن المشايخ ، لأن أول قدم يضعه المريد في الطريق أن يخرج عما بيده ويرميه في بحر الإياس عما معلوم » .

 فقال له إياس: فما حاجتك التي جئت فيها ؟ قال: أن ترتبوا لى شيئاً من بيت المال ، فقال له الوزير: هل تعلم أن أحدا فى مصر مثلك فى الطريق؟ فقال: لا ، فقال له إياس ، أف لك من شيخ !! إذا كان هذا حالك ، وأنت تزعم أنه ليس أحد فى مصر أعلى منك مقاما فى الطريق ، فاكيف ببقية المشايخ ؟ لقد أزريت بالفقراء وبهدلت الطريق. فإن آحاد المريدين لو فعل مثل ذلك وسافر من بلده إلى غيرها فى طلب الدنيا خرج من طريق الإرادة. فكيف تفعل أنت مثل ذلك فى حال نهايتك ؟ وزجره وأمر بإخراجه من عنده ، فرجع خاسرا لما طلب >

فتاً مل أساوب هذه القطعة تجد أنه لا يختلف عن أساليبنا التي نستخدمها نحن في عصرنا الحاضر . لا تكلف ولا ضعف ، بل هو أسلوب سهل الفهم ، واضح الألفاظ والعبارات ، وكتب الشعراني كلها من هذا النوع ، وكذلك . كتب عبد الرءوف المناوى .

وقد خصص الشعراني معظم كتبه لنقد أحوال المجتمع في عصره بصفة عامة ، ونقد أحوال المتصوفة بصفة خاصة . فهو يرى أن معظمهم دجالون يحتالون على أكل أموال الناس و يحذر المجتمع منهم ، ومن حيلهم ودجلهم ، ولا يدخر في ذلك وسعا ، ويورد صوراً وقصصا عن فساد أخلاقهم وتهافتهم على حطام الدنيا ، ووقوفهم بأبواب الحكام مستجدين . لهذا الحطام ، ويوازن بينهم وبين أخلاق السلف الصالح من المتصوفة الذين . شاهد عم وتلق عنهم ، ويتألم لخلو المجتمع من أمثال هؤلاء الصالحين .

# ۲

#### لغة التاكيف

ومن أغراض النثر المرسل: التأليف، فقد اتخذ المؤلفون هذا الأسلوب السهل في تأليف كتبهم ، ولم يستخدموا الحسنات اللفظية إلا في القليل النادر و وهتموا بمناقشة الآراء والتعليق عليها ، وإقامة الأدلة على صحة مايقولون . مثال ذلك ماورد في كتاب « الجوهرة المضيئة في تجويز إضافة الإيمان الجازم إلى المشيئة » لمؤلفه أبى الحسن البكرى المتوف سنة ١٩٥٧ه وهو:

• ﴿ وَذَلِك (١) مَا ظَهْرُ لَى فَى قُولُ اللهُ جَلَ ذَكُرَه ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولُهُ الرَّوْيَا بِالْحِقْ لَتَدَخَلَنَ الْمُسْجِدِ الْحُرَامُ إِنْ شَاءَ اللهِ آمَنَيْنَ ﴿ فَأَقُولُ : لِيعَلَّمُ أَنْ يَعْضُهُم بَنِي الاستدلال لَهٰذَا المُدَّعَى عَلَى قُولُه تَعَالَى ﴿ لَتَدْخَلُنَ الْمُسْجِدُ الْحُرَامُ إِنْ شَاءَ اللهُ آمَنِينَ ﴾ إن شاء الله آمنين ﴾

دوالذي يظهر لى أن بناءه على قوله \_ لقد صدق الله رسوله \_ هو الأولى ، إن لم يكن المتعين ، فان تعليق المستقبل بالمشيئة ليس محل نزاع ، وإنما الكلام في الماضي والحال ، فقوله \_ لتدخلن إلى آخره \_ مبين لقوله سبحانه \_ لقد صدق الله \_ فيؤخذ منه أن قرائ المشيئة بالأمر القطعي الذي لا يقبل التردد أمر سائغ ، وذلك أن الله تعالى آئي بالصيغة الماضوية حيث يقول \_ لقد صدق الله رسوله \_ مؤكدة باللام الموطئة للقسم ، وبقد ، ومؤكدا مفادها بالإتيان بالماضي في محل المضارع ، دلالة على

<sup>(</sup>١) مخطوط رقم ٩٢ مجاميع ، عقائد تيمور ، ورقة رقم ٢ وما بعدها .

تحقيق الوقوع ، ورتب عليه قوله \_ لتدخلن إلى آخره \_ وهذا من جليل اعتناء الله تعالى بإ دخال البشرى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى المؤمنين بتحقيق رؤياه صلى الله عليه وسلم ، لآنه لو قال \_ ليصدقن الله رسوله إلى آخر الآية \_ فإن ذلك يكون إخباراً عما سيقع ، وهو دون. الخبر عن تقدم الوقوع >

فهذا الأسلوب لا يختلف عن أساليبنا المعاصرة .

# الفصل لنالث

## النيئر الشعى

ظهر فى هذا العصر كتاب استخدموا لأول مرة اللغة العامية الدارجة . فى كتبهم . وأهم هذه الكتب سيرة الظاهر بيبرس لعدة مؤلفين متتابعين ، كان كل منهم يزيد عليها فصلا أو عدة فصول .

تبدأ وقائع هذه القصة فى بغداد فى عهد الخليفة المستكفى بالله العباسى وسجلت معارك خيالية نشبت بين هذا الخليفة وبين التتار . وانتهت هـذه المعارك بانتصار المسلمين ، وذلك بفضل صلاح الدين الآيوبى الذى كافأه المخليفة بأن منحه ولاية مصر .

ثم انتقلت وقائعها إلى مدينة القاهرة بقيام الدولة الأيوبية . ولم يشغل الحسكم الأيوبي في القصة إلا حيزا صغيرا · فقد تجاهل القاص صلاح الدين وخلفاءه ، وما قاموا به من جهاد وكفاح . وصور الملك الصالح نجم الدين أيوب قطباً من أقطاب الأولياء ، زاهدا الزهد كله ، حتى إنه لا يتناول من الطعام سوى الخبز اليابس والدقة ، أي أنه لا يصلح لأن يكون ملسكا . أما معز الدين أيبك فقد جاء في صورة كريهة جدا ، ليس لها سند من التاريخ الصحيح . فهو لايتردد في التعاون مع الفرنجة إذا اقتضت مصلحته ذلك . وهو ظالم مستبد . ومن أجل هذا تعرض لسخط الشعب الذي كان يقف له بالمرصاد ، ويوجه إليه الشتائم والسباب ، حتى اضطر أن يعمل سردا با بين قصره وديوان الحكم ليسلكه في غدوه ورواحه ، فراراً من النساس وابتعاداً عنهم .

أما الأحوال الاجتماعية قبيل حكم بيبرس فقد بلغت الغاية فى الاضطراب

والفساد ، اختل الأمن وتعرضت الأرواح للإزهاق ، والممتلكات والأموال النهب والسلب . وعجز الحكام عن كبح جماح اللصوص وقطاع الطرق ، بل إنهم كانوا يخشون بأس رجال العصابات ويغضون الطرف عن جراً عهم . وانتشر أهل الدعارة وتجار الأعراض فى كل مكان . وكثرت الموبقات والتهكت الحرمات جهاراً نهارا . وكانت شخصية عثمان بن الحبلة رمزا الاختلال الأمن والاستهانة بالحكام فى ذلك العصر . وكان بيبرس هو الشخص الوحيد الذى جمثته العناية الإلهية ليخلص مصر مما ألم بها من المصائب والشرور .

والتاريخ يحدثنا عن ثورات عنيفة نشبت ضد العنصر المملوكي في مصر خقد أنفت العناصر العربية أن تخضع لهؤلاء العبيد ، وأعلنت العصيان ، واستقل أحد الأشراف بحكم منطقة واسعة من الصعيد ، وأطلق على نفسه لقب أمير المؤمنين ، كما قامت حركات مماثلة في بعض مناطق الوجه البحرى ، وقد استطاع المهاليك أن يقضوا على هذه الحركات بعد جهود شاقة ، إلا أن الإحساس بالنقص من كونهم أرقاء مجهولي الأصل ، غرباء عن البلاد ، هذا الإحساس ظل يلازمهم طوال حياتهم ،

فليس ببعيد أن يكون واضع هذه القصة هدف في أول أمره إلى الدعاية للعنصر المملوكي . وإذا كان للعرب أبطال مثل عنترة وأبيزيد الهلالي وسيف ابن ذي يزن، وإذا كانت هناك قصص تروى عن هؤلاء الأبطال، فلماذا لا يكون للعنصر المملوكي أبطاله ؟ ولماذا لا تؤلف عن هؤلاء الأبطال قصص على نحو ما ألف عن أبطال العرب ؟ هذا على ما يبدو منشأ الفكرة التي سيطرت على ذهن المؤلف في أول الأمر ، ووجدت تشجيعاً من المماليك الذين كانوا . يتوقون إلى إحياء مجدهم السابق الذي أزيل على يد الممانيين . فهي خير من يذكرهم بهذا المجد ، وخير من يبعث فيهم الهمم على الكفاح والنضال .

إن شخصية بيبرس تكاد تضارع أعظم الشخصيات العربية التى عرفت بالعدل والاستقامة ، والعزم والحزم ، والغضب للحق ، والشدة فى مواطن الشدة ، واللين فى مواضع اللين . والغيرة على الإسلام والمسلمين ، والكفاح ضد الكفار والمشركين . بل إن القصة صورت بيبرس رجلا لا يخطىء ، ولا يحيد عن سواء السبيل .

وإنى جانب الإشادة بالعنصر المملوكي تجد الرغبة في التشهير بالحكم العثماني . فني مواضع كثيرة تطالعك حيل ملتزمي الأراضي الزراعية ، وما طبعوا عليه من بطش وظلم وقسوة في تسخير الفلاحين في الأعمال الشاقة مقابل أجر ضئيل جدا ، لا يتجاوز رغيفين وبصلتين في اليوم . وتري فساد القضاء ، والرشوة المنتشرة بين القضاة الذين كانوا كماذكر في القصة يحللون الحرام ، ويحرمون الحلال . ففيها إذن حض على الثورة في وجه الحكم العثماني .

وقد أخذ العنصر المملوكي يسترد قوته يوما بعد يوم. ولما شعرالعثما نيون. بالخطر اجتهدوا في الإيقاع بين المهاليك. فانقسموا إلى فقارية وقاسمية، وظلوا يتنازعون فيها بينهم على السلطان، وأخيرا ظهر منهم على بك الكبير. وقد صار نفوذ العثمانيين في مصر اسميا، وكان الحسم الحقيقي للعنصر المملوكي. منذ سنة ١١١٩ ه فهذه القصة التي كتبت باللغة العامية الدارجة ليفهمها المهاليك قد نجحت في أداء رسالتها إلى حد بعيد. ولو تجرد المهاليك من المطامع الذاتية، وخضعوا لزعيم واحد لنجحوا في الاستقلال بمصر.

وقد حرص مؤلفو القصة على أن يربطوا بين مصر والشام . ألم يكن بين البلدين ارتباط وثيق قبل الغزو العمالى ؟ ولذلك نرى بيبرس ينتفع بكثيرين من أبطال الشام . مثل الفارس المغوار إبراهيم الحورانى صاحب قلمة حوران بالشام . وكان كما جاء في القصة مقيا مع أتباعه الحوارنة في

مساكن خاصة بهم ، وقد ظل إبراهيم طوال حياته مخلصا لمولاه . أما البطل الثانى فهو سعد بن دبل البيسانى ، وهو ابن خالة إبراهيم الحورانى وعملهما متشابه ، فها يحرسان القصر السلطانى ليلا ، ويلازمان بيبرس فى حله وترحاله ملازمة الظل والبطل الثالث أيدم البهلوان . وقد اشترك فى جميع الحروب والمعارك التى خاض غمارها الجيش المصرى . وشاهد من الأهوال ما يعجز القلم عن وصفه .

وفى القصة مجال واسع للجاسوسية ، وبراعة فى التخفى والتذكر . فمن أبطال الجاسوسية جمال الدين شيحة وأولاده ، وكانوا يعملون فى خدمة بيبرس بنشاط منقطع النظير ، فتراهم يتنكرون فى هيئة رهبان ، أو دراويش ، أو مجار من بلاد الروم ، أو من بسلاد العجم . وأحيانا فى صورة فتيات جميلات ، أو جوارى حبشيات ، ويطلون أجسامهم بألوان تناسب الحالة التى يتنكرون فيها ولهم مهارة فائقة فى تسلق جدران القصور والأسوار ، والحصون والقلاع ، والتسعلل إلى داخلها ليلا ، واستخدام البنج ليفقد العدو وعيه ، وحينئذ يحملونه ويهربون به .

وكان شيحة كما تصوره القصة حافظا للإنجيل، إذا رتل بصوته الشجى أثر في سامعيه إلى حد كبير. ويجيد التكلم بلغة الفرنجة، كماكان خبيرا ببلادهم وعاداتهم وتقاليدهم. لذلك كان إذا تنكر في هيئة بطريق مسيحي لم يستطع أحد أن يكشف حقيقة أمره.

وفى القصة نرى أحد رجال الدين المسيحى ، وهو البطريق جوان ، الذى جعله المؤلف لا يقل مهارة فى التنكر والتخفى عن شيحة ، وكان جوان حافظا للقرآن ، ولكثير من الأحاديث النبوية ، دارسا لأمهات الكتب اللغوية والنحوية ، وكتب الفقه والتفسير ، فاستطاع أن يدخل القاهرة متنكرا فى زى عالم مسلم اسمه الشيخ صلاح الدين ، وأن يظفر بوظيفة متنكرا فى زى عالم مسلم اسمه الشيخ صلاح الدين ، وأن يظفر بوظيفة . (م ١٨ - الأدب المصرى)

قاضى الديوان الملكى للصالح نجم الدين أيوب، وهى من الوظائف التي يشغلها أكبر علماء المسلمين وشرع جوان، أو الشيخ صلاح الدين، يدس الدسائس للكيد للمصريين حكومة وشعبا . ويراسل الفرنجة سرا، حاضا إياهم على غزو مصر واحتلالها . واتخذله مسكنا بحارة الروم.

والبيئة المصرية ظاهرة فى القصة ظهورا الاخفاء معه فلم تترك ناحية من نواحى الحياة المصرية دون أن توفيها حقها من البحث والتمحيص والتحليل كا ورد ذكر لكثير من أحياء القاهرة وحواريها وشوارعها ، كحى بولاق ، وباب الشعرية ، والحسينية ، ومصر العتيقة ، وباب الحلق ، والجماميز ، والبساتين ، وقلعة الكبش ، وقناطر السباع ، وشبرا ، والرميلة وغيرها ومن المدن : بنها العسل ، وقليوب ، والإسكندرية ، ودمياط وغيرها .

وإلى جانب ما تقدم نرى حيزا كبيرا يصور البيئة الشامية ، وبخاصة بيئة الفداوية والفداوية طائفة تعتنق مبادئ شيعية وتسكن فى بعض جهات الشام . وقد حاول صلاح الدين أن يقضى على نفوذها فلم يوفق . وظلت تتمتع بقوتها حتى خضعت أخيرا لبيبرس ، ولم يكن لها فى أيامه شأن يذكر . هذا ما سجله التاريخ ، ولكن القصة صورت الفداوية في صورة قوم جبابرة عتاة ، أولى بأس وقوة . ولهم سلطنة اسمها سلطنة القلاع والحصون . وهم يسكنون هذه القلاع ، وكل قلعة أو حصن حوله مدينة أو عدة مدن تتبعه . ويتمتع سلطانهم بحكم نافذ عليهم ، لا مردله ولا معقب لأمره . وهم لا يخضعون لأحد غيره ، ولا يحكم بينهم شخص سواه . وحتى هؤلاء الأبطال الذين عاونوا بيبرس كا براهيم الحوراني وسعد بن دبل لم يكونوا خاضمين لبيبرس إلا بأمر من سلطانهم شيحة ، وإذا حدث منهم ما يستوجب العقوبة تولى سلطانهم التحقيق معهم والحكم عليهم عا يراه .

ويكثر فى القصة استخدام البنج بوضعه فى الطعام أو الشراب، أو مم البخور، أو إلقائه فى المواقد. وأحيانا نرى السم بدله. كا يكثر فيها الاستعانة بالسحر.

وبالقصة ماشئت من ضروب التهكم وأنواع السخرية، والتحليل النفسى الدقيق ، والمسازق التى تسمى عقدة القصة ، وفيها من قوة الخيال مايبعث الدهشة ويثير الإعجاب. وبها صراع عنيف بين الخير والشر ، وشعر علمى لا قيمة له ، وهو غالبا فى المديح النبوى ، أو التوسل والاستغاثة . كان يتغنى به من حين إلى حين ترفيها عن السامعين وتنشيطالهم . وقد شغلت كرامات الأولياء جانبا كبيرا منها .

举 诛 诛

وبالقصة كلمات تركية مثل باشا ، وبك ، وطوبجبي ، وخانجبي . وكلمات إفرنجية مثل كرستيان ، ورين ودوكاتا . وجلف أى خليج .

ومن القصص التى دونت ، فى هذا العصر: سيرة الأميرة ذات الهمة ، ويبدو أن مؤلفها اطلع على تاريخ الحروب التى جرت بين المسلمين والدولة الررمانية الشرقية ، ثم وضع القصة لتصوير هذه الوقائع ، لا أكثر ولاأقل. وقد صور حياة أبطال العرب وفرسانهم ، وتجرى حوادثها بين جزيرة العرب والعراق والشام وآسيا الصغرى . ومن أبطالها : هارون الرشيد ، والمأمون ، وبعض أباطرة الروم . واستخدم فيها البنج والسحر فى نطاق ضيق . ولن تجد فيها على طولها سوى الحرب والغارات ، فتارة يكون ضيق . ولن تجد فيها على طولها سوى الحرب والغارات ، فتارة يكون النصر في جانب المسلمين ، وتارة في جانب الروم . ولن تسمع فيها غير عمليل السيوف ، ووقع سنابك الخيل ، ولن نرى غير الرءوس المتطايرة ، والأشلاء المتناثرة .

الفصل الأول الفصل الكتاب المنادس المفصل الكتاب بعض مشاهير الكتاب الشهاب الخفاجي

هو أحمد بن محمد بن عمرقاضي القضاة ، الملقب بشهاب الدين الخفاجي . أصله من سريا قوس .

. . . - Pr.1 a

نشأ فى بيت أدب وعلم وكان والده على جانب من الثراء · فاستطاع الشهاب أن يتفرغ للدرس والتحصيل · وكانشغفه بالعلم والأدب مع مارزقه من الموهبة الطبيعية من العوامل التي هيأت له مكانا عليا بين أعلام الكتاب في هذا العصر . وقد ترجم لنفسه في كتابه الريحانة ، فما قاله :

د فلما درجت من عشى قرأت على خالى ؛ يعنى أبا بكر الشنوانى ،
 سيبويه زمانه علوم العربية . ثم ترقيت فقرأت المعانى والمنطق وبقية العلوم .
 و نظرت كتب المذهبين : مذهب أبى حنيفة والشافعى . >

ومن أجل من أخذت عنه شيخ الإسهلام الشمس الرملي · حضرت دروسه الفرعية ، وقرأت عليه شيئا من مسلم ، فأجازني بذاك وبجميع مؤلفاته ومروياته » .

« ومنهم شافعی زمانه القطب العارف بالله تعالی الشیخ نور الدین الزیادی ، زاد الله حسناته ، حضرت دروسه زمانا طویلا . > « ومنهم العلامة فی سائر الفنون علی بن غانم المقدسی الحنفی ، حضرت دروسه ، وقرأت علیه الحدیث ، وکتب لی إجازة بخطه ، ومنهم العلامة الفهامة خاتمة حفاظ المحدثین إبراهیم العلقمی . قرأت علیه الشفاء بتمامه ، وأجازنی به وبغیره . وممن أخذت عنه العلامة أحمد العلقمی ، والعلامة محل الصالحی الشامی ، والعنایاتی . وممن أخذت عنه العروض الشیخ عمد المغربی العروف بركروك . وممن أخذت عنه الطب الشیخ دواد البصیر » .

د ثم ارتحلت مع والدى للحرمين الشريفين . وقرأت ثمة على الشيخ على بن جاد الله ، وعلى حفيده العصام وغيره › .

\* ثم ارتحات إلى القسطنطينية فتشرفت بمن فيها من الفضلاء والمصنفين. واستفدت منهم، وتخرجت عليهم، وهي إذ ذاك مشحونة بالفضلاء الأذكياء كابن عبد الغني، ومصطفى بن عربي، والحبر داود، وهو بمن أخذت عنه الرياضيات، وقرأت عليه إقليدس وغيره وأجلهم إذ ذاك أستاذي سعدالملة والدين ابن حسن. ولما توفي قام مقامه صنع الله، ثم ولداه. ثم انقرضوا في مدة يسيرة فلم يبق بها عين ولا أثر . وصار الدين ملعبة وسيخرية . وآل الأمر إلى اجتراء السلاطين والوزراء بقتل العلماء وإهانتهم . ولما عدت إليها ثانيا بعد ما توليت قضاء العساكر بحصر رأيت تفاقم الأمر ، وغلبة الجهل. فذكرت ذلك للوزير ظنا بأن النصح يفيد، فإذا هو كما قيل :

هو الوزير ولا أزر يشد به مثل العروض له بحر بلاماء

فكان ذلك سببا لعزلى وأمرى بالخروج من تلك المدينة ، وإظهار العداوة بمن هو فى زى العلماء ، مع أنه لم يبق بها أحديجسن قراءة الفاتحة > وترجم له صاحب خلاصة الأثر ، فما قاله :

د أحمد بن عمر قاضى القضاة ، الملقب بشهاب الدين الخفاجي المصرى. الحنفي . أصنله من سرياقوس . صاحب التصانيف السائرة ، وأحد أفراد الدنيا ، المجمع على تفوقه وبراعته »

«كان فى عصره بدر سماء العلم ، ونير أفق النثر والنظم . رأس المؤلفين ، ورئيس المصنفين . سمار ذكره سير المثل ، وطلعت أخباره طلوع الشهب في الفلك . وكل من رأيناه وسمعناه ممن أدرك وقته معترفون له بالتفرد في التقرير والتحرير وحسن الإنشاء وليس فيهم من يلحق شأوه ، ولايدعى ذلك مع أنه في الخلق من يدعى ماليس فيه »

وتآليفه كثيرة ممتمة مقبولة . وانتشرت في البلاد ، ورزق فيها سمادة عظيمة ، وأشعاره ومنشآته مسامة لامجال للخدش فيها ، والحاصل أنه فاق كل من تقدمه في كل فضيلة ، وأتعب من يجيء بعده . مع ما خوله الله تعالى من السعة وكثرة الكتب ، ولطف الطبع ، والنكتة النادرة . وله رسائل كثيرة ، ومكاتبات وافرة لم يجمعها ، ومقامات ذكر بعضها في ريجانته »

« وكان لما وصل الروم في رحلته الأولى ، ولى القيناء ببلاد الروم لى حتى وصل إلى أعلى مناصبها . وفي زمن السلطان مراد توصل حتى اشتهر بالفضل الباهر ، فولاه السلطان قضاء سلانيك ، فيصل بها مالا كثيرا ، ثم أعطى قضاء مصر . وبعد ما عزل عنها رجع إلى بلاد الروم : فر بدمشق وأقام بها أياما . ومدحه فضلاؤها بالقصائد ، واعتنى به أهلها وعلماؤها فأكرموا منزله . ودخل حلب ثم وصدل إلى الروم . وكان إذ ذاك مفتيها فأكرموا منزله . ودخل حلب ثم وصدل إلى الروم . وكان إذ ذاك مفتيها ومصر ، من الجرأة وبعض الطمع . فصنع مقامة و تعرض فيها للمولى ومصر ، من الجرأة وبعض الطمع . فصنع مقامة و تعرض فيها للمولى المذكور ، فكان ذلك سببا لنفيه إلى مصر وأعطى قضاء ثمة على وجه المعيشة ، فاستقر بمصر يؤلف ويصنف ويقرىء وأخذ عنه جماعة اشتهروا بالفضل فاستقر بمصر يؤلف ويصنف ويقرىء وأخذ عنه جماعة اشتهروا بالفضل

الباهر ، ، من جملتهم العلامة عبد القادر البغدادي ، والسيد أحمـد الحموى وغيرها · وقصده الطلاب من سأئر البلاد ،

وكانت وفاته - رحمه الله - فى رمصان سنة ١٠٦٩ وقد أناف على التسعين . وكان توفى قبله بثلاثة أشهر الفقيه الكبير محمد بن أحمد الشوبرى الملقب بالشافعى الصغير ، فقال فيهما السيد الأديب أحمد بن عد الحموى المصرى ، وكان يقرأ عليهما .

مضى الإمامان فى فقه وفى أدب الشوبرى والخفاجى زينة العرب وكنت أبكى لفقد الفقه منفردا فصرت أبكى لفقد الفقه والأدب

#### ومن آثاره التي وصلتنا :

- ١ حقصائد الخفاجي ، مخطوط ٧٦ مجاميع دار الكتب .
  - ٧ ريحانة الألبا ، وزهرة الحياة الدنيا · مطبوع .
    - ٣ خمايا الزوايا فما في الرجال من البقايا . مخطوط ٠
      - عراز المجالس · مطبوع ·
      - ه ـــ البوارح والسوائح مطبوع .
        - ٣ \_ النفحة القدسية مطبوع `
      - ٧ \_\_ عناية القاضي وكفاية الراضي . مطبوع .
  - ٨ \_ حاشية على شرح الجرجاني على المفتاح . مطبوع :
- . p \_\_ ديوان شعره · مخطوط بمكتبة الجامعة الأزهرية ·
- 1 ـــ شفاء الغايل فيما في كلام العرب من الدخيل · مطبوع ·

وتدل مؤلفات الشهاب الخفاجي على تمكنه من الأدب العربى القديم، وحفظه لكثير من شعر القدماء. فإذا أورد فى خلال تراجمه لمعاصريه شيئاً من شعرهم أتبعه فى كثير من الأحيان بما يماثله من آثار السابقين ، وهو ناقد بارع ، وكاتب لا يشق له غبار . يناقش ويجادل كما ترى فى كتابه طراز المجالس ، وغيره من كتبه ،

#### ۲

### مرعى بن يوسفمه الحنبلي

#### A1 . TT ...

مرعى بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى ؛ نسبة إلى طور كرم ؛ بلدة بالقرب من نابلس ، ثم المقدسى . أحد كبار عاماء الحنابلة بمصر . وكان له الباع الطويل فى العلوم الدينية والأدبية .

حضر إلى القاهرة ودرس على شيوخها . ثم تصدر للتدريس بالجامع الأزهر ، وأسندت إليه مشيخة جامع السلطان حسن حيناً من الزمن . وكان منهمكا على العلوم انهما كاكلياً ، فقطع زمانه بالإفتاء والتدريس ، والتيحقيق والتصنيف ، فسارت بتاكيفه الركبان . ومع كثرة أضداده وأعدائه ماأمكن أن يطعن فيها أحد ، ولا أن ينظر بعين الإزراء فيها . وقد ترجم له صاحب خلاصة الآثر ، وذكر أنه له ديوان شهر . ومن مؤلفاته :

- . ١ ديوان شعره . ولم يصل إلينا
- ٢ ـ مسبوك الذهب في فضل العرب ، مخطوط تيمور
  - ٣ \_ غاية المنتهى في الفقه . مطبوع
- ٤ ــ الكواكب الدرية في مناقب آبن تيمية . مطبوع
- عقيق الرجحان بصوم يوم الشك في رمضان · مخطوط تيمور .
- ٣ ـ توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان . مخطوط تيمور

٧ - قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن · مخطوط
 ٨ - نزهة الناظرين فيمن ولى مصر من الخلفاء والسلاطين . مخطوط

٩ ـ جامع الدعاء وورد الظهاء، مخطوط

١٠ ـ بديع الإنشاء والمراسلات. مطبوع

وله غير ذلك ، ومن شعره :

لئن قلد الناس الأئمة إنى لنى مذهب الجبر ابن حنبل راغب أقلد فتـــواه وأعشق قوله وللناس فيا يعشقون مذاهب توفى بالقاهرة فى شهر ربيع الأول سنة ١٠٣٣ هـ

٣.

## عبد البر الفيومي

#### A 1.YY - . . .

هو (1) عبد البر بن عبد القادر بن مجذ الفيو مى العوفى الحنفى ، أحد أدباء الزمان المتفوقين ، وفضلائه البارعين . كان كثير الفضل ، جم الفائدة ، شاعرا مطبوعا ، مقتدراً على الشعر ، قريب المأخذ ، سهل اللفظ ، حسن الإبداع للمعانى ، مخالطا لكبار العلماء والأدباء ، معدودا من جملتهم . درس فى مصر على شيوخ عصره . ثم درس فى مكة وفى دمشق والقسطنطينية ، ولازم الشهاب الخفاجى مدة من الزمن . وولى بعض المناصب فى خارج البلاد المصرية وألف كتبا كثيرة أشهرها كتاب « منتزه العيون والألباب فى بعض المتأخرين من أهل الآداب » جعله على طريقة الريحانة إلا أنه رتبه على حروف المعجم وزاد عليه معاصريه ، وقد اشتهر هذا الكتاب فى بلاد الشام ، وكان من المصادر التي نقل عنها المحبى صاحب خلاصة الأثر ، ولم يصلنا هذا الكتاب .

<sup>(</sup>١) خلاصة الأثر ٢/٠٥١

1

## عبد القادر البغدادى

#### . . . \_ TP.1 a

هو عبد (١) القادر بن عمر البغدادى نزيل القاهرة ، الأديب المصنف كه الرحال الباهر الطريقة في الإحاطة بالمعارف والتضلع من الذخائر العلمية وكان فاضلا بارعا ، مطلعاً على أقسام كلام العرب النظم والنثر ، راويا لوقائعها وحروبها وأيامها . وكان يحفظ مقامات الحريرى وكثيرا من دواوين العرب على اختلاف طبقاتهم . وهو أحسن المتأخرين معرفة باللغة والأشعار ، والحكايات البديعة مع التثبت في النقل وزيادة الفضل ، والانتقاد الحسن ، ومناسبة إيراد كل شيء منها في موضعه مع اللطافة وقوة الذاكرة ، وحسن المنادمة ، وحفظ اللغة الفارسية والتركية ، وإتقانهما كل الإتقان و معرفة الأشعار الحسنة منهما ، وأخبار الفرس .

خرج من بغداد وهو متقن لهذه اللغات الثلاث ، وورد دمشق و قرأ بها على بعض علمائها ، ثمرحل إلى مصر سنة ، ٥ ١٠ه وأخذ العلوم الشرعية و آلاتها النقليه والعقليه عن جمع مر مشايخ الأزهر ، أجلهم الشهاب الخفاجي والشبر املسي ، وأكثر لزومه كان للخفاجي . قرأ عليه كثيراً من التفسير والحديث والآداب ، وأجازه بذلك و بمؤلفاته ،

وكان الخفاجى مع جلالته وعظمته يراجمه فى المسائل الغريبة لمعرفته مظانها ، وسعة اطلاعه وطول باعه . حكى أنه قال إن ما حفظه قطرة من غدير الشهاب . وأنه استفاد علومه الأدبية منه .

ولما مات الشهاب تملك أكثركتبه ، وجمع كتباكثيرة . قيل إنه كان.

<sup>(</sup>١) أَخْلَاصَةُ ٢/١٥٤

يملك ألف ديوان من دواوين العرب العاربة · وألف المؤلفات القائقة أشهرها خزانة الأدب، وشرح شواهد الكافية للرضى، ووضع حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام.

سافر إلى درنة مرتين، ثم رجع واستقر بمصر إلىأن توفى بهاسنة ١٠٩٣هـ

\* \* \*

ومن كتاب هذا العصر: ابن حجر الهيتمي، والشعراني، وعبدالرءوف المناوى، وعبد الله الإدكاوى، والخشاب وغير هؤلاء كثيرون.

# الفصل الثاني بعض مشاهير العلماء

ا داود الأنطاكي

هو الحكيم (١) داود بن عمر البصير الأنطاكي نزيل القاهرة، الحكيم الطبيب المشهور ، رأس الأطباء في زمانه ، وشيخ العلوم الحكمية ، وأعجوبة الدهر .

ولد بأنطاكية وفي السابعة من عمره أصيب بمرض أعجزه عن الحركة . وكان والده شيخا لقرية حبيب النجار ، فاتخذ قرب مزار هــــذا الولى رباطا للواردين ، وبنى فيه حجرات للفقراء والمجاورين ، ورتب لها فى كل صباح من الطعام مايكنى النازلين بها ، وخصص بعض المخدم للقيام بحمل الطعام وتوزيعه على الضيوف ، وكان المخدم يحملون داود إلى الرباط فيقضى به طول اليوم ، وفي المساء يعيدونه إلى منزل والده »

﴿ وَكَانَ إِذَ ذَاكَ قَدْ حَفَظَ القرآنَ ، ودرس مبادى ، اللغة العربية ، ولبث يدعو الله في سره وجهره أن يمن عليه بالشفاء . وذات يوم أقبل على الرباط رجل عجمى من أفاضل العجم ، اسمه مجل شريف ، وأخذ يدرس في الرباط . وكان داود يحضر هذه الدروس ، فأعجب العجمى بذكائه وحسن استعداده فعالج ساقيه حتى برى ، واستطاع أن يمشى على قدميه .

وبعد ذلك درس على العجمي علوم المنطق والرياضة والعلوم الطبيعية .

<sup>(</sup>١) خلاصة الأثر ٢ / ١٤٠

ثم مات والده ، واستولت الحكومة على ما تركه · فخرج داود من دياره. قاصدا مصر . وفي طريقه إلى مصر عرج على جبل عامل فأخذ عن مشايخه . ثم دخل دمشق واجتمع بعلمائها · ثم جاء إلى مصر وأقام فيها مدة من الزمن .

وكان إذا سئل عن شيء من الفنون الحـكمية والطبيعية والرياضية أملى على السائل في ذلك ما يبلغ الـكراسة والـكراستين ، كما هو مشهور مثل. ذلك عن الشيخ الرئيس أبى على بن الحسين .

وله من التآليف والرسائل والأشعار المزرية بروض الخائل ما هو بأيدى الناس مألوف . منها تذكرته في الطب وهي مشهورة . وله رسالة في الحمام ألفها باسم الأشتاذ البكرى . وشرح قصيدة « النفس > المشهورة لابن سينا، « وهو شرح فصل فيه حقيقة النفس وجوهرها النفيس، يرضى السائل وإن كان الشييخ الرئيس >

وقد دافع عنه صاحب خلاصة الأثر ، ونفى عنه التشيع ، ولكن تلميذه مدين القوصونى الذى درس عليه الطب قال عنه (إنه (١) كان شيعيا مخالفا لعقيدة الأشعرية ، وهم الذين يثبتون لله صفات قديمة ، ويثبتون الإمامة بالاتفاق والنص ، وموافقا لعقيدة الشيعة وهم الذين بايعوا عليا ، وقالوا بإمامته نصا ووصية ، والحق أحق أن يتبع فى بيان معتقد الإنسان ، وصاحب الترجمة من هذا القبيل ، فكم له من اعتقادات فاسدة ، وأقاويل كاذبة »

وقال تلميذه الشهاب الخفاجي في الريحانة (٢) ( . . . إلا أنه كان على مذهب الحكماء ومشرب الندماء ، ولذا كثر كلام الناس في اعتقاده ، ونقل عنه رشح قطر من خني إلحاده › .

<sup>(</sup>١) خلاصة الأتر ٢/١٤٤ (٢) ص ٢٧١

ومن مؤلفاته التي وصلت إلينا:

إن هة الأذهان في طب الأبدان .

٧ – النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة .

٣ - تذكرة أولى الألباب، والجامع للعجب العجاب « تذكرة داود،

٤ ـــ تزيين أسواق العشاق ٠

# مر تضي الزُّبيدي

#### A14.0\_\_1120

هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرازق الشهير بمرتضى الحسيني الزبيدي الحنف في .

ولد سنة ١١٤٥ بزبيد ونشأ بها ، ثم رحل في طلب العلم وحج مرارا ، واجتمع بعلماء مكة وأخذ عنهم كالشيخ عبدالله السندى ، والشيخ عمر بن أحمد بن عتيل المركى ، وعبدالله السقاف وغيرهم ، كما قرأ على الشيخ عبد الرحمن العيدروس مختصر السعد ولازمه ملازمة كاية وألبسه العيدروس الحرقة وأجازه عروياته ومسموعاته ، وأغراه بالرحلة إلى مصر بماوصفه له من علمائها وأمرائها وأدبائها .

فقدم إلى القاهرة في تاسع صفر سنة ١١٦٧ ه وسكن بخان الصاغة . وأول من عاشره وأخذ عنه السيد على المقدسي الحنني من علماء مصر . وحضر دروس شيوخ الأزهر في ذلك الوقت كالشيخ أحمد الملوى والجوهري والحنني والمبليذي والصعيدي والمدابغي وغيرهم . وتلتى عنهم وأجازوه ، وشهدوا بعلمه وفضله ، وجودة حفظه .

ثم اتصل بالأمير إسماعيل كتخدا عزبان فأغدق عليه الأموال . فحسنت حاله ورغدعيشه ، واشتهر ذكره عندالخاص والمام . ولبس الملابس الفاخرة ، وركب الخيول المسومة ، وسافر إلى الصعيد ثلاث مرات . واجتمع بأكابره وأعيانه وعلمائه ، وأكرمه شيخ العرب همام ، وأولاد نصير وأولاد وافى ، وأتحقوه بالهدايا النفيسة .

وكذلك ارتحل مرارا إلى الجهات البحرية مثل دمياط ورشيد والمنصورة وغيرها · وأكرمه أهلها ورحبوا به وأحسنوا ضيافته · وصنف عدة كتب عن رحلاته في الوجهين البحرى والقبلى تحتوى على لطائف ومحاورات ومدائح نظها و نثرا ·

وكناه السيد أبو الأنوار بن وفا بأبى الفيض ، وذلك فى السابع عشر من شعبان سنة ١١٨٢ هـ

ثم تزوج وسكن بعطفة العسال مع بقاء سكنه بوكالة الصاغة. وشرح القاموس فى نحو أربعة عشر مجلدا ساه ﴿ تَاجُ العروس ﴾ ولما أكمله أولم وليمة حافلة جمع فيها طلاب العلم ، وأشياخ الوقت بغيط للمدية سنة ١١٨١ه وأطلعهم عليه ، واغتبطوا به ، وشهدوا بفضله وسعة اطلاعه ، ورسوخه فى علم اللغة ، وقرظوه نثرا ونظما .

ولما أنشأ محمد بك أبو الذهب جامعه المعروف بالقرب من الأزهر وعمل فيه خزانة للكتب ؛ اشترى نسيخة من تاج العروس بمائة ألف درهم ·

ثم انتقل إلى منزل بسويقة اللالا ؛ تجاه جامع محرم افندى ، بالقرب من مسجد شمس الدين الحنفى ، سنة ١١٨٩ه وكانت تلك الخطة عامرة إذ ذاك بالأكابر والاعيان ، فأحدقوا به وتحبب إليهم ، وأنسوا به وهادوه. وهو يظهر لهم الغنى والتعفف ، ويعظهم ويفيدهم ، فأقبلوا عليه من كل جهة ، وأتوا لايارته من كل ناحية ، ورغبوا في معاشرته لكونه غريبا ، وعلى غير

هيئة العلماء للصريين وشكلهم ـ ويعرف اللغتين الفارسية والتركية

ثم شرع فى إملاء الحديث على طريقة القدماء من ذكر الآسا بيد والرواة والمخرجين من حفظه على طرق مختلفة ، وكل من قدم عليه يملى عليه الحديث المسلسل بالأولية ، وهو حديث الرحمة برواته و مخرجيه ، ويكتب له سندا بذلك ، وبإجازة وسماع الحاضرين ، فأعجب الناس بمنهجه وواظبوا على حضور دروسه

وذهب إليه علماء الأزهر وطلبوا منه إجازة فقال لهم: لابد من قراءة أوائل الكتب، واتفقوا على الاجتماع بجامع شيخون بالصايبة يوى الاثنين والخيس، ليكونوا بعيدين عن أعين الناس، وشرعوا في قراءة صحيح البخارى، ولكن أهل الخطة مالبثوا أن سمعوا بهذه الاجتماعات، فازدادت مكانة الزبيدي ارتفاعا في نظرهم، وعلت منزلته عندهم، فغروا هذه الاجتماعات،

وانتقل من الرواية إلى الشرح والتعليق ، وأعجب الناس بشرحه و توضيحه ، وصار درسا عظيما ، كما يقول الجبرى ، فخشى شيوخ الأزهر على سممتهم العلمية من السقوط في أعين الجمهور ، فانقطموا عن الحضور

فاستمر الزبيدى فى إلقاء دروسه ، وصار يملى حديثا من المسلسلات، أو فضائل الأعمال ، ويسرد رجال سنده ورواته من حفيله ، ويتبعه بأبيات من الشعر ، فيتعجب الحاضرون مر ذلك ، لأنهم لم يعهدوا مثل هذا من المدرسين المصريين

وافتتح درسا آخر في مسجد الحنني، وقرأ كتاب الشمائل النبوية للترمذي في غير الآيام المعهودة بعد العصر ، فازدادت شهرته ، وأقبل الناس من كل ناحية لسماعه ومشاهدة ذاته ، ودعاه كثير من الأعيان إلى بيوتهم، وعملوا من أجله ولائم فاخرة . وكان يذهب إليهم مع خواص الطلبة، والمقرى ،

والمستملى وكانب الأسماء فيقرأ لهم شيئًا من الحديث كثلاثيات البخارى أو الدارى ، أو بعض المسلسلات بحضور الناس وصاحب المنزل وأصدقائه وأحبابه وأولاده ، وبناته و نسائه من خلف الستائر وبين أيديهم مجام البخور بالعنبر والعود مدة القراءة ، ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على النسق الممتاد ، ويكتب (١) السكاتب أسماء الحاضرين والسامعين حتى النساء والصبيان والبنات ، واليوم والتاريخ ويكتب الزبيدى تحت ذلك صحيح ذلك ، وهذه كانت طريقة المحدُّ ثين القدماء

وانجذب إليه بعض الأمراء الكبار، وسموا إلى منزله، وترددوا لحضور مجالس دروسه وواصلوه بالهدايا الجزيلة، فاشترى الجوارى، وأقام الولائم، وأكرم الواردين عليه والوافدين إليه من الآفاق البعيدة

ولما حضر الوالى محمد عزت باشا رفع شأنه عنده ، وأصعده إليه ، وخلع عليه فروة سمور ، ورتب له مقدارا من اللحم والسمن والأرز والحطب والخبز . وعلوفة جزيلة من وقف الحرمين وغيره من الأوقاف . وأنهى إلى الدولة شأنه فعينت له مبلغا من النقود يصرف له يوميا ، وكان ذلك سنة الدولة شأمره ، وأستهر صيته ، ودعته الحكومة العثمانية لزيارة الاستانة سنة ١١٩١ه فقبل الدعوة ، ثم اعتذر عن عدم السفر

وترادفت عليه الرسائل والهدايا من أكابر الدولة العثمانية وأعيانها . وطارت شهرته في جميع أنحاء العالم الإسلامي . فكاتبه ملوك الترك وأمراء الحجاز والمين والهند والشام والعراق . وملوك شمال أفريقية وأعيان السودان . وكثرت عليه الوفود من كل ناحية ، وازدادت الهدايا الواردة

<sup>(</sup>١) هذه الطريقة لاقيمة لها في درس الأحاديث ولا في معرفة حسنها من ضعيفها . وإن كان القدماء دونوا أسماء السامعين فلرغبتهم في توثيق سماعهم لهذه الأحاديث . أما الطريقة التي لجأ الإيها الزبيدي فلا قائدة منها على الإطلاق لوجود الكتب المقطوع بصحتها .
( ١٩ — الأدب المصرى )

عليه . وجاءته هدية من أغنام فزان ، وهي عجيبة الخلقة ، عظيمة الجثة ، يشبه رأسها ، رأس العجل فأرسلها إلى أولاد الساطان عبد المجيد فأعجبوا بها . وجاءته طيور مختلفة الألوان والاشكال ، وكذلك الجوارى والعبيد ، فكان يرسل من طرائف الناحية إلى الناحية المستغرب ذلك عندها ، ويأتيه في مقابلها أضعافها وأتاه من طرائف الهند وصنعاء وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة كالعطور والمربيات والعود والعنبر مقادير عظيمة . وصارت له عند أهل المغرب شهرة واسعة ، ومنزلة رفيعة ، واعتقاد زائد . وربما اعتقدوا أنه قطب زمانه ، حتى كان أحدهم إذا ورد حاجا ولم يزر الربيدى ، ولم يصله بشيء لا يعتبر حجه كاملا . فإذا جاءه أحدهم سأله عن اسمه ولقبه وبلده وخطته وصناعته وأولاده ، وحفظ ذلك أو كتبه .

فإذا وفد عليه قادم من هذه الجهات سأله عن اسمه وبلده . فيقول له : فلان من بلدة كذا . فلا يخلو إما أن يكون عزفه من غيره سابقاً ، أو عرف جاره أو قريبه فيقول له : فلان طيب ؟ فيقول : نعم سيدى . ثم يسأله عن أخيه فلان ، وولده فلان ، وزوجته وابنته . ويشير له باسم حارته وداره وماجاورها . فيقوم ذلك المغربي ويقعد ، ويقبل الأرض تارة ، ويسجد تارة ، ويعتقد أن ذلك من باب الكشف الصريح . فتراهم في أيام طلوع بالحج ونزوله مزدهمين على بابه من الصباح إلى الغروب . وكل من دخل منهم قدم بين يديه مبلغاً من المال ، أو مقدارا من الشمع أو المحر على قدر ويلتمسون منه الأجوبة ، فمن ظفر منهم بقطعة ورقة ولو بمقدار الأنملة في أنام طفر منهم بقطعة ورقة ولو بمقدار الأنملة فكأنما ظفر بحسن الخاتمة ، وحفظها كالتميمة ، ويرى أنه قد قبل حجه . وإلا فقد باء بالخيبة والندامة ، وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ، ودامت حسرته إلى يوم ميعاده .

وشرع فى شرح كتاب إحياء علوم الدين للغزالى وبيض منه أجزاء أرسلها إلى الأستانة والشام والمغرب ليشتهر كا اشتهر شرح القاموس ، ويقبل الناس على طلبه واستنساخه .

وماتت زوجته سنة ١١٩٦ ه خزن عليها حزناً شديداً ، ودفنها بالقرب من ضريح -السيدة رقية وشيد لها ضريحاً ، ولازم قبرها أياما كثيرة . واجتمع عنده الناس والقراء والمنشدون . وقدم لهم الطعام من الثريد والمكسكسي والقهوة والشربات . واشترى قطعة أرض بجوار قبر زوجته وبناها بيتا وفرشه وسكن فيه أمها. وكان يبيت به أحياناً وقصده الشعراء بالمراثي فقبلها منهم وأجازهم ورثاها هو بقصائد . فما جاء في إحداها قوله:

وكذاك فعل حوادث الأيام وتمايلت أكوارها بسلام أحلامنا من قاعد وقيام غير السكا والحزن والأيتام

نعم الفتاة بها فجمت غدية شدت مطايا البين ثم ترحلت رحلت وحلت مليا غداة تحملت ما خلفت من بعدها في أهلها

٤...

ثم تزوج بعدها بأخرى ، وهى التى مات عنها وأحرزت ما جمعه من مالوغيره ، ولما بلغ ما لا مزيد عليه من الشهرة وبعد الصيت ، وعظم القدر والجاه عند الخاص والعام ، وكثرت عليه الوفود من شائر الأقطار ، وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها من كل ناحية ؛ لزم داره ، واحتجب عن أصحابه الذين كان يلم بهم قبل ذلك إلا في القليل النادر لغرض من الأغراض ، وترك الدرس والإقراء ، واعتكف بداخل الحريم ، وأغلق الباب ، ورد الهدايا التي تأنيه من أكار المصريين والأمراء ،

ولما حضر الوالى التركى حسن باشا لم يذهب الزبيدى لزيارته ، فزاره الوالى فى بيته ، وخلع عليه فروة شمور تليق به ، وأهداه حصاناً من كرام الخيل ، عليه سرج فاخر وعباءة ، قيمته ألف دينار . وكانت شفاعته عنده لا ترد . وإن بعث إليه رسالة تلقاها بالقبول والإجلال ، وقبلها قبل أن يقرأها ، ووضعها على رأسه ، ونفذ ما فيها فى الحال .

وأرسل مرة إلى أحمد باشا الجزار والى عكا رسالة ذكر فيها أنه المهدى المنتظر ، وسيكون له شأن عظيم · فصدقه الجزار ، وحفظ تلك الرسالة ضمن الأحجبة والتمائم التى يحملها · وكان يسر بذلك إلى بعض من يرد عليه من يدعى المعارف فى علوم الروحانيات ، ويعتقد صحته بلا شك · وكل من قدم عليه من جهة مصر سأله عن الزبيدى ، فإن أخبره وعرفه أنه اجتمع به وأخذ عنه ، وذكره بالمدح والثناء أحبه وأكرمه ، وأجزل صلته ، به وأخذ عنه ، وذكره بالمدح والثناء أحبه وأكرمه ، وأجزل صلته ، وإن وقع منه خلاف ذلك أعرض عنه وأقصاه ، ومنع عنه بره ولوكان من أهل الفضائل ، واشتهر ذلك عنه . ولم يزل على حسن اعتقاده فى الزبيدى حتى مات كل منهما .

واتفق أن السلطان محمد صاحب بلاد المغرب أرسل إليه عدة هدايا قبل عزلته وزهده في الهدايا ، وكان الزبيدي يقبل هذه الهدايا بالحد والثناء والدعاء · فأرسل إليب سنة ١٢٠١ هدية عظيمة ، فردها وامتنع عن قبولها · وضاعت الهدية ولم ترجع إلى السلطان فلما علم بذلك أرسل إليه خطاباً يعاتبه ويوبخه على ما فعل · ويقول له إنك رددت الصلة التي أرسلناها إليك من بيت مال المسلمين · وليتك حيث تورعت عنها كنت فرقم على الفقراء والمحتاجين ، فيكون لنا ولك أجر ذلك ، ويلومه أيضاً على شرح كتاب الإحياء ويقول له : كان ينبغي أن تشغل وقتك بشيء نافع غير ذلك ، وللمترجم من المصنفات ·

(۱) شرح القاموس المحيط للفيروزبادي (۲) شرح إحياء علوم الدين

الغزالي (٣) النفحة القدسيه بواسطة البضعة العيدروسية (٤) الجواهر المنيفة في أصول مذهب أبي حنيفة بما وافق فيه الأئمة الستة (٥) العقد الفين في طرق الإلباس والتلقين (٢) حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق الفين في معنى لفظ درويش (٧) شرح الصدر في شرح أشماء أهل بدر (٨) التفتيش في معنى لفظ درويش (٩) رفع نقاب الخفا عمن انتمى إلى وفا وأبي الوفا (٧) بلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب (١١) إعلام الأعلام بمناسك حج بيت الله الحرام (١٢) زهر الأكمام المنشق عن جيوب الإلهام ، بشرح قصيدة سيدى عبد السلام (١٣) رشفة المدام المختوم السكرى من صفوة زلال صيغة القطب السكرى (١٤) رشف سلاف الرحيق في نسب حضرة الصديق القطب السكرى (١٤) رشف سلاف الرحيق في نسب حضرة الصديق (١٥) القول المثبوت في تحقيق التابوت (١٦) تنسيق قلائد المنن في تحقيق الماكمية على الفوائح الكشكية (١٩) هدية الإخوان في شجرة الدخان المكية على الفوائح الكشكية (١٩) هدية الإخوان في شجرة الدخان (٢٠) منح الفيوضات الوفية فيا في سورة الرحمن من أسرار الصفة الإلهية ملوك بني أيوب .

وله شعر كثير ، بعضه فى ترجمته التى أوردها الجبرتى ، وبعضه فى اللوائح الأنوارية ، وقد أصيب بالطاعون ومات سنة ١٢٠٥ ه

# - ٣ --الصبان

#### المتوفى سنة ٢٠٠٦ هـ

هو محمد بن على الصبان الشافعي . ولد بمصر ، وحفظ القرآن والمتون واجتهد في طلب العلم . وحضر أشياخ عصره وجهابذة مصره وشيوخه وبرع في النحو وألف حاشية على الأشموني وصفها الجبرتي بقوله « سارت بها الركبان ، وشهد بدقتها أهل الفضائل والعرفان » قال الجبرتي « وله

فى النثر كعب على ، وفى الشعر كأس ملى > ثم أورد جملة قصائد من. شعره · ثم قال « وكان فى مبدإ أمره ، وعنفوان عمره معانقاً للخمول والإملاق ، متكلا على مولاه الرزاق . يستجدى مع العفة ، ويستدر من غير كلفة > .

وعين مؤقتاً بالمدرسة الصلاحية بضريح الإمام الشافعي عندما جدده عبد الرحمن كتخدا وسكن هناك مدة ثم تركه وعين مؤقتاً في مسجد محمد أبي الذهب لما تم بنيانه . وبني له مسكناً في أعلى المسجد وأقام فيه مع زوجته وأولاده . ولما اضمحل وقف هذا المسجد تركه واشترى منزلا صغيراً بحارة الشنواني وأقام فيه ، واتصل بشيخ السادات محل أبي الأنوار ومدحه بقصائد جيدة يجدها القارىء في « اللوائح الأنوارية » .

وحين حضر قاضى العسكر عبد الله المعروف بططر زادة ، وكان متضلعاً من العاوم والمعارف ، وسمع بالصبان ، اجتمع به وأعجب به كل الإعجاب ، وأغدق عليه الأموال . فأثرى ولبس الملابس الغالية ، وركب الخيل الكريمة . ثم تعرف بإسماعيل كتخدا الوالى حسن باشا وتردد عليه قبل ولايته ، فلما أتته الولاية عصر زاد فى إكرامه وأولاه بره ، ورتب له ما يكفيه فى كل يوم من النفقات واللحم والسمن والأرز وأخبذ وغير ذلك . وأعطاه مقدارا كبيرا من الملابس الفاخرة . وأقبلت عليه الدنيا وازداد وجاهة وشهرة . وعمل فرحاً وزوج ابنه عليا .

فاءت إليه هدايا كثيرة ، وزاره الناس وأنعم عليه الوالى بمبلغ من المال وأنبس ابنه فروة يوم زفافه ، وكذلك أرسل إليه فرقة الموسيق وبعض الجنود في ليلة الزفاف

وقد أصيب المترجم بعد ذلك بالسعال و بمرض فى الرئة، ومات خَأَة ليلة الثلاثاء ثامن جمادى الاولى سنة ٢٠٦ه وصلى عليه بالأزهر فى مشهدحافل ودفن بالبستان

# الفصْلالنالث المؤرخورن وأصحاب السير

١

## ابن إياس الحنفى

#### A 45 - 104

هو محمد بن أحمد بن إباس الحننى . ولد بالقاهرة سنة ١٥٨ فى بيت مجد و نشأ فى عائلة كريمة ، فقد كان جده أحد كبار موظنى الدولة للصرية فى عهد السلطان الظاهر برقوق ( ١٠٨ ـ ٨٠٨) وترك ثروة مكنت ابنه ، والد للترجم ، من العيش الرخى . وكان والده كثير العشرة للأمراء وأرباب الدولة وقد أغنته ثروته عن الاشتغال بالأعمال الحكومية ، وورث المترجم هذه الثروة ، واستغنى بها عن التوظف ، وبذلك تفرغ لحياة العلم ، وأقبل على قراءة الدكتب الأدبية والتاريخية . ونظم الشعر وألف تاريخه المشهور .

وقد درس على جلال الدين السيوطى ، وعبد الباسط بن خليل الحنفى . وكان أخوه الجمالى يوسف موظفا كبيراً فى القلمة ، فاستطاع المترجم أن يقف على ماوقع من الحوادث السياسية فى عصره عن طريق أخيه ، فسجلها فى تاريخه ملتزما الدقة والأمانة .

ويعتبركتابه ﴿ بدائع الزهور › من أهم الكتب المؤلفة في تاريخ عصره لأن مؤلفه شاهد حوادث خطيرة ، ووقائع عظيمة ، فدونها في أمانة ودقة · ولم نجد أحدا من معاصريه اهتم بتاريخ هذه الفترة من حياة مصر . وقد وصف في تاريخه دولة المماليك وتطورها التازيخي وكيفية إدارتها وأحوالها الاقتصادية ، وحضارتها ومبانيها ، ومواكب سلاطينها وأعيادها . ومهاسم استقبال سفراء الدول الأخرى ، وما يصحب ذلك من الاحتفالات ، كما تكللم عن الأمهاض والأوبئة التي ابتليت بها البلاد المصرية ، مع أخبار مهمة تتعلق بالإحصاءات. ثم ذكر أعيان ذلك العصر من العلماء والشعراء والنساك وغيرهم . وامتازت الأجزاء الأخيرة من كتابه باستيعاب الأخبار.

وهو باحث بعيد النظر ، ثاقب الفكر ، منصف إلى أبعد حد ، وصف أحوال الدولة فى أواخر حكم الغورى ، وما طرأ عليها من الفساد والضيق المالى بسبب تحول التجارة الأوربية إلى طريق رأس الرجاء الصالح، وحرمان مصر من الأموال الطائلة التي كانت تجبيها على تلك البضائع ، واضطرار الغورى إلى إثقال كاهل الشعب بالضرائب الكثيرة التي كان يجمعها وينفقها في بناء القصور الفخمة

وتحدث عن الجيش المصرى وإهال الغورى له ، ثم وصف خروج السلطان إلى مرج دابق لمحاربة العثمانيين ، وكيفية انهزام الجيش المصرى وهلاك الغورى ثم وصف جهاد السلطان طومانياى ضد العثمانيين ، هذا الجهاد الذى انتهى إلى الهزيمة بسبب الخيانة وقلة العدد والعدد في الجيش المصري ، ثم تحدث عن أسر طومانباى وشنقه على باب زويلة . ووصف أعمال العثمانيين في مصر ، واعتداء هم على الأنفس والأموال ، وتخريبهم لكثير من الأبنية ، و نقلهم الرخام والأبواب والأعمدة إلى استنبول . وكذلك نقلهم الكتب والنفائس وترحيلهم مهرة العمال والصناع إلى هناك . وماقاساه الناس بسبب ذلك من الآلام ، وما تعرضوا له من البلاء والهلاك .

ووصف السلطان سليم بالعكوف على اللذات والانفماس فى الشهوات، تاركا الحركم لوزرائه يفعلون مايشاءون. ويقول إن ابن عثمان لم يكن يظهر إلا عند سفك دماء المماليك الجراكسة، وماكان له أمان إذا أعطاه لأحد

من الناس ، وليس له قول ولا فعل ، وكلامه ناقض ومنقوض . لا يثبت على قول واحد كعادة السلاطين، وليس له سماط يعرف، ولا نظام كعادة السلاطين في سماطهم الذي كانت تجلس عليه الخاصكية كل يوم . وأما عسكره «فكانوا جيعانين العين، نفسهم قذرة . يأكلون الأكل وهم راكبون خيو لهم في الأسواق وعندهم عقاشة في أنفسهم زائدة ، وقلة دين . يتجاهرون بشرب المخور في الأسواق بين الناس . يفطرون في رمضان ، وهم للصلاة تاركون ، حتى صلاة الجمعة . ولم يكن عندهم أدب ولا حشمة . وليس لهم نظام يعرف ، لاهم ولا أمراؤهم ولا وزراؤهم . وهم همج كالبهائم » ثم وصف فظائمهم، وخطفهم النساء للفسق بهن ، وتخريبهم الكثير من المباني ، وأخذهم أخشابها لاستخدامها في طعامهم أو بيعها بأبخس الأثمان

وقد أخذ ابن إياس على السلطان سليم أنه لم يكن له سماط منظم كعادة الملوك. وفاته أن سليم لم يكن مقيا إقامة ذائمة في مصر ، بل قدم فاتحا فكانت إقامته مؤقتة، وكان في شاغل عن الأسمطة والأطعمة بتنظيم إدارة البلاذ. والكشف عن مواردها ، وضبط أمورها حتى لاتفلت من يده وتخرج من حكمه أما احتجابه عن الناس فكان لخوفه على نفسه من مؤامرات المماليك. وأسلوب ابن إياس عليه طابع الإهال فهو كثير الخطأ اللغوى والنحوى. وقد طبع تاريخه عدة مرات آخرها الطبعة التي أخرجها لجنة المستشرقين وقد طبع تاريخه عدة مرات آخرها الطبعة التي أخرجها لجنة المستشرقين الألمان باستنبول سنة ١٩٣٢م

٣

# أحمد بن زنبل الرمال

من رجال القرن العاشر

هو أحمد بن أبى الحسن نور الدين المحلى الشافعي .كان موظفا بديوان الجيش إلى سنة ٩٦٠هـ وتعاطى الرمل والنجامة ومن مؤلفاته:

١ ـ فتح مصر على يد السلطان سليم
 ٢ ـ سيرة السلطان سليم ،وبه ذيل إلى فتح جزيرة رودس. مخطوط بألمانيا
 ٣ ـ تحفة الملوك ـ مخطوط ـ اكسفورد

عاش أحمد بن زنبل الرمال فى الوقت الذى تم فيه سقوط مصر فى أيدى العثمانيين . وألف كتابه ﴿ وقعة السلطان سليم بن عثمان فى فتوح مصر مع السلطان الغورى وطومانداى ›

وقد سرد الحوادث والوقائع دون أن يذكر لها تاريخا معيناً وإنما أرسل الكلام كأنه يقص قصة . واجتهد فى ذكر التفاصيل التى من شأنها أن تعطينا فكرة واضحة عما أظهرته قلة من المماليك من الكفاح والجهاد دفاعاً عن مصر ، وذودا عن استقلالها . ومن الأمور التى ذكرها ولم يشر إليها ابن إياس أن السلطان سليم عرض على طومانباى أن ينوب عنه فى حسكم مصر ، على أن تكون الخطبة والسكة باسم السلطان العثماني . ولكن طومانباى ومعه قلة من للماليك رفضوا ذلك رفضاً تاما بكل إباء وشمم ، وصمموا على الاحتفاظ باستقلال مصر أو الموت .

وأعطانا المؤلف فكرة عن الخيانات التي تفشت في صفوف المماليك . فقد أرسل بعضهم ممن كانوا يحكمون الشام نيابة عن سلطان مصر رسائل إلى سليم يطمعونه في الاستيلاء على الشام ومصر وإزالة ملك الجراكسة . وكانت خياتهم من أهم الأسباب التي أدت إلى هزيمة الجيش المصرى في من دابق ، تلك الهزيمة التي فتحت أبواب الشام ومصر أمام العثمانيين فدخلوا دون مقاومة كبيرة . وذكر أنواع الخديعة التي لجأ إليها العثمانيون ، والتي سهلت عليهم مهمة الغزو . وقال إن البنادق والمدافع الكثيرة التي استخدمها الغزاة كانت من أسباب انتصارهم .

ومن أهم ماجاء في الكتاب محاولة بعض المماليك استرجاع استقلال البلاد

وطرد العثمانييين منها. فما كاد يذاع نبأ وفاة السلطان سليم حتى قام بعض المماليك في الشرقية وجمعوا جيشاً من الفلاحين والعرب وبقية الجراكسة . فأرسل إليهم الوالى جيشاً مجهزاً بالمدافع والبنادق، فمالبنوا أن انهز مواوتبدد شملهم . وكذلك حاول الوالى أحمد باشا الملقب بالخائن أن يستقل بمصر في أوائل حكم السلطان سليمان ولكنه أخفق وقتل .

٣

# على بن نور الدين الحلبي

41 + 22 - 9YO

هو على بن إبراهيم بن على الملقب نور الدين الحلبي القاهري الشافعي ، صاحب السيرة النبوية .

ولد بمصر سنة ٩٧٥ ودرس على شيوخ عصره . وألف كتبا كثيرة ، منها ﴿ إِنسانَ العيونَ في سيرة النبي المأمونَ ﴾ قال صاحب خلاصة (١) الأثر ﴿ وقد اشتهارا كبيرا ، وتلقتها الأفاضل بالقبول ، وله مؤلفات كثيرة في الفقه والحديث ، واللغة والتاريخ ، والنحو والتصوف › •

« وكان أحد مشايخ المدرسة الصلاحية . وكان درسه مجمع الفضل الاء ، وعلى رحال النبلاء . وكان غاية في التحقيق ، حاد الفهم ، قوى الفكرة ، متحريا في الفتاوى ، جامعاً بين العلم والعمل ، صاحب جد واجتهاد، عم نفعه الناس فأتوه لأخذ العلم عنه من البلاد »

« وهو أجل أعلام المشايخ ، وعلامة الزمان ،كان جبلا من جبال العلم ، وبحرا لاساحل له ، واسع الحلم ، علامة جايل المقدار ، جامعا لأشتات العلا

<sup>177 / 4 (1)</sup> 

صارفا نقد عمره فى بث العلم النافع و نشره . وحظى فيه حظوة لم يحظها أحد مثله . وكان مهابا عند خاصة الناس وعامتهم ، حسن الخلق والخلق ، ذا دعابة لطيفة فى درسه مع جلالته . وكان الشيوخ يثنون عليه بما هو أهله من الفضل التام ، ومزيد الجلالة والاحترام > مات سنة ١٠٤٤ ودفن بالمجاورين

وكتابه المعروف بالسيرة الحلبية مطبوع ومشهور بين الناس. وكان بينه وبين أبى المواهب البكرى المتوفى سنة ١٠٣٧ هـ مودة أكيدة ، و باسمه ألف هذه السيرة ، كما ذكر ذلك في المقدمة

٤

# عبد الباقي الإسحاقي

#### المتوفى سنة ١٠٦٠هـ

هو مجل بن عبد المعطى الشهير بالإستحاقى المنوفى، الأديب الشاعرالفائق. كان قاضياً فاضلا، وعالماً مؤرخا، كثير النظم للشعر، صحيت الفكرة، جيد الأسلوب

قرأ ببلده منوف على شيوخ كثيرين ، وأخذ يتردد على القاهرة ويحضر في الجامع الأزهر للدراسة على علماء عصره . وله كتاب اسمه «لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول » مطبوع ، وكان مر المصادر التي اعتمد عليها الجبرتي في تاريخه ، وينتهي إلى سنة ١٠٣١ سرد الإسحاق في تاريخه هذا سيرة ولاة بني عثمان الذين حكموا مصر منذ السلطان سليم إلى عصره ، مع ذكر أعمالهم ، والحوادث الشهيرة التي وقعت إبان حكمهم ؛ على سبيل الاختصار ، وأورد فيه شعراً قليلا . أما ديوانه فلم يصل إلينا . وقد أورد له صاحب خلاصة الأثر قصيدة مطلعها :

أمــل لى كاسا تعاما واسقني جامــا فجامــا واجعل الدرة كاسها وخهل التبر مداما عم الكاس فإن الكاس ما كان تماما واتخذها سلما للهويس مو أن يساى وتوهم أنها الحب لي وإن كانت حراما ثم أزهى موضع في الروض فاختره مقاما وإذا شئت أن تس كر فاستدع الندامي وليكن خمرك عاديا وساقيك غلاما يمسلاً الكاسات والألحان برأ وسفاما يملأ القلب سرورا وانبساطا وغراما عابثا بالغصن أعطا فا وبالزهر ابتساما فهو المطلوب للمنج لس رأسا وإماما اسقنى بالكوب والكا س فرادى وتؤاما ثم بالكاس إلى أن تترآى الحام هاما ثم بالجرة فالج برة حتى أترامي اسقنى حينيًـــن بالرق حتى لا كلاما ثم بالدن فتلك ال غاية القصوى تماما ثم خدن عنى ماشد ت ولا تخش أثاما والتقط منى الجمان الفرد نثرا ونظاما

# محمد بن محمد بن أبي السرور البكرى

### المتوفى سنة ١٠٧٨ هـ

ولد محمد بن محمد بن أبى السرور بالقاهرة . ونشأ فى بيت أدب وعلم ، ودرس على شيوخ عصره . وفيه يقول صاحب خلاصة الأثر «كان من العلم

والتحقيق آية من آيات الله تعالى . ومن الولاية والتحقق غاية من الغايات . وكان فصيح العبارة ، طلق اللسان ، كثير الفوائد ، جم النوادر . وكانت الولاية عليه ظاهرة ، مع الدين المتين والعقل الكامل ، والتظاهر بالنعمة في الملبس والما كل والخدمة . وكان من أحسن الناس خلقا وخلقا ، مبجلا عند الكبراء والوزراء ، ذا جاه عريض ، معتقدا عند عامة الناس وخاصتهم، مسموع الكلمة ، مقبول الشفاعة ، يرجع إليه في مشكلات الأمور . رفيع الهمة ، كريم الأخلاق » .

ولد بمصر ونشأ بها . وحفظ القرآن وتأدب واشتغل بطلب العلوم وأتقنها ، وبرع فى كثير من الفنون لاسيا علم التفسير والحديث . وأقبل على التدريس إلى أن صار رئيس البيت البكرى ، فكان يدرس على عادة أسلافه فى الجامع الأزهر فى الليالى المشهورة كليلة المولد والمعراج ، والنصف من شعبان . ثم لما كبر ترك ذلك كله واستقل بالإفادة فى بيتهم المعمور > .

وذكره والد المحبى في رحلته إلى مصر فقال « عين أعيان هذه القادة ، وثمين درر هذه القلادة . فرع غصن الدوحة البكرية ، وفنن الشيجرة الطاهرة الصديقية التي لم تزل من البركة والسمو في النماء ، أصلها ثابت وفرعها في السماء . رونق الليالي والأيام ، وتاج رأس العلماء الأعلام » و من كتبه في التاريخ :

(١) عيونُ الأخبار ونزهة الأبصار (٢) النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية (٢) الوشى المرقوم من النطق المفهوم (٤) المنتج الربانية في تاريخ الدولة العثمانية (٥) اللطائف الربانية على المنتج الرجما نية .

وقد اعتمد الجبرتي على هذه الكتب وانتفع بها · وفي نهاية كتابه « عيـون الأخبار > خصص بابا لأخبـار الحشـاشين ونوادرهم ، وأخبار الجعيدية .

# مختار ات من الشعر المصرى في ظل الحسكم العثماني ا - يو مقد الحفناوي

قال الشيخ يوسف الحفناوي يمدح الأمير كتخدا رضوان:

ملا الفؤاد هوى ووجدا رشأ لعيني السهد أهدى نشر الجمال عليه بدردا ل فيزدرى بالبان قدا أشهى من الصهباء وردا أغصان تسجد إن تبدى ويسومها بالفتك جهمدا

لاحت عصر من السنا أقمار وبدا لصبح جبينها إسفار وجلت يد الإسماد من أرجائها 'ظامــا فلاح بوجهها أنوار بأميرهاردوان أوحد عصره السامي الذي هو للزمان جُبار ملك تؤم له الماوك وتنثني ولهـــا بنشر ثنائه تذكار ملك الممالي والفخار في اله مثل تحاول دركه الأفكار عزماته شهب النجوم وكفسه بحن له سحب النسدى تياد مولى ١١ المنكرمات عناية والجود أيد غيثها مسدرار ذلك تابره إلى اللب العلا همم ويسعفه لذاك نجاد أعلى مقام الجسد فهو به غدا ذا ثروة لم يعرها إقتساد وزهابه روض الكال فيا به إلا غصون زهرها معطار بامالكا رق المعالى دم لها سندا فتلك لها بك استنصار وقال عـــده:

. ترنج الأعطاف قد يختـال في حلل الدلا ري سازف حسديثه لدن القوام لقده ال يرنو فياحب بالنهيي ملك غدت بخال طله مته ملاح العصر جندا بجف و به النعس المدرا ض لقتال مغرمه تصدى وسيوف لحظيه اتخذ ن جوانح العشاق غمدا يغزونها سلباً ونم با النهى هزلا وجدا

فكأنها سرقت شبا عزمات رضوان المفداي فيعيدها من جموده ونواله بالعيش رغدا منن كأنواء السحا ثب تمجز الألباب سردا فاحت بنشر عسبيرها أيد من الأمطار أندى ومهابة ذلت لها اله آساد حين بها تحدى كعصى الكليم تلقفت من سحرهم ما قد أعدا بأس تحــاماه الملوك ك له الجبال تخر هـدا ولطيف طبع كالنسائم لم يدع في الناس حقدا بهما غدا متولياً أمر النهي حلا وعقدا وعلى سعد قد كِسا، ه من السنا عزا ومجـدا وأراه من غيب العوا قب ما لغايته استعدا يا طالما قد حث في تحصيل مطلبه عجدا يا ما لكا رق المعالى دم لها سندا معدبه لتصونها ممن يس وم جنابها في الدهر كدا وإليك ، در بلاغـة نظمته أيدى المدح عقدا حسن النسيج إلى جنا بك يوسف الحفني أهدى لم يكتسب إلا الأج ور به ثناء ثم حمدا إذ شكر من أسدى موا هب جوده فرض يؤدى. رغم لأنف حواســد قد جاوزوا في الاوم حدا قالوا لحقد قلوبهم هدنا بمدحته تعدى فتغاض عنه ولا تباً لغ في التأمل فيه نقدا إن الكريم إذا رأى خللا تغاضى عنه قصدا لا زال جاهك منهلا عذبا وللعافين وردا

وقال يمدحه من قصيدة طويلة :

مولاى بل مولى الأنام وملجئي رضوان ذي الجاه العلى الأرفع غوث العفاة وغيث كل مؤمل بظل إذا لمعت بوارق سيفه تغنيه شدة بأسه وسطاه عن مولى إذا شاهدته وسمعته أنست به الآيام ما قد أسلفت بل أين للأمم السوالف سيد لويبذل الدنيا استقل عطاءه أو أين للجلني قرم مشب هيهات لم تلد النساء مثاله يا ما نحى غرر المكارم بعد أن شكراً لنعماك التي ما شاهدت لا زلت لي ولـكل من أم الحمي متمتعاً بعزيز جاهك حائزا وإليك أبياتا بمديجك قد غدت تمشى على استحيائها إن لم تكن يرجو بها الحفني يوسف غفرما فانظر بفكرك لطف رقتها ودع

وقال يمدحه:

بدر المسرات في أفق السماء له وبلبل المبدح فى أفنان عاطره

وافى الرحاب بـــذلة وتخضع عند العطاء يريك بذل يمينه سمحا سحائب جوده لم تقلع غربت صوارم كل شهم أشجع حمل الظبي بل ذاك أعظم موقع أغناك عن مرأى سواه ومسمع من كل قرم أو جواد مسرع بالبشر يلتى الوافدين إذا دُعي لرفيع همته التي لم تشفع يردى العتاة ببأسه المترفع وسواه بالعلياء لم يتمتع لم ألق غيرك إبالمواهب ممتعى عینی لها مثلا ولم تستتبع حصناً منيعاً في الزمان الموجع قصب المنى فى مشرع أو منزع تختال تيها في حلي أبدع أهلا لخدمة ذا الرحاب الأوسع قد كان من تقصيره في المرجع ياصاح قف بي في حمـــاه وودع.

من طالع السعد إشراق وإسعاد يتلو البشائر والأوقات أعياد فقم بنا نجتلی الصهباء صافیہ یسعی بہا بابلی اللحظ میاد (م ۲۰ – الآدب المصری ۷

تعطيك مهما رنا وعدا لحواظه وإن ترم صدقها فالوعد إيعاد تخال منه جلالا لاح مقتبسا من عز كملك له الآمال تنقاد رضوان من عرفت بالفوز عزمته فللورى منه إسعاف وإسعاد عين الجلال جمال الملك من خضعت لعز سلطانه المرهوب آساد كهف منيع ملاذ عد"ة سند شهم فريد له قد عز أنداد تعنو لسُدَّته كي تستفيد هدي أو تجتني المجد سادات وأمجاد مثل السحائب أخلاقا غدت يده للسلم صوب الحيا والحرب إرعاد تسح بالجود دأباً للورى فلهم من فيض جدواه إصدار وإيراد وتنتضى في الوغي ماض ضواربه له نفوس العدا في الحال أغماد ماقد نحاه إلى علياه إسـناد هيهات لايبلغ للثنى خصائصه هل يستطاع لقطر الحب تعداد حسب المديح علوا حيث أسنده إلى معاليه إنشاء وإنشاد ياخير من خفقت بالمجد رايته أوطاف حول حماه الرحب قصاد خذها عقيلة فكرود سامعها أن لايزال لها في الذكر إيراد

فما للفاخر والمجد الأثيل سوى لازلت تسموسمو الشمس في صعد يحفّ ملكك تأييد وإسعاد

### وقال يمدحه من قصيدة:

يا بدر أفق طالع في أفق حسن ينجلي ماملت فيك ولا صغي ت لقولة من عذلي أنا من طريقتهم ومن عدوانهم في معزل أضحت شمائل فاتنى مثل الغصون الميل كسف البدور ضياؤه بجمال حسن أكمل وعيونه تزرى المها ببهاء طرف أكحل ماسحر بابل عندها إلا كتحبة خردل أرخى العذار بخده فكأنه البدر الجلي

أو سطر حسن قد بدا في هالة الأفق العلى ومداده من شكله ماء الجمال الأجل وعليه عقرب صدغه كالحارس المتسوكل يايوسف الحسن الذي يسبى عيون الكحل واصل محبا ذاب من حر الغرام المشعل فإذا مطلت فإنني أسلو بمدح الأكمل رضوان كوك مصرنا بحر النوال الأشمل لوجوده الدهر اكتسى ثوب النضارة والحلي يامن له شأن على لم يشن بتبذل وله الأيادي البيض في تفصيلها والمجمل لست الموفي بالمديد حمدي علاك الأفضل . لوكنت في نظم القري ضكأخطل أودعبل لكن دعتني للنظام صناعة المتمثل لازلت أحلى مشرب أبدا وأعذب مورد وظللت تسمو في الأنام بمجدك المتأثل ومحط جاه الوافد بن المجتدى والمجتلى

### وقال يمدحه:

مولاى لأبرحت أياديك العلا يهمى على الوراد غيث هباتها وسماء عزك ساطعاً ببروجها شمس القبول على مدى آناتها وحسام جاهك في عداتك واردا لباتها والناس في غفلاتها و بحار جودك تقذف الدرر التي عزت لمن يرجو جميل صلاتها غرر بها الميقات تم لقاصد حرم المني والسعى من ميقاتها أهدى إلى أفرائدا تروى الظها وتبل ُغلة من أتى ساحاتها

وتبث شكر صلات راحتك التي غمرته بالمأمول من قطراتها

ردحان مجدك راشفا راح الهنا والأنس صرفا من أكف سقاتها لا تخش من دنياك في طول المدى بأسا فسمدك مظهر عزاتها وإليك من صافى الوداد تحية تهديك من غرر الدعا عمراتها

# ٢ \_ الشهاب الخفاجي

قال :

قدحت رعود البرق زندا أضرمن أشجانا ووجدا في خمة الظلماء إذ مدت على الخضراء بُودا حتى تثاءب نوره وتمطت الأغصاب قدا وأتى الشقيق بعجمر للروض أوقد فيه ندا وعلى الغدير مفاضـة سردت له النسمات سردا وحبابه من فوقه قد بات يلعب فيه نردا فســقى معاهد بالحمى قد أنبتت حياً ووردا تذر الليالي في ثرى من عنبر للمسك أهدى عجبا لدر ناصع أودعن في مسك مندي فى ظل عيش ناعم بنسيم أسحار تردى. والدهر عبد طائع أهدى لنا شرفا وسعدا مازال أصدق ناصيح كم قال لى هزلا وجدا سلم امرؤ عن طوره في كل حال ما تعدي فالخطب بحر زاخر فاصبر له جزرا ومدا لا يختشى لسع الزنا بير الذى يستام شهدا فى أذمة الأيام لل أحرار دين قد يؤدى إن ماطلت فلربما أنجزن بعد المطل وعدا

فإذا رمى طاطىء له رأسا تراه عنك عدى

أفبعد إخوانى الآلى درجوا أخاف اليوم فقدا عينى إذا استسقت بهم تستى أبدمع العين خدا لو كانت القطرات تج مد نظمت في الجيد عقدا قوم لهم يدعو الثنا من شاسع الأقطار وفدا كم في عكاظ نديهم جلبوا لهم شكرا وحمدا لا يشعرون بذخرهم إلا جميل الذكر نقدا أبقى لهم حسن الحديّ ث برغم أنف الدهر خلدا ورثوا المكارم كابرا عن كابر فرضا وردا من كل طود شامخ متسربل برداه مجدا أمست عيونا كلما ترنو إلى الأعداء حقدا تلتى الورى بنديهم نبكس العيون إذا تبدى لبس الجلال على الجماً ل قصد عنه الطرف صدا فهمو بسلطان التقى تخذوا قلوب الناس جندا أمسوا بغمد ضريحهم وبقيت مثل السيف فردا مالى أقيم ببلدة فيها بناء الدين هدا وبها الشهاب إذا سما يخشى من الشيطان طردا

#### وقال:

بت أرعى النجوم والإلف راقد هـل سمير الشهاب غير الفراقد فاسألوا النجم عن خفوق فؤادى ، واذكروا وجده بتلك المعاهد أيها الآمري بزهدي سمعا إنني اليوم في الزهادة زاهد كل زرع زرعته في شبابي فله منجل انحنائي حاصد أنا في الأرض ضارب دون كسب مشل ضرب لواحد في واحد وعجيب لمحنة أنا فيها كم لها من أسافل الناس حاسد

نبعة اشتق من علاها أناس أدبا حظه من اللؤم جامد سلم عندهم نقود متاعى والعطايا نسيئة غند جاحد لى غوص فى كل بحر لدر هو فى جيدهم حلا وقلائد جهلونى وليس تجهل ناد فوق أعلام همة أنا واقد غير أن الشهاب ليس خليلا لمريد لدى الغواية مارد ليت عينا إذا رنت لي رمدا منه أمست لها الرماح مراود. يا نسيا من الحمى هب أهسلا ببشير لي المسرة قائد أين عهٰد الصبا وخدى وساد للمها والوشاح بيض السواعد وبجيد الأيام عقد تصاب ليس غير الكئوس فيه فرائد في رياض المني بروق رواعد يرضع النور من ثدى نواهد كنت فيه عنوان كتب الحواسد فسواء أقارب وأباعد لیس فیه شیء یروق لرائی غیر بحر عذب اللهی والموارد. ورثته أحسابه كل فضل طارف بعد إرث ما هو٠ تالد زحلي الأضداد في كل فضل وهو في الدهر نكتة لعطارد عجبًا منه مالكا لى رقا وهو في رأفة المكارم والد. كم يراع بشكره يتغنى وبمحراب طرسه هو ساجد دارسات وحل قيد الأوابد عنده حاتم لطي معاود.

حيث غر الوجوه بين الأغاني فستى الله عهدها بعهاد أذكرتنى بالروم عهدا بمصر في زمان به اللامة دين کم خضم بجنب بحر نداه حبب عینه تری کل وارد فبفضلي أحييت منه دروسا وبجود لديك فضل ثنائي وبعدل ورثته عمريا كن معيني على زمان معاند وقال :

يا فاضح العين الغرير بسقام طرفك والفتور

ونبأهـة الثغر التي فضحت شذا نشر العبير

وشمي ائل الحسن الذي أضنى نسيات البكور ودع الفقيه وقل له في درسه أقوال زور ياما شيا أبدا على بطن إلى فقه القدور إِن ترتحل عنى أفيا في العير أنت ولا النفير يا أكمه الرأى الذي قاد الملامة للبصير أشبعت سممى وهولا يلتذ بالرأى الفطيير

أرحم معنى ناحلا لم يدر ما طعم السرور وانظر مدامع مقلة أمست ترحم عن أمورى فالسر منها ظاهر مبد لمستتر الضمير واكشف محياً فاتنا كالشمس في اليوم المطير واسمع أحاديث الهدوى فلقد سقطت على الخبير فمحبتى عماوية وعذول أشجاني حروري ولكم خلوت كمنيتى وقضيت من نحبى نذورى بحديقة فرشت لنا ديباج سندسها الحريرى لما تسللت الصبا بين الحديقة والغدير ومشت لتسترق الشذا في غفلة الروض النضير قــل للمذول على الظبــا سرح ، لامك في الحمير فيدع العنا لاتعترض بين النسيمة والزهور

#### وقال:

أأخشى ضيق صدر من لئيم وصدر البيد والطرقات واسع؟

#### وقال:

إذا لم تنفع الإنسان شكوى فإن شفاءه كتان دائه

إذا لم ألق في أمر شفيعا فتركى ما أريد أجل شافع

رداء الصبر أجمل ما تردى به حسر ينافس في دعائه

وقال:

الدياجي قتلتنا الراح صرفا فاقتاوها بالمزاج

وقسال :

سهـــام جفونه أعرضن عـنى . فأسرع فتكها وثمــا جواهــا فيالك أسهما تصمى الرمايا إذا صرفت إلى شيء سواها

وقال:

قد كان لى خل على نهج النفاق قد سلك ركبت مبلابس وده فقطعته من حيث رك.

وقال:

العرف قرض لمن تزكو مروءته بهوى الأداء له في حال مقدرته

وذاك قيد له إن لم يؤد فلا يفك إلا بشكر أو مكافأته

وقال:

أيها السائلي عن ابن فسلان وديون عليه دهرا مليا ليس يقضيك حبة من ديون ويكيل الأيمان كيلا وفيا إن تخاشنه في تقاضيه يوما صار بالحلف دينه مقضيا

وقال في ثقيل:

تكرهم الألحاظ منا لذا تلوذ بالأجفان منا اليعون

لازمنا فدم ثقيل فهل له على الأرواح منا ديون

#### وقسال :

كم من كريم قد بات في دعمة أتاه سيل الصباح بالنكد ورب فرخ أراشمه زمن فصار بالعز بيضة البلد وقال:

إن يعد ذو بغى عليك فحسله وارقب زمانًا لانتقام الطاغى واحذر من البغى الوخيم فلو بغى جبل على جبل لدك الباغى

## ٣ - عبد الله الإدكاوي

### قال في المدح:

وصل الحبيب وصح منه الموثق ووفى بموعده لهذا لم أقدل وأدار لى من مرشفيه سلافة فضممته ضم امرىء يخشى على فضممته ضم امرىء يخشى على ورشفت شهد سلافة كادت لها وهصرت منه معطفا لدنا فما الدولرب ليسل مربى بوصاله وإذا ذكرت له الصباح يقول لى وإذا شرعت مبالغا فى وصفه وإذا شرعت مبالغا فى وصفه ويقول دع وصفى وبالغ فى ثنا ويقول دع وسفى وبالغ فى ثنا ويقول دع ويقول دع ويقول الحدا ويقول دا المورد المورد

واغتاظ عاذلی الجهول الأحمق وعد الزیارة طرفه المتملق من طیب ریاها المجالس تعبق من دونه بیض الصفائح تمشق ما فی یدیه من الفوائد تسرق أعضای من فرط المسرة تنطق خصن الرشیق وما الردینی الارشق حلوا أكاد به سرورا أشرق والبدر وجه منه زاه مشرق فی وجنتی شمس وصبحی المفرق فی وجنتی شمس وصبحی المفرق یحمر من خجل هناك ویعرق من أمه لاشك فهو حقا ألیق من أمه لاشك فهو موفق بذیولها راجی المنی یتعلق بذیولها راجی المنی یتعلق

والجاه ما إن أمه ذوكربة إلا وعاد وأمنه متحقق والحكم والباس اللذين لديهما موت العدا وحياة جار يشفق والخلق والخلق اللذين كلاها في حسنه وجماله متأنق حاوى البراعة والشجاعة والندى قولا وأفعالا وجودا يدفق والهمة العليا التي قد أوجدت في عصرنا ما إن نراء يلحق يا بريا بحر الفواضل والحيا يا من بطلعته الدجى يتألق وعلاك أمبى يا هام وأسمق لله ما أبديته من عظهر فيه لعزك يا أميرى رونق هيأت عرساً للمحامد والثنا وأثمت سوقا للمدائح تنفق عرساً به بوران بارت مثل ما قطر الندى جفت وزال الرَّيِّـق كفء المكرم مَن علاه محقق عرساً به أظهرت شمساً حجبت عن أعين ترنو. لها أو ترمق دامت علاه برفقه تتمنطق عليا ودم ما دام ربك يخلق إنى بحبك فهو حقاً يصدق هي بالثناء وبالمدائح أوفق زاد العلى علاك يا جل المنى يا من حيا أيديه لا يترنق مذعم عرس المكرمات بصفوه وغدت أكف الحظ فيه تصفق. أنشأت فيه واصفاً ومؤرخاً عرس به بدر النهاني يحدق

هممم الرجال على مقادير العلا عرساً به أهديت بكر الخدر للـ هو أوحد الأمرا سميكذو العلا هذا قران السعد فاسمد يا أخا ال واسمع مديحاً من ُعبيد إن يقل وثناء در" في معاليك التي

وقال يمدح الإمام الشافعي :

لذ بالإمام الشافعي وانهض إليه وسارع واخضع لدى أعتابه ما فاز غير الخاضع متمسكا بترابه ما قدر مسك ضائع وادخل حماه فمن غدا فيه فليس بضائع

واسمد بزورته وقل يأ نسل طه الشافع ها قد أتيتك ضارعاً يا غوث عان ضارع فانظر إلى بعين مو لى مالك لى نافع يا قطب أعظم ذائع أو ليس سرك في الورى ولك الكرامات التي ثبتت بغير مدافع ولك التصرف في نوا حي مصر غير مدافع إلا انثنى بمنافع ما أم بابك مرتج أو رب مظلمة لجا لندى حماك الواسع لموه كبرق لامع إلا انثنى والمصر يع ش يا رجاء الطامع يا ابن الأعمة من قريا س ألناظر ولسامع يا صاحب العلم النفي النافع يا عمدة الإسلام يا رب المقال قاطع مهدت دین سمیك ال بادی بحـکم ساطع وأقت مذهبك المني ر لنا كبدر ساطع شيدته بدلائل لسن الخصوم قواطع عطفاً على ضيف بأر ضك ذى جناح خاضع قد خصه ذا الدهر منه بحاسد ومشايع وممياذق ومخمادع ومنافق ومشاقق الخاضع مثل الذليل ومبيخل من حرصه یخشی علی دیناره بل درهم من طامع يمشى وينظر في الثرى في هيئة المتواضع س من نحاس واقع فلعله يحظى بفا ويقول نلت منافعى وهي الغنيمة عنده ماً مثل ذئب جائع لما رأيتهمو جمي وليتهم ظهرى وجدً تك يا منيل مطامعي

أرجو رحباك وأن ت أكرم ذي حباً للقانع فأمد في فضلا بغي ث نوالك المتنابع بحياة جدك ذي للعا لى والكلام الجامع طه الرسول المجتبى مختار مولى سامع صلى عليه وآله وصحابه والتابع ما دام يعبد ربنا من ساجد أو راكع أو قاعد أو هاجد أو هاجع فيا يؤرخ ناطقاً متوسلا يا شافعي

### وقال يمدح الوزير مجل سميد باشا :

الله عين أعيان الصدارة يا أبا الله فضال ياعم الندى والسؤدد يا شائدا رتباً سمت بفخاره عن أن تنال بحيلة أو مقصد نهنيك بل نهنى الوزارة إنها ظفرت بمجموع الفضائل مفرد بالليث بأساً والحيا جودا وضو ع الشمس نوراً والرئيس الأوحد والقائل الفضل الذى يمترى فيه اللبيب ولا إليه يهتدى

وقال عام ۱۱۷ وكان النيل قد أبطأ فيضانه ، ووقع الخوف فى قلوب الناس ، وارتفعت أسعار الحبوب ، وزادت بالفقير الكروب . ثم من الله بالفرج ، فانكدت المحتكرة الفجرة ، وتحكمت به الحسرة ، وزادت مياه النيل ، وعم الخير الجزيل :

قد خزى الخُسرَّان وانخذل الشيطان ولطف الله بنا وأسعف الرحمن وأرسل النيل الذي حل به الأمان وانبسطت نفوسنا وزاد الاطمئنان وزال عن قلوبنا السناء يا فلان

فالحمد لله الذي عادته الإحسان فاشكر له فإنه له العلا والشاف وقل لمن رام الغلا للناس يا قرنان باء الرخاء فكل حكر قد عمه الهوان فيا مساكين أبشروا قد أخصب الزمان وقد أتى التاريخ في بيت هو الجمان يا حيدًا نيل به لنا يغي الزمان

## وكتب إلى السيد مرتضي الزبيدي :

ألاعج بي لما فيه الرواج فحسن الشعر يفسده الزواج. وخذ بي في حديث البيت واسمع مقالا فيه للفكر احتياج سمعنا أن في الدنيا فلوساً ولكن دون مبلغها زجـِـاج. وقال القائلون هناك قمح تزق بها الحمائم والدجاج وأخبرنا المخبر أن شيئاً يسمى الفول تأكله النعاج وأهل الشرق قالوا ثم أرز يروق إذا أتى منه فجاج وأما قولهم يا صاح سمن فقول ماله عندى ابتهاج أمور كلها عندى محال وأقوال بها عندى انزعاج هب الدنيا قد امتلائت بهذا أليس لما بشيء منه عاج ٩٠ فأكياس الفلوس مفلسات نموت ولا يكون لها انتفاج وأما القمح دع ذكراه رأساً فذكراه يضر بها المزاج وأما الفول سل عنه حماري فمنه دواؤه وبه العلاج وأما الأرز نعرفه ولكن له عنا أنحراف واعوجاج وأما السمن سمناه ودادا فقال وداد مثلكمو خداج وأما البيت عنه لا تسلني فبومته لها دوماً هياج:

غدا ومن الجوى زاد الضجاج على دهر به عدم الزواج فتى فيه لما فيه معاج تقول ذكرت من للفضل تاج لديه الاعتدال والاعوجاج ندى كفيه ليس له ارتياج ذي لجلاله العليا سياج

تحدث نفسها إن غاب عنها ال بأكلى أو حمارى أو قطاطى فأهرب خائفاً وبي اعتلاج أواعدها بأنى عن قريب سأشبعها ويحصل الانفراج فتعجب من مقالي. ذا وتدعو فأنهاها وأسمعها حديثاً عن الكرماء فيه لها ابتهاج فتكذب منطقي وتقول أرنى فأسمعها اسم صالح المفدعى هام للموالى والمعادي غمام وابل بكر مديد أحال على ذا الفضل الذي لو تجسم بعضه ملئت فجاج وكاتبنى وأممن في خطابي بجيم كم لها نحوى عياج ولم تقنعه واحدة فثنى وأخشى أن يثلثه الهياج فیا مولای عفوا من محب له من تحت رایتك اندراج وقل للندب صالح الأمير اا يصحف لى. ملوخيتى بدهن فإن البيت ليس به سراج

### وقال وقد أصيب بنعض الأمراض:

جنيت على نفسي جناية جاهل لظني أن الجهل فيه سرورها طغت عندى الحمرا فين صرفتها تمردت الصفرا وزاد شرورها فأخرجتها شيئأ فشيئا ملاطفا إلى أن خست نيرانها وزفيرها فجاءتهما البيضا معاتبة على تعديهما جهلا وزاد نفورها فقالت لها السوداء سيدنا أتى إلى نحو نار قد أتت يستثيرها طيف بسرخف منه عسيرها مطاويه من شمس العناية نورها

ولكنه والحمد لله حفه الل وها نحن أبنا واصطلحنا وضاء في فق له أن يشكر الله دائمًا على نعمة في الناس قل شكورها

وقال:

یطوی وینشر والشج**ون تزیدنی** وإذا النهار أتى يمر كليحة

وقال .

لا تتبع فعل اللئام وأولنى حسن الصنيعه

وقال:

قالوا يقال إذا ماكنت ذا شغف وإن دعاك لما لا تشتهيه ولو وإن شممت من الغادين رائحة إن الطريق إليه في الوصول له واقنع فديتك بالإقبال والن واعلم يقينا بأن نلت المرام متى

الليل حين يجبىء يهتاج الأسى عندى ويذكو الشوق بين ضلوعي وجدا فلست ألذ طيب هجوعي يزداد طولا لا يقصر ثم لا يوحى إلى ابن ذكائه بطلوع وكأنه مستعجل لرجوع

حتى م تصنع بى الخديمه أو لست تعرفها فظيعه دعها فديتك فهى من أخلاق منعكس الطبيعه

بمن تحب وتهوى أن تنال منى هناك أربعة إن كنت تفعلها تزيده منك قربا دأتما وهنا اصبر على الجور منه لو أصابك في الله حم والدم أسقام وفرط عنا وأن ترى كل لبس يرتدى حسنا من الحرير أو الكتان أو خشنا دخول نار لظى الجمام قل حسنا من عرفه طر إليها منعشا بدنا مريبة فأقتحمها تلق ما حسنا ظر البديع منه إلى الوجه المنير سنا أباحك الحسن المرغوب منه منى

وله من قصيدة في رثاء الشيخ عبد الله الشبراوي:

عين جودى بمدمع مسفوح واندبى أوحد الزمان ونوحى

نت مثل طوفات نوح: فطفقنا نومي إليه ونوحي. عين إن سحت الدموع وشحت من دماء مهجتي استعيري وسيحي كان يلتى الورى بصدر فسيح أنمني فداءه ولو بروحي ح رثانی إیاه بعد مدیحی نفك يرمى الأحباب بالتبريح:

عين قلت له الدموع ولو كا عين عزت أوصافه الغر عدا عين ضاقت مسالك الصبر عمن لمف نفسي عليه لمف محب وعزيز على والله يا صا لكن الدهر ذو عناد فما ين

# ع \_ عبدالله الشبر اوى

قال في عرس بعض الأشراف سنة ١١٢٣ :

ولكم غدو في العلا ورواح أفق المكارم للفلاح صباح ما الفضل إلا ما رأيت بحيكم وعليكمو من نوره مصباح. نطق الكتاب بمجدكم وبفضلكم وأتت أحاديث بذاك صحاح وتواترتأخبار مجد عنكمو يزهو بها الإمساء والإصباح يا أيما القوم الذين تشرفت بهمو بقاع في العلا وبطاح من ذا يفاخركم وأنتم عصبة قرشية وشذاكمو فياح للقاصدين وللعفاة مباح وإليكمو كل الفضائل تنتمى وعلى يديكم يفتح الفتاح يكفيكمو ياآل طه مفخر أن العلا عقد لكم ووشاح الله خصكمو بأشرف رتبة العجز عن إدراكها إفصاح أنا لا أحول وحقكم عن حبكم كتم العواذل قولهم أو باحوا وإذا ترنمت الأنام بذكركم فلسان شكرى بالثنا صياح

أبداتحن إليكمو الأرواح يا سادة لولاهمو مالاح في وحماكمو حرم النجاة وحيكم

لما نصبتم للسرور أسرة تزهو بها الأرواح والأشباح وأقمتمو عرسا يضيء كأنما للدهر منه كوكب وضاح أرخته أبدا بعهد حماكمو لأبي الفلاح تجدد الأفراح ١١٣٣ ١٢٣ ١١٥ ما إن يلام نحبكم في حبكم أبدا وليس عليه فيه جناح لازلتمو أهل المكارم والتي ولديكمو الإرشاد والإصلاح طبتم وطاب جنابكم فلأجل ذا طاب المديح وطابت المداح وقال تسلية لبعض الأشراف في حادث نزل به:

وحق جدك ما هذا للقام سدى كم سيد أبغضته قومه حسدا من قومه حسد يؤذونه وعدا ضيا وربك قد أعطى لك المددا ينكر علاك عنادا فليمت كمدا سوء ودهر سعيد ليس فيه ردى غدا يقصر عن شأواه كل مدى وكم فخار كضوء الفرقدين بدا عال به الله في القرآن قد شهدا الكم فأنتم بها صرتم بحور ندى قوم إذا وصفوا كانوا همو السعدا وخصكم يا بنى الزهرا بكل هدى ومدحكم في كتاب الله قد وردا فضيلة في العلالم يعطها أحدا ياآل طه لواء المجد قد عقدا لا أستطيع إليه أن أمد يدا مدما مدى الدهريتلي ذكره أبدا بحب آل النبي أرجو النجاة غدا ( م ۲۱ – الآدب المصدر .

يا ابن الأماجد لا تخش الردى أبدا ولا يهولنك من أعداك ما فعلوا أما ترى جدك المختار كان له أنت ابن سبطر سول الله كيف ترى والمجد مجدك يا ابن الأكرمين فن أبشر بعمر مديد لا يكدره فَــكُم لأسلافك الأمجاد من مدد وكم يد لك بالمعروف قد عرفت وكم لحكم يا بنى الزهراء من شرف مكارم قدر المولى الكريم بها يا أُحمد العصر طب نفسا فإنك من الله شرفكم قدما وطهركم من ذا يفاخركم أو من يشابهكم الله أعطاكمو يا آل فاطمة أنتم ملوك على كل الورى ولكم هذا لسانی قصیر عن مدیحکمو وكيف أمدحكم والله يمدحكم المكن غالة أمرى أنني رجل

## وقال معاتباً أحد أصدقائه :

أيها الخل قد صحبناك دهراً وألفنا من طبعك اللطف والظر وعلمناك أطهر الناس ذيلا ولقد طالما اختبرناك حلما فرأيناك أحلم الناس صدرا لا لعجز وخفض قدر واكن أحلم الناس أرفع الناس قدرا ما ظنناك أيها الخل من قب وعلى كل حال أنت والا وإذا ما سمعت عنى ذنبا وإذا ما أضعت شعرى فإنى عند كسرى أرجو من الله جبرا

ويلونا حلاك سرا وجهرا ف وطيب الأخلاق طيا ونشرا ثم أيضا لازلت تزداد طهرا ل علینا بما جری تتجرا ه عا عندنا من الحب أدرى حاشى لله أن نحول عن العم د ونأتى شيئًا من الغدر نكرا فعلام الإعراض عنى وإنى لم أجد عنك بعد بعدك صبرا لا تسيء بي ظنا فما أنا ممن يظهر الود ثم يضمر غدرا فالتمس لى عن ذلك الذنب عذرا وعلى فرض أنى فيك أذنب ت فإنى لديك آمل سترا إنما الحر من تجاوز عن هذ وة من كان في المودة حرا هذه خلة الأخالء قدما لا رأتك العينان منها معرى إن تحقق رجاى فيك فأهلا أنت والله بالمكارم أجرى وإن ازددت في الصدود وفي الهج رفوا الله لا أحاول هجرا وودادی الذی عهدت ودادی لم أحل عنه قطشهرا ودهرا الاتغرنك الوشاة ففيهم عن قريب سيحدث الله أمر

وقال عند زيارته للسيد أحمد البدوى:

· ياقلب أبشر زالت الأكدار هذا المقيام وهذه الأنوار هذا مقام أبي اللثامين الذي نارت به الأعصار والأمصار هذامقام القطب سلطان الورى كهف العفاة الصارم البتار

بطل إذا ماجاءه ذو كربة كم من أسير أثقلته قيوده ضاقت عليه الأرضحي ماله ناداك يابدوي أنقذني فقد فأغثته وأعسدته لدياره كمممسروافاك يلتمسالغني وكمامرىءسبقتله الحسنى یاسیدی لحماك نور ساطع ولزائريك جمالة وجلالة واليوم جئته أرتجيك لكربة

هذا أبوالفرجات هذا المنتقى من نسل من لانت له الأحجار هذا أبو فرجات البدوي كم قضيت به لمحبه أوطار ودعاه عاد وعنده استبشار وسطت عليه يشؤمها الكفار من ذلك الكرب الشديد فرار ضاقت بي الآفاق والأقطار من بعد مابعدت عليه الدار كرما فعاد ومابه إعسار فمذ لاحظته كشفت له الأستار وعلى مقامك هيبة ووقار ولهم على كل الأنام فخار ماجئت حيك للزيارة مرة إلا ولاحت منك لى أسرار

عظمت وكفك بالعطا مدرار ياحمدتى وذخيرتى ووسيلتى ياسيدا أسلافه أخيار ياسيد الأقطاب يامن جده طه البشير المصطفى المختار صلى عليه الله رب العرش ما لاحت شموس أو بدت أقمار

والآلوالأصحاب أعلام الهدى ماجن ليل أو تلاه نهار

وقال متوسلا بالنبي صلى الله عليه وسلم :

قوم وفازوا بالمقام الأرفع وادى الخزام ونشره المتضوع ودع التواني في السرى وتشجع فُوق الغُوير وتحت بانة ينبع

عج بالعقيق وقف بذات الأجرع وأنخ مطيك بالعذيب ولعلم وانزل مني فهناك قد بلغ المني وتمل بالبيت الحرام ومل إلى ثم انمطف كحو الأبيرق والنقا واقصدأخاالأشواق منعطف اللوى

حث المطي أخا الغرام هنيهة واصبر على حر الوطيس البلقع ومر المطي يطبن نفسا بالسرى ويسرن بين مردد ومرجع ياحادي الأظعان خل زمامها ترد المياه كما تشاء وترتعي أواه لوتدرى المطايا قدرما ظفرت به من بعد ذاك المهيع لسعت على أحداقها وثنت ذوى أعناقها وطوت حنايا الأضلع ياأيها الخل المشوق ترفق الله بك إن بدا نك نور ذاك الموضع وتجلدا عند اللقافكم امرىء من شوقه لما رآه لم يع والناس بين مسلم ومودع وتظاهرت أعلام هاتيك الربي وبدا لمينك نور تلك الأربع فادخل لذى الجاه الرفيع وكن على حذر وسل بتأدب وتضرع واغنم سويمات هناك سميدة مابين منبره وذاك المضجع واستقبل القبر الشريف وناده يامن يؤمل للمكروب إذا دعى يامن له الجاه العريض ومن به يبرا للريض من السقام المفظع هذا مقام المستعين المستجير المذنب المتأوه للتوجع الخائف الوجل الذي قدضيع ال أوقات في تحصيل مالم ينفع واطلب نهاية ماتريد ولاتخف مللا وأكثر في المني وتوسع واذكر هناك تشوقى وتشوفى وتلهنى وتوجعي واسأَل أهيل الحي عن قابي فمذ فارقت طيبة لم أجد قلبي معي وأقم لى الأعذار في التأخير عن هذا المقام المبهج المتضوع نزه أخا الأشواق طرفك ساعة فيها هناك وابتهج وتمتع فهناك تعتلىء القلوب مسرة وتزول من ذي العي شدة كلعي وأعد حديثك للعذيب وبارق وابك الديار وأجر سحب الأدمع تلك الديار فأين يوجد مثلها طيبا وأى علا لها لم يرجع حيث النبوةوالرسالةوالهدى ولوامع الفضل الأعز الأهنع

وإذا وصلت إلى معاهد طيبة

-سر الوجود وقطب دائرة الشهو د وذو اللوا المعقود يوم المفزع أزكى الورى وأجل من وطيء الثرى

قدرا وأكرم شافع ومشفع

وقال متشوقًا إلى مصر ونيلها في بعض أسفاره ، ومادحا آل البيت: أعد ذكر مصر إن قلبي مولع بمصر ومن لي أن ترى مقلتي مصرا وكرر على سممى أحاديث نيلها فقد ردت الأمواج سائله نهرا بلاد, بها مد السماح جناحه وأظهر فيها المجد آيته الكبرى . رويدا إذا حدثتني عن ربوعها فتطويل أخبار الهوى لذة أخرى إذا صاح شحرور على غصن بانة تذكرت فيها اللخظ والصعدة السمرا عسى نحوها ياوى الزمان مطيتي وأشهد بعد الكسر من نيلها جبرا لقد كان لى فيها معاهد لذة تقضت وأبقت بعدها أنفسا حسرى أحن إلى تلك المعاهد كلا يجدد لى مر النسيم بها ذكرا أما والقدود للمائسات بسفحها وألحاظ غادات قد امتلأت سحرا وما في رباها من قوام مهفهف علا وغلا عن أن يباع وأن يشرى لئن عاد لى ذاك السرور بأرضها وقرت بمن أهواه مقلتي العبرى وأسجد في محراب لذتها شكرا وصب على أرجائها المزن والقطرا فلله ما أُحلى ولله ما أمرا يروضتها الغنا وقد تنفع الذكرى وأصبو إلى غدران روضتها الغرا وألبسها من بعده حلة خضرا وصافح أغصان الرياض فأصبحت تمد له كفاً وتهدى له زهراً وأودع في أجفان منتزهاتها نسيما إذا وافاه ذوعـــــلة يبرأ إذا حذرتني بلدة عن تشوق إلى نيل مصر كان تحذيرها إغرا

لأعتنةر • للهو في عرصاتها وعى الله مرعاها وحيا رياضها منازل فما للقاوب منازه يذكرنى ريح الصبا لذة الصبا على نيلها شوقاً أصب مدامعي كساها مديد النيل ثوبآ معصفرا وإن حدثوني عن فرات ودجلة وجدت حديث النيل أحلى إذا مرا

سأعرض عن ذكر البلاد وأهلها وأروى بماء النيل مهجتى الحرا همو القوم إن قابلت نور وجوههم ملوك على التحقيق ليس لغيرهم سوى الاسم وانظرهم تجدهم به أحرى.

وكم لى إلى مجرى الخليج التفاتة يسيل بها دمعي على ذلك المجرى. جداول كالحيات يلتف بعضها وأست ترى بطنا واست ترى ظهرا وكم قلت للقلب إلولوع بذكرها تصبر فقال القلب لم أستطع صبراً أماً والهوى العذرى والعصبة التي أقام لها العشاق في فنهم عذرا لئن كنت مشغوفاً بمصر فليس لى بها حاجة إلالقاء بنى الزهرا-أجل بنى الدنيا وأشرف أهلها وأنداهمو كفآ وأعلاهمو قدرا رأيت وجوها تخجل الشمس والبدرا وإن سمعت أذناك حسن صنعيهم وجئت حماهم صدق الخبر الخبرا لهم أوجه نور النبوة زانها بلطف سرى فيهم فسبحان من أسرى. هُمُو النَّمَةُ العظمى لِأَمَّةَ جِدهُم فيا فوز من كانوا له في غد ذخرا إذا فاخرتهم عصبة قرشية فجدهم المختار حسبهمو فخرا

#### ٥ المسلاحي

قال يمدح شيخه شمس الدين الحفني:

إنى بظلك مستجير فلقد أضر بها المسير. ما استأنس الظبي النفور ث ينـام راعيه الغيــور حين تنفتح الخمدور عهد تضن به الصدور عيونهن فهرن حور ح بوجهها القمر المنير ب فيخجل الغمين النضير

مل بي فقد وقد الهيجير وأرح مطيك ياسمير هذا الحمى فارصد إذا واطرقكناس الغيدحي وأمط ستائره فذلك واسأل من الظبيات عن واحفظ فؤا دكأن تصيب من كل غانيــة يلو تختـال في مرح الشبا

تسعى فتقعدها روا دفها، وتنهضها الخصور سكرى رأت كسر القلو ب فصار ناظرها المكسير فعلت بسحر جفونها ماليس تفعمله الخمور خنثت معاطف قدها لكن لواحظها ذكور ط جفونها وبها فتور يا صاح إن جزت الخيا م وللظماء مها ظهور قل للبخيلة بالزيا رة ما لطيفك لايزور لم أنس إذ وافي البشير يلوح في فمــه السرور إذ أقبلت ريح القبو ل بها وأدبرت الدبور من حر أشواقي سعير شر بأنفاسي يطمير رة مرن جوانبه نهوو تبدو به زهر الزهو ر لأنه فلك يدور ضحكت ثغور زهوره فبكي لها النوء المطير وحنت نواعره وحنت وهي مرخ غيظ تفور ذكرتقديم عهودها فأنهل مدمعها النمير ياطيب أنفاس الربي ع ففي تنفسها عبيد والجُدُو مجمرة علي ها من ضبابتها بخور راری لها طرف خبیر وسعت على طرق الجدا ول والنسيم لها سفير وطروس قامتها عليها من ضفائرها سطور ر وحس مانقل الغدير ل قد تبلج فیه نور والورق ساجعة لهما من كل ناحيـة سمـير

الله أكبر من نشا فضممتها وبمهجتي فتعوذت بالروض من روض تملق بالمج وافت به رود بأس يا طيب ما عملي الشعو ما ذاك إلا فرع ليــ

عجاء تعرب عن ضما ثرنا وليس لها ضمير والريخ تعتنق الغصو ن بها فتعتبق الزهور وبدت شموس الراح تم ملها الكواكب والبدور فقضيت منها ماقضي ت وكان لى ولها أمور هذا كلامي الحلو أهد "نه إلى فمي الثغـور وضممتها عند الودا ع وكل أنفاسي زفير وبكت عيون السح بحين تساقط الدمع الغزير نحنيا معيا فتحلت ال أغصان منا والنحور وسرت وقد لاقي ت منها مايطيش له الصبور صبرى وما لاقيت إذ رضيت به كل يسير رعيا لذياك الحمى والطرف مبتهج قرير ولمعهيد حصباؤه درر وتربته ذرور قد لج بالقلب الغرو روذلك الطرف الغرير ومرور أيام الصبا من دونها العيش المرير أنى يروح العمر وال أيام تنهب والشهور كم أنجد السارى وكم "بهم الهموم به ثغور من لى بدهر لا يسا عدد فاليسير به عسير أرجو انتصافا من زما 🛚 ن صار عادله يجور . وحوادث قد آن في كبدى لأسهمها خطور لكن بجاه إمام هذا ال عصر لى فيها نصير مولى ترفع قدره فله أناملنا تشير ملاً النواظر منه إج لالا وايس له نظير وحماه ينفك الأسي ربه ويستغنى الفقاير وندى أياديه شهي ر والقليسل به كثير

ب ولا يقوم بها الشكور ة لأنه علم منير طالت لخدمتك القوا في والزمان بها قصير وجرت لنحو حمالة آ مالى وأنت بها جدير فهمى لرفعتها قصور رف إن ناقدها بصير

منن تذل لها الرقا یامن به تهدی السرا وقصور مدحك ليسفى خذها على شرف الصيا

#### وقال:

اسقنا من يديك قهوة بن وأدرها ممزوجة برضابك لاتحكم سوى كئوسك فينا أنت كفء ونحن من خطابك

وقال:

ظی الکناس له الفدا يهدى السراة جبينه خبينه صبح الهدى في عطفه هيف الصبا وباحظه سبل الردى لولا الحياء وما أرا قب من مراقبة العدا لتساقطت بخدوده قبلي مساقطة الندى

بالأشرفية شادن

### ٣ - شمانة المتوفى سنة ١٢٠٠

ترجم له الجبرتي فقال:

هوَ الفاضل النبيه ، اللوذعي الذكي ، المفوه الناظم الماثر ؛ الشاعر اللبيب الشيخ محمد المعروف بشبانة . كان من نوادر الوقت . اشتغل بالمعقول : وحضر على أشياخ العصر فأنجب. ونظم الشعر وأجاد القوافى ﴿وداعب أهل عصره من الشعراء ، واشتهر بينهم وأذعنوا لفضله . إلا أن سليقته في الهجو أجود منه في المدح . ومن قوله يهيجو السيد طه البططى :

يا سديد الآراء حاشا للجد أنت فيه من أهمل الناس يسلم

إن طه في ثوب لؤم ومنه. بكنار الخسران قبحا تعمم فلهذا يقول من قد رآه ربنا اصرف عنا عذاب جهم إ يا أديبا كالعير يحمل كتبا من سبيل وقف ودشت مخرم قد أبدت الموقوف شطباً ومحواً فلهذا يا شاطب الوقف ترجم والذي قد سطا بنظم الأهاجي عرضه بالقبيح والذم يشتم لكن العفو عن ذنوبك أولى ولعين إلف تقال وتعكرم

وقال من قصيدة في مدح شيخ السادات محمد أبي الأنوار:

الغيث في خجل يذم عمامه من شك في ذا حجه إسلامه يكفيه من داعي الهدى إرغامه أينًا على والخبير بمدحهم في محكم التنزيل دل كلامه زهر بنقح الطيب ساد ثمامه وعد بدء له وختامه شمس بها أفق السعادة أشرقت والكون طرا قد أزيل ظلامه هو فارس التوحيد حامى حصنه من مشرك باغ يزيد خصامه بأدلة التوحيد يقطع رأيه وعايه مغلوباً تعود سهامه عذرى ومثلى في مديحك قاصر طفل صغير ما عداه فطامه قد أعجز البلغاء كنه مديحكم والشعر ماوفي وحار هامه لكننى أرجو بمدحى دعوة من تشرف بالحديث لثامه أأخاف دهرا قد أساء عشيرتي ومحمد قد عمهم إنعامه ؟ يأكعبة السادات ناظم عقدها عبد إليكم والثناء غلامه

الأوحد المولى الذى بنواله مجد الأنمة والأماجد كلهم ومن انثنى أوزاغ عن ساداتنا هم صفوة الله التي في نوعنــا ويتيجة السادات درة عقدهم شييخ مسن كاد يقضى نحبه لعناد دهر ساءه أوهامه

وهلال عيد الفطر قال محمد منه استعرت البدر وهو تمامه

### وقال يمدحه:

العالم . الحبر الهمام أبو الهدى شمس الشريعة والعلاء محمد مولى إذا نزل الأفاضل عنده

#### وقال عدحه :

لبني الوفا في الـكون أعلى رتبة ورثوا السيادة عن على جدهم هذا هو النسب الذي يعلو على كالشمس في أفق السهاء ونورها نرجو ونأمل فىالمعاد شفاعة من جاءهم يرجو الأمان بجاههم لوجودهم فى مضر أوفى نعمة من مثلهم والعلم ميراث لهم

بمحمد يدعى ونجل شبانة وبقيع مكة كان فيه حمامه مولای شهر الصوم سافر شاکراً یثنی علیکم للغفور قیامه ومنازل الأشراف منها رحلة - حملت عليه للمسير خيامه

للحق والتقريب للخلاق من ساد بالحظوى من الرزاق ظفروا بأخذ العهد والميثاق شرف على لا يقاس علاؤه بعلاء مولى ساد في الآفاق مجد له فوق الثريا رفعة وأساسه متأصل الأعماق غُتام عقد المجد من ساداتنا قطب له الله المهيمن واقى مولای بشری المید بهجة ذاتكم بدر الكال بدا بغیر عاق تحيا إلى أمثاله في نعمة ممزوجة بمكارم الأخلاق

بعد النبي وصعبه الأخيار باب المدينة قاتل الكفار كيوان والبدر المنير السارى نفع الأنام وبهجة الأبصار منهم وغوثا من عذاب النار فهمو الخيار بنو الخيار وجدهم فخر العلاء وأصل كل فخار سلمت عقيدته من الأوزار عمت على البلدان والأمصار كالجد حيدرة الرضى الكرار

# ٧ \_ الصبان

قال عدح شيخ السادات:

بعبير سرك تعبق الأقطار . وبنور وجهك تشرق الأمصار وبيمن طلعتك السعيدة طالعاً يصفو الزمان وترحل الأكدار وبجود راحتك الشريفة أخصبت للعالمين منهازل وديار وإلى حمى حرم سما بك مجلس تسعى العفاة وتهرع الزواد وبذكر مالك من علا ومناقب تحدوا الحداة وتسجع الأطيار يادرة الدنيا وغرة وجهها ومنار أهليها إذا مآ احتاروا يا قطب دائرة الوجود وعارفا بشذا تقاه تهبط الأسرار يا روض أزهار العلوم وجهبذا سجدت لتحقيقاته الأحبار يا شمس أفلاك الكمال وسيدا دانت له الأبراد والفجاد يهنيك ما أولاك ربك من علا دهشت لبعض صفارها الافكار قد أفرغ المولى عليك مواهباً لا عد يحصيها ولا معيار وعلى بني العصر اصطفاك لرتبة تركت قلوب عداك فيها النار سبحان من يعطى بلاحصر ومن يختص بالأسرار من يختار وله المحامد حيث أسمدنا عن . شرفت به الأنجاد والأغوار السيد السند الحرام المجتبى صدر الصدور المنتقى المختار الجوهر الفرد الذي لم تشتمل أبدا على أمثاله الأعصار العروة الوثقي لمعتصم به الآية الكبرى لمن يحتار تاج الأماثل عين أعيان الورى غيث الساحة سيبها للدرار كنر الحقيقة بيتها المعمور من بجلاله تستنزل الأمطار ملك له أهل المعالى دولة وإليه فيهم بالبنان يشار وأغر تقصده العفاة فتنثني والكل حماد له شكار

في الخافقين سمت له أذكار أبناء من سجدت له الأشجار من نوره تتولد الأنوار من ذلك الوجه المضيء نهار وإذا تجملي تنجلي الأبصار نعم المغيث وحبذا النصار كرمًا فليس له لديه قرار أخنى عليها دهرنا الغدار أنسى أناس المصرذكري حاتم ينسى الغدير إذا ترى الأنهار فبحار جود سواه قطر عنده والقطر منه لدى سواه بحار هو الأحبة رحمة وعلى العدى أسد الإله وسيف\_ـــ البثار ولمن يعاديه ردى وصفسار فنما به شرف لها وفخار ومكارم وسكينة ووقار عدنا ونار لظى لها الكفار قد طاب منه محتد ونجار قصب السباق السادة الأطهار ن السأنحون السكمل الأبرار ئق من بهم تتشرف الأعصار القادة الأعجاد من جداهمو المصطنى وعلى الكرار قوم همو بركات مصر وروحها وهمو بأوج سمائها أقمار وهمو ملاذ أناسها ومعاذهم وهمو حماة القطر والأنصار بحاهمو ارم الخطب عنك فإنما المخطب آل المصطفى الأخيار فهمو الحماة لمحتم ولمنتم وهمو المكاة إذاالأعادي جاروا

وعملا سييرا لطيب سرائر وابن الكرامااشىم من آل الوفا كناه مولاه أبا الأنوار إذ ما جاء ليــل الخطب إلا رده تتروح الأرواح إن ذكر اسمه وإذا تقاعدت الحماة وجدته لا عيب فيه سوى قلاه لماله لمحكارم الأخلاق أحيا بعد ما لحبيه منيه ندى وكرامة ولاه مولاه خلافة آله وأعزها منسه تتي ومعارف بعلاه آمنا فمن يؤمن ينــل ورث المفاخر سيدا عن سيد أصل العلا فرعالألىسبقوا إلى التائبون المابدون الحامدو أهل الحقائق والدقائق والرقا

وهمو الملوك وغيرهم أنفار في غيرهم مجدا فذاك معار والناس بالرتب العلية فحرهم ولها بأبناء الرسول فخار ومواهب ما إن لها إنكار نطقت به الآیات والأخبار رجسا وطهرهم فهم أطهار تمحى الذنوب وتغفر الأوزار وبذكرهم تتزين الأشعار لله وَهُو الْمَاجِدِ الغَفَار لرحابهم فزعى إذا خطب دهى ولبابهم قرعى إذا أحتار وهمو يساري إن عرا إعسار طاشت لهول الموقف الأفكار من حله ما مسه إضرار تر مشهدأ سطعت به الأنوار وسعت إليها بالصفا الزوار تمجنى بها للوافد الأثمار أروته من ديم الرضا أمطار هو للأمان والأماني دار ما شاب صفو زلاله أكدار حظيت برشف كئوسها الأبرار وفدافدا لهمو بهن مزار عذبت بها الأوراد والأذكار تكسى بها حلل الرضا الحضار ومواسمًا تجنى بها الأسرار

وهمو الشموس ومن سواهم ظلمة والمجد فيهم ملكهم وإذا ترى منح من الوهاب عز مقامها ماذا يقول المادحون وفضلهم الله في القرآن أذهب عنهمو وودادهم فرض وحهمو به بمديحهم يكسى القصيد محاسنا إنى بهم وبجذهم متوسل وهمو يميني إن بطشت بصائل وبحبهم أرجو النجاة غدا إذا عج بالمطي على حمى حرم لهم عرج على سفح المقطم نحوهم هو كعبة طافت به أهل النهبي هو جنة مما يخاف وجنة هو روض أُنس باسم الأزهار قد هو المواهب والمناصب موطن هو مورد يشني الغليل ومنهل هو طانة قدسية الصهباء قد الله أكبر ما أجل رحابهم وموالدا لهمو زهت بمجالس يا حسنهن موالدا ومجالسا یا حسنهن مواردا ومواکبا

فهلم عشاق الفلاح لحضرة في القرب منها تنفق الأعمار وعلى العيون اسعوا إليها فهي من أجدى وأجدر ما إليه يسار لا تستوى بالرؤية الأخبار مر خليفة جادت به الأقدار مجلى حقائقهم ومظهر سرهم من قدموه لشأنهم واختاروا قربت لك الأوطان والأوطار أنخ المطى ببابه واعكف على أعتابه فبه يعز الجار وادخل حماه ومرغن بتربه وجها فذلك إن عقلت فخار واشهد هناك فوائحا قدسية ولوائحا رقصت لها الحضار وارتح وطب واربح بأرض قدست بذلت عليها الأنفس التجار وسواه عندى المدح فيه جبار عن بعضها أيدى الحسود قصار طب واهن بالشيم التي بمديحها يتشرف النظام والنثار مدح ولذ البسط والإكثار قرت بها لأحبة أبصار هل تستوى الظلمات والأنوار كفوا تقولكم فليس بواصل لليث من نبح الكلاب ضرار قد شط عنكم يا عداة مزار ماكل ماحوت الرياض ثمار يا من له نعم على غزار قد طابق الإسرار منه جهار عرفت بذاك أكابر وصغار والمستجير بمثل ذاك يجار

بجلي بواردها عرائس أنسهم وعليه أقداح السرور تدار وقفوا لديهم خاضعين تشآهدوا وتوسلوا بهمو بخير ابن وخي يا دانيا لرحابه أبشر فقد ربحت تجارة مادح علياءه طب واهن بالرتب التي أوتيتها طب واهن بالمنج التي فيها حلت طب واهن بالمجد الأثيل ورفعة · یا حسدا زعموا. استواءهمو به لا تطمعوا أن تدركوا شأوا له إن غر بعضا أنه من آله يا صفوة الرحمن من أقرانه هذا صديق مخلص لك وده هذا حسيب منتم لك في الورى إنى بجدك أستجير من الجفا

تخلف فأنت ابن الوفا المختار ئد هكذا قد قالت الأخبار لئن اقتضى الإدبار تقصيرى فجو دك مانع ينني به الإدبار أو جاء كذاب إليك بفرية فعليه حسبي الواحد القهار فوحق جاهك إن ذلك عار حللا بها تنكى العدا الأشرار يا ابن النبي وسيد السادات يا من طرزت عديحه الأسفار خذها إليك فريدة في فنها من حسنها الدر النضير يغار يصبو الأديب لها ويطرب عندها فكأنها صرف المدام يدار فلذاك لا ملل ولا إضجار ولها بفرط قصورها إقرار أن الكريم مسامح غفار لا درهم عندى ولا دينار من شر ما تجرى به الأقدار يبقى لكي تبقى به الآثار منهم على وجه الثرى ديار وأجل من شدت له الأكوار أو غردت في أيكها الأطيار مزن بكت فتبسمت أزهار أو صبك الصبان قال مؤرخا نجل الوفا فاحت به الأسرار.

عودتني الإقبال أجمعه فلا وعوائد السادات سادات العوا إن مسنى ضيم ولى بك علقة فاعطف وجد واخلع على من الرضا طالت ولكن بالبدائع طولها جاءتك . سابلة قناع حيائها لكنها ترجو القبول لعلمها فاقبل وأقبل وارضوارع فذا للنى لازلت محفوظ الجناب محصنا يارب أقرر عينه بابن له وامحق جميع عداه حتى لا يرى بنبينا المختار أشرف مرسل أو هز أغصان الربا مر الصبا والآل والأصحاب والأتباع ما

# ٨ - قاسم بن عطاء الله

قال من مزدوجة طويلة يمدح الأميركتخدا رضوان:

بكرت يوما والهوى مطيعى أرض الربي في زمن إلربيع

إذا بها فى زخرف بديع تزهو بثوب سندس وسيع في حسن وصفها استمع ما أبدى

بكت بدمع الطل عين النرجس فأضحكت تغرالا قاح الألعس والورد يزهو باحرار الملبس مفتتحا أطواقه في المجلس قد أرج الروض بنشر الند

روض به ماء الحياة جارى خضر النبات منه بالجوارى فيه خيال الورد باحرار يرى له فى الماء زند وارى وعجب فى الماء قدح الزند

حديقة بها السرور محدق جدولها مسلسل منطلق في جوها نجم الزهور مشرق وبانها طورا يميل ويسرق من وجنة الماء احمرار الورد

أما ترى الدر بدا المحدق كلل تيجان رءوس الورق وقد حكها النهر بظل الزنبق خد الساء مورد بالشفق كلاها بالورد زاهى الخد

لما. حكى الغدير للسماء لاح به السماك فى ضياء، من فوقه صارت يد الهـواء تنسج للصيـد شباك المـاء بدقة لم تستطعها الأيدى

شباك در أو لجين تنسج لجوهر الألباب فيها فرج بها شعاع الشمس حين يبهج بعسجد ترى اللجين يمزج ليخطف الأبصار عندالنقد

نجائب السحب بجند الودق أرسلها الغرب لحرب الشرق (م ٢٢ – الآدب المصرى)

لنحوه تراسلت بالسبق وكلما سلت سيوف البرق يصهل في الفلك جواد الرعد

وحوصرت شمس الضحى بالأفق بعسكر سد جميع الطرق وبالدما غط قميص الشفق وانفلقت هام الدجى بالفلق ومنه سد كسرها بدند

وابتهج الشرق على الظاماء بالصبح صاحب اليد البيضاء أخرجها من حلة الدجاء من غير سوء قد بدت الرائى لمحود لحو آية الدجى المسود

وقد بدا الصبح وللجو صعد وأصبحت قضب الرياض في ميد ممتلئات البرد من در البرد وكل يابس غدا رطب الجسد وفتحت عين الزهور الرمد

باكر صبوح روضة الزهور فأبرك الأشياء في البكور ورد على اللذات والسرور واترك هوى وساوس الصدور فنهل اللذات عذب المورد

ما أحسن الصبوح فى الصباح والسكر فى روض الربى يا صاح على خدود الورد والتفاح والريح تدنى مبسم الأقاح للثم هاتيك الخدود الورد

والورق مذ غنت على العيدان بلين قد ماس غصر البان والآس فوق وجنة النمان من ذا رأى الجنة في النيران

عجبت التأليف بين الضد

وانظر إلى تلهب الشقيق غيظا على نياوفر غريق

يومى لبنت الكرم بالتعنيق ومل إلى الرمان بالتحقيق تراه في صدر الربي كالمهد

أكرم ببنت الكرم والدوالى من الهموم غرسها دوالى بها يطوف مخجل الغزال كالشمس تجلى فى يد الهلال بكأسها فى أفق حان السعد

لله ماأبهى وما أسناها فى كأسها كالشمس فى مرآها السعى بها البدر وقد أدناها من شفتيه للعس ما أحلاها إذ مزجت من ريقه بالشهد

شعاعها سطا على الندمان ساوى شجاع العقل بالجبان ومالت الحمراء في الميدان بين صفوف صحبة القنان كأنها من الدما في برد

مليكة لطيفــة المزاج تختال في برد من الديباج على جواد أشهب الزجاج ببهجة احمرارها الوهاج تحكى خدود قاتلى بالصد

لاتنكروا بعد الحجا جنونى تهتكى من نذلك المصون وحدثوا إن تصفوا شجوتى به عن البحر وعن عيونى بدعن الم تطف نار وجدى

أبحته قلبى وجفنى سكنا لما أرانى منه وجها حسنا وطرفه الســـاحر لما أن رنا بسحره كليم قلبى فتنـــا ولم يجد عن طوعه من بد

جاء الربيع والزمان اعتدلا وألبس الغصن من الزهر حلا والطير ضمنت غناها مثلا إنشادها مولى لقد حاز العلا للكتخدا رضوان رب المحد

, أمير مجد أوحد الزمان يفوق معنا كامـــل المعانى

لو شام برق سيفه المياني عنتر في ألف من الشجعان. قال اللقا في الحشر ياابن ودي

تراء للأحباب فاق الوالدا وللعدا مجـــــادلا مجالدا أرجوه يحيا في السرور خالدا في الجود أغنى طارفا وتالدا وكل منسوب له فی الود

لآل الوفاكل الفضائل تنسب هم ليس إلا منهمو الفضل يكسب ملوك البرايا منهمو الجود ترتجى ومنجودهم ترجو الملوك وترغب ألا إن حزب الله حزب عد ومن ذا لحزب الله في الخلق يغلب أبوهم على ليث كل ملمة ومنعارض الأشبال لاشك يعطب ولو كان يلني للنبيين وارث فليس لهم إلا همو من يعصب رحاب على لايضاهيه مرحب بدور التقى فى الـكون آل بنى الوقا وأنت باسعاد لأنوارهم أب كواكبشمس الدين أنت بأفقهم وليسيضاهي بهجةالشمس كوكب إذا فضلوا بالسبق عنك فما أتنى أخيراسوى المولى إذا ساره وكب وعادة فرسان الرجال تقدم فما نرتمجي إلا الكرام تعقب كما آخر الأنباء جاء مجل وأشرافنا من نسله تتشعب تدوم وتبقي في السرور معمرا إليك عمارات السعادة تنسب فأنت على التقوى تؤسس مسجدا به حرم من زاره ليس يرهب. لنا الأمن فيه من متاعب دهرنا فمن حل في جناته ليس يتعب. له لبنات كالـكواعب أسفرت لها باحمرار النقش خد مذهب جميع العلا وقف عليه مخلد وفيه لنا جارى الثواب مرتب ليهن به من كان للخير فاعلا فياليتني منهم أعبد وأحسب عناصره طابت بأ كرم سادة ففيه إلى كل الطباع تحبب.

وقال يمدح شيخ السادات : أقول لمن ضاهى وسيع رحابهم

أرى علماً جارا لهم وأظنه تطاول أعلاه ليبلغ شأوهم تلوح الثنايا منه باسمة لهم وقد حل من خوف الوقو دبقر بهم أيا حرما نهوى بأفئه له على عرفات القرب هلى وقفة إليك أباالأنو ارأهدى قصيدة معان يعاديها الحسود وينثنى تراوع من عادى و تبدى فصاحة رقاق حو اشيها نسيجة وحدها إذا رضى المولى بمدح محمد عرائس لا ترضى بغيرك ماهرا بمدحك رقياها ومدح بنى الوفا فان حفها منك القبول فحبذا

وقال بمدحه:

حرم فيه للملائك أمن خاتم الرسل جده وبهذا آل طه ذخيرتي المدح فيهم أتم سادة الورى ولعمرى مددأ نانا إلا المودة يتملى مددأ نانا إلا المودة يتملى وجود مذ مدحتم في لوح كل وجود . وأبو الأنوار الذي بحاه . أفق العرز مشرق بسناه .

بأقطابهم قالوا عليه المقطب فقال السها قصر لأنى أقرب ومن ظله جنن البقاع مهدب فنرزق أثمار السرور ونوهب فنرزق أثمار السرور ونوهب مؤدبة قد قالها مشأدب على مثلها أحشاؤه تتلهب بألفاظها فهى الفصيح وثعلب بحسن صنيع للوشاة تكذب على فدع كل الخيلائق تغضب يؤم بأرباب البديع ويخطب ومن حقهاإن شئت بالتبر تكتب وإلا فقد عادت على اللحظ تعتب

وطواف بركنه واستلام في وفاء للأولياء ختام وأرى حبكم هـو الإسلام لاتضاهي ساداتها الخدام فهو فينا لفضلكم إعلام بالذي عنه تعجز الأقلام تتساوى الليوث والآرام فالليالي تضيء والأيام فالليالي تضيء والأيام

#### وقال يمدحه:

نجل الإمام الذي مولاه كرمسه آل الوفاء على الدنيا لهم شرف أهل الولاية أغصات بروضتها وللفرد القطب شمس الدين سيدهم وعرب على أبى السبطين والده من الذين إله العسرش طهرهم ياسيدا حاز أنواع الكال فمن هنئت مولاي فالعام السعيد أتى والسعيد أتى والسعيد أتى والسعيد أتى والسعيد أتى

### وقال يمدحه:

فى أبرك الأنوار دمت سعيدا وحباك بالعمر الطويل وبالهندا قد حزت بالخلفاء آل محمد كن واثقا بالله معتصا به فالنداس بالتحميد شرف قدرها لولا انحصار للملك فيدكم لم تكن آل الوفا إلى بكم وبجدكم كم صغت فيكم من قلائد فكرة حبى لكم ولجدكم ياسادتي

### وقال يمدحه:

لمصر عادت بك الأيام مقبلة ياسيـــد للورى أضحت مكارمـه

وماله أحد في فضله جاري وهم أعرز الوري جاها وأنصارا وهم يلوحون للأغصائ أزهارا وسعده فاق بالإشراق أقرارا حاز الفخار وأحيا منه آثارا ومن أحبهمو لن يدخل النارا أراد حصر نداه زاد إحصارا مبشرا أن وقت الصفو قد زارا بالنصر تزداد إسعادا وأنوارا

ويدوم وقتيك بالمسرة عيدا وأدام حظك وافرا ومديدا قربا وايس الفضل منك بعيدا في عصرك المأمون دمت رشيدا والله باسميك شرف التحميدا في بابكم كل الملوك عبيدا أرجو لأوقات الهنا تجديدا تأبى لغير جنابكم تقليدا حسبى ولا أبغى عليه مزيدا

لكنها بسوى الأفراح لم تمد . كالقطر والبحر إحسانا بلا عدد.

توفيق ربك لابالوفق والرصد عن الأنام الذي أسياف سطوته لها قاوب العدا من جملة الغمد مكرم الوجه ذي العزم الذي عجبت منه الملائك في بدر وفي أحد كن واثقا بنوال الله مكتفيا ياخيير معتصم بالله مرتشد عية لقلوب الناس مطلقها أنت الصنى ومن عاداك في الصفد قديمة الفضل تروى المجــدعن أدد تحرير فكرك في إتحاف بهجتها يريك جوهرة جاءتك بالزبد أقسمت بالشمس من لألاء عزتها مامثلها حرم للأمر في البلد ومن رآها وقطب العصر حل مِها يخالها أشرقت كالشمس بالأسد من منهل العلم والإفضال واردة ومثل رونقها فى الدهر لم يرد دعائم الحفظ تغنيها عن العمد وماؤها كوثر أحلي من الشهد على إمام بفعل الخيد عجتهد تزهو بمصباح سر منه متقد تصفو دنانير خديها لمنتقد ملونات حلى من نقشها جدد دامت حياتك يامولاى في أبد تهن وابق ولح في عزة وزد كان السرور مها باسم الإله بدى دامت به كعبة للرفد والرشد يحل منها محل الروح في الجسد

أنشأت قاعة أنوار مشيدة على عمـاد النَّقي والدين قأمّــة جناتها تحتها الأنهار جارية سماء مجــد بشمس الدين مشرقة مشكاة نور على نور زجاجتها راقت بها لبنات كاللجين بدت تحكى الكواعب حسناوهي لابسة أنت السميد بإذن الله في أزل سدوارقوا نعهوحز بشرى مؤرخة لما علا الجد بالتسليم قد ختمت لقاعة الجد إسعاد بمنشئها لها السرور به والحفظ يصحبه

## ومن مو شيحاته :

مالن أسباني \* ثاني \* في ملاح العصر ساحر الأجفان \* جاني \* بالجفا والهجر

فانى \* وهو بى لا يدرى أنا منه عاني دور نزهة الأرواح \* يبدى \* بالخديد الوردى \* يهدى \* جنة الأرواح وبخال ندى \* عندى \* جالب الأفراح ولماه الشهدى \* من شذاه سکری \* مانی ثغره المرجانى دور عند أهل المجد \* \* جارى منهل الأسرار زندهم بالسعد سادتي الأبرار \* \* وارى ذو العلا والنصر قانی \* وأبو الأنوار \* وقال .

حبيب بالذى ورد شقائق خدك التبرى وثنى قدك المفرد بخمرة ثغرك الدرى ومنك الجفن قد سود على هاروت بالسحر أدر كأس الطلا واغنم زمان الفوز بالرضوان وقال.

مليك أوحد العصر وفي صادق الوعد بدا في طلعة البدر وهيبة طلعة الأسد صديق العدز والنصر حليف الجود والمجد لمذا ترجم الأعجم عدح الكتخدا رضوان

### مالخشاب

#### قال متغزلا:

ودع المندول بجهله يلحاني بين الرياض تزف والعيدان شفق الصباح إذا بدا الفجران في الخد نار فؤادي الولمان قمر يلوح على غصين البـان من خمر فيه وراحة السكران ما لاح يوما يختمني القمران بين الظبا وعوامل المران يوم الوغى من أسهم وسنان وسهام لحظ عيرونه سيان ليث العرين له تلفت جؤذر يفتر عن در وعن مرجان كحسامه في غيهب الميدان هندی لحظ صائل بیان سمر اللدان جداول الأغصان

أدر السلاف على صدى الألحان واستحل بكر الراح في ظل الربي شمس لها من فوق خد مديرٌها نور ولكن من سنا لألائها نار لها في وجنتيه .وكفه لهب به أعشــو إلى النيران .من كف معتدل القوام كأنه نشوان من سكر الشباب يهزه ومهفهف ماء الحياة بوجهه بوي بهي شقائق النعان وافی فعاتبنی علی وصلی النوی والشوق یضرم ناره بجنانی فأجبته والوجد يجرى عبرتى ويكاد يجبس عند ذاك لسانى يا أبها الرشأ الذي ألحاظــه إن أومأت فتكت بغير توانى أبسيحر بابل قد كحلت سوادها حتى غدت فتاكة الأجفال؟ يا مخجل الغصن القويم ومن إذا كيف اللقاء وأسد قومك غابها وكماة آلك نارهم ما كسروا من كل ماضي العزم حد سيوفه متلألىء تحت الشعور جبينــه . عربي لفظ أعجمي المنتمي غصب النجوم فصاغهن أسنة وبفيه نظمها عقود جمان ولديه بيض المشرفية حولها

تنشى سوابقهم سحائب عثير تهمى بوارقه النجيع القانى خرص الرماح فإن يطف بلطائف فله تكلم ألسن الخرصان صيد حمول بكل سهم موتر سهم القسى وجفنه الوسنان وعويذلى حسدا عليك ولأئمى يتناجيان بالاثم والعدوان فاقبل فدتك النفس عذرى إنه ولقد أقول لعاذلي ألا اكففا جئت الهوى من بابه فدعاني إ

ولقد يمدح شيخ السادات محمد أبا الأنوار:

وهن أحد من بعض الصفاح كمون الحتف في لدن الرماح ؟ يصيد ليوث آجام البطاح ومن علق الهوى يلتى هوانا ومن يغتر بالغرر الصباح يجول به السلاف على الأقاح قوايم القد مهضوم الوشاح حشاى لوقعها دامى الجراح عقود النجم في شفق الصباح كأن بغنجها أقداح راح إلى هذيان أقوال اللواحي ودون مزاره حر المنايا وبيض الهند ماضية السلاح وشهب رماح آساد الكفاح إليه لعاد مقصوص الجناح ضرام النار في خفق الرياح وفی مولی الوری راق امتداحی سليل الأكرمين أخو السماح رفيع القدر بدر سنا الفلاح

كضياء وجهك واضح التبيان

ولعت بسود أجفان الملاح وشاقتك القدود ألست تدرى حذار ظبا الكناس فثم ريم ومعسول الرضاب شهى فيه أسيل الخد درى الثنايا يصول من اللحاظ بممرضات إذا ما افتر مبسمه أرانا رشا أحداقه عبثت بلبي ألام على هواه ولست أصغى ببرق فرندها يحمى حماه فلو نسر السماء أراد يدنو توقد وجنتيـه له بقلبي وفیه تفزلی قد رق معنی أبو الأنوار وابن الطهر طه فريد العصر أوحده علاه

مطاع لو أشار إلى ثبير للباه بألسنة فصاح ذكى الذهن متقد لديه خفيات الضمائر في اتضاح هو البدر الذي أمسى سناه لداجي الخطب بالإشراق ماحي له قلم بعلم الغيب يجرى وبالأرزاق والقدر المتاح يحاور في أنامله يمينا فيسند عن عطاء عن رباح عين تملاً الدنيا يسارا عما تسديه من رفد مباح تكاد المزن تمطرنا اللآلي. إذا منه استعرن بطون راح خلال كالرياض زها بهاها وأعطر نشرها أرج النواحي وألفاظ كثغر الغيد تزرى جواهرها بمختار الصحاح فاو مثلت لنا كانت عقودا لجيد الغادة الحسنا الرداح أصفوة أحمد إني أرجى بكم في الحشر إطلاق السراح فليس على محـب بني على وجدك في القيامة من جناح ولست عبتغ عرضا سيفنى ليوم الحشر ادخر امتياحي فهاك عقود نظم كدت فيهما أجارى قاسما وابن الصلاحي.

وقال :

ولرب ليل قد أبيت بجنحه أطوئ هضاب فدافد ووهاد ولكم به جبت المفاوز والسها مكحولة أجفانه بسماد

معضد دُولة الختار يدعو إلى سبل الهداية والنجاح

بأغر أجرد ضام لكنه جلد العزائم عند كل جلاد متمود وطء الأسنة في الوغي متجشم في الروع هول إطراد ظن السيوف جداولا وعوامل المران أغصات النقا المياد وتراه يعرض في الأعنة مثلما صدف المشوق بالدلال البادي وكأنما صبغ الصباح أديمه ونقطته يد الدجى بمداد

متقلدا عوض السيوف عزائمي متسربلا بدل الدروع فؤادى حتى بلغت أخا السماحة والندى وابن السراة السادة الأجياد الباذلين على الثناء عليهمو ماقد حووا من طارف وتلاد

فمن ابن جعفر في الساحة عندهم وبنو بويه ومن بنو عباد ؟

وقال فى مغن يدعى مصطفى الصيرفى ، ومنشد له يدعى سليمان :

اشرب على نغمة الألحان والوتر واحاكشمس الضحي من راحة القمر واسمع غناء أبي داود تلق به أنغام داود فيها لذة العمر واصغ لمزهر ذاك الصيرفي ترى إيقاع منتقد بالنغم ذي بصر عود يمازج روحى خفق مثلته مزج النديم السلاف الصرف بالمطر لو خال معبد يوماكف ضاربه أمسى مقرا بفضل فيسه مشتهر صوت رقيق ولحن حين يعربه يأتى بما عنه تعيى طاقة البشر فلو تغنى لميت عاد من قدم جرت به الروح جرى الماء في الشجر إلا وجاء بقبح غير منحصر ما قيس يوما به في فنه رجل إلا كما قيست الخصباء بالدور وإن تعبه العداة الحاسدون له فالعمى تجهل ضوء الأنجم الزهر ورق الحمام بأعلى الدوح والشجر

مارام يحكيه في إتقانه حسن (١) لازال يرقى سماء العز ماصدحت

# ١٠ - عبد الله المنزلي

قال يمدح شيخ السادات:

مهلا أبا الأنوار مهلا لاتسمعن في الصب عذلا أسهرت جفن متم عنه حديث الحب يتلى صب له من جفنه نهر فما نهر المعلى ؟ وله فؤاد ذائب .ولواعج لم تخب أصلا

<sup>(</sup>١) هو حسن قسوة ، أحد المغنين في ذلك العصر

وله أنين زائد جنح الليالى ما استقلا ت زفرة أعيته حملا ویری کئیبا قد جفا من حزنه ولدا وأهلا كبد له مقروحة من فكره بالنار تصلى يمسى ويصبح من جيو ش الهم مشتبها بشكلى يا ابن الأماجد يا إما م المؤمنين فــتى وكهلا حاشا لمجدك يرتضى للمبد بعدد العز ذلا ف أرى ذليلا مضمحلا ف یکون فیه الحر ندلا حاشاك منحنى ضيا ، ثم ترجع فيه كلا فاسمح فديتك ياكري م الناس أخلاقا وفضلا يا قطب آل بني الوفا جيد الزمان بهم تحلي قوم لهم في المكرما تعرائس الأفضال تجلي قوم همو لى ملتجا فى كل كرب قد أظلا وهمو غياثي من صحا بالسوءمن ندري ومنلا ادات قد نوديت أهلا فاصفح بفضلك عن ذنو ، ب قدرت من قبل أن لا صفحا جميلا يستفا ض حديثه بين الأخلا ق لفد بلغت الآن سؤلا كأس التقرب منه بهلا

دنف له في كل وق حاشا لمحتدك الشري حاشا لمجلسك المنيد لاشك أنى فى حمى الس لأقول للقلب للشو وأكون ممن قدستى

### وقال يمدحه :

الغيسات الغيسات ياابن النبي قعدوی یحرف القول عمدا. ﴿ وهو خصمی ولیس بالمرضی وحسودي الكذوب لاشك مغرى من خبيث من فتية الأموى.

من عدو وحاسد وغيي.

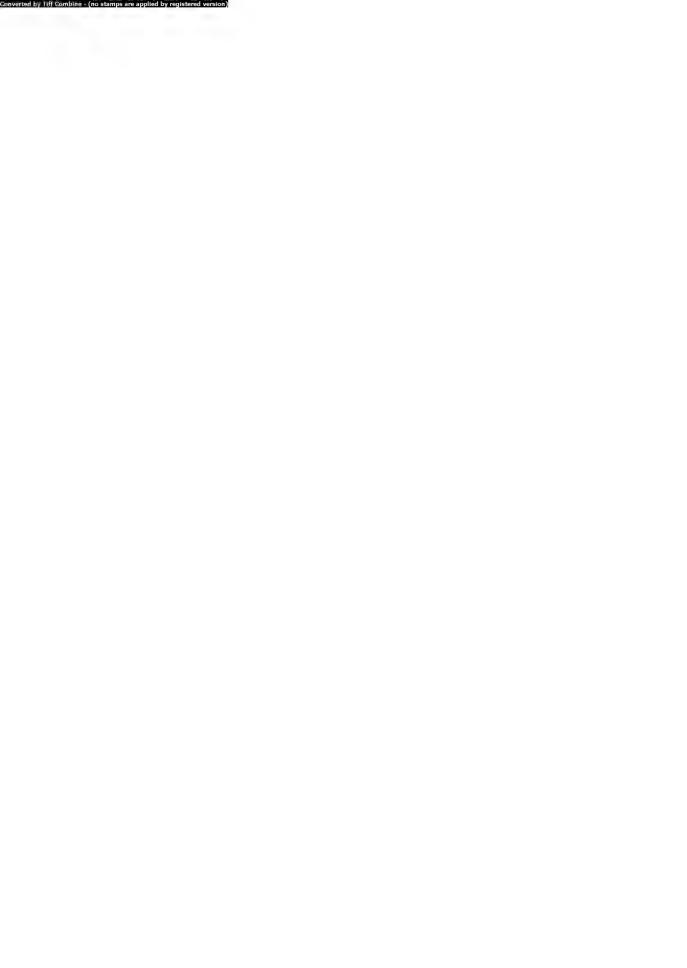
عن فلان بمكره الفرضي تان عمدا وما ارعووا عن بني حسبى الله ناصرى وولى ه في عبده النصيح السوى أَبِمِدُ اللهُ هُؤُلاءِ زُوالاً ومساء في الضحي والعشي ليس فيهم راع لود كريم بل تدانوا بودهم للدني هو نجل السادات آل وفاء . كرم الله وجههم بعلى آل بيت مبرأون من الرج س بنص في المحسكم العربي ملجاً اللائذين غوث البرايا مأمن الخائفين من كل شي يا إمام التحقيق في كل فن لل يا مفيد العلوم يا ابن الوصى أنت حقا باب المدينة للعلم بم بحكم الوراثة الشرعى لا تدعني فريسة لذئاب أرتووا من دم الفتي المنزلي فأجرني من هؤلاء فإني لى عهد وأنت خير وفي يبدو نورى للباد والحضرى إنى الكوكب المضيء بنور من سناك العظيم الأنورى أظهرتني يداك من بعد طي ماش لله أن أضام ولى عز · عظيم في جاهك الحسني وإليك البديع قد زف بكرا بنت فكر في حسنها والحلي ذات در من المعانى مضىء فاقبلنها بعفوك الشاملي واعف عنى عفوا يكون جميلا ناسخاً ما جنيت من كل غي فاعترافي بالذنب يوجب عفوا من كريم عن المساوى برى وصلاة على النبي دوامًا وسلام من العزيز العلى وعلى آله الكرام الموالى وصحاب ذوى المقام الجلى الغياث الغياث يا ابن النبي

والغبي البليد يبدى حديثا قد رمونى بالإثمو للزور والبم وصفوه بكل وصف ذميم ويحهم وتجهم أما يرقبون الأ واجل عنى سحب الجفاء لكي كنت قدما مطوىدهر ولكن ما عبيد السادات قال ارتجالا

# فهسرس

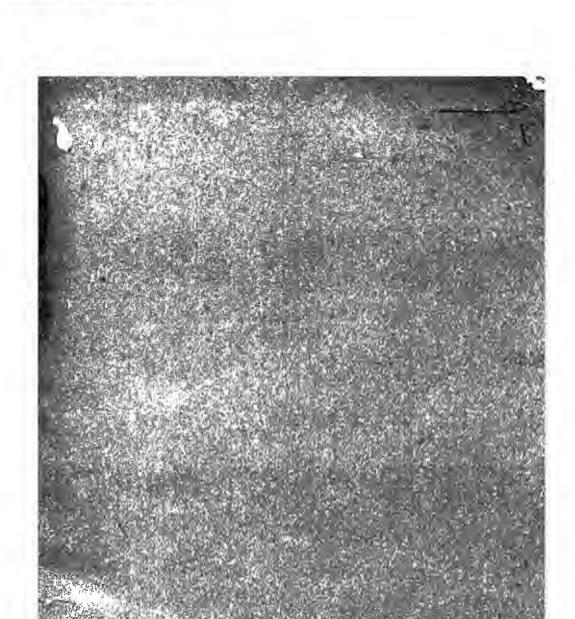
الصفحة						الموضوع
٣	•		•			مقدمهة
٨						الباب الأول : الفصل الأول : الحالة السياسية
19	•	•		•		الفصل الثانى: الحالة الإجتماعية
40		•	•		,	الفصل الثالث : الحالة الفكرية
٥٧				,		الباب الشانى :الفصل الأول : الشعر ومذاهبه
٧٠			•			الفصل الثانى : المدرسة البكرية
140						الفصل الثالث: المدرسة العلوية
177						الفصل الرابع : المدرسةالأميرية
191	•	•				and the second second
۲٠٩		•		•		الباب الثالث: دراسات تكميلية
4.9		•	•		•	١ ــ الوصف
Y1Y			•	•		٧ ـــ الغزل
444	•	•	•			٣ _ الإخوانيات
721	•			•	•	ع ــ التوسل : .
440		•	•			الباب الرابع : بيمض مشاهير الشعراء .
440	.•					۱ ــ عبدالله الشبراوى .
777						٧ - عبدالله الإدكاوى .
45.				•"		٣ ابن الصلاحي
727						ع _ قاسم بن عطاء الله المصرى
754						ه ــ السبربائي
720						۳ ـ الظهورى
787		•				٧ ـ الحشاب

الصفحة									الموصنوع	
789	•	•	•	٠.	•	٠.	•	، النثر	اب الحامس	البا
4.54	•	•	•		•		لنثر الفثى	أول : ا	القصل الأ	
404	•	•	•	•	•	•	المقامات	٠ ١		
400	•	••	•				الرسائل	<b>- r</b>		
400	•		•			الرسمية	الرسائل ا	-1		
477			•	···	•	الإخوانية	الرسائل ا	ں ۔۔۔		
*77				•			المرسل.	ائى : النثر	الفصل الث	
-444						٠ ر	نقد المجتمع	-1		
ሊፖሃ		•			•		لغة التأليف	<u> </u>		
۲٦.				•		•	ر ااشعبی	الث: النَّ	الفصل الث	
~~			•	:اب	ير ال <b>ــك</b>	بعض مشاه	الأول : ب	: الفصل	ب السادس	الياء
777	•	•	•	٠.		لخفاحى	الشهاب الح	! - 1		
۲۸۰			•		ىنىلى .	يوسف الح	سرعی بن	· - Y		
441	.,		•	• .		فيو مى	عبد البر ال	- m		
<b>3</b> ለሦ			•			العاماء	, مشاهیر	ى : بعض	الفصل الثا	
475				• •		لاکی	اود الأنط	- 1		
<b>۲</b> ۸۲						بيسى				
494		•	•	•			اصبان .	1 4		
790	•								الفصل الثاا	
790				-•		الحنفي	بن إياس ا	1-1		
~447		•	*		•	نبل الرمال	حمد بن ز	1 - 7		
493				•	. د	الدين الحل	لی ایننور	۳ — ع		
۴				•		لإسحاقى .	بد الباقى ا	٤ – ٤		
.4.1			•	البكرى.	سرور	. بن أبى ال	ند بن محمد	£ 0		
٠ ٠ ٠ ٠	, ,						•	•ر ،	ات من الش	مختارا









يطلب في معهد والشرق العدد ب من دارا لف رجا في - ص.ب (٢٣٨٢) مصرلجرية ـ القاهرة





